تفريغات

شرح معارج القبول (١)

شرح

أسماء الله الحسنى

وأثرها في الإيمان

لفضيلة الشيخ

د/ ياسر برهامي

هذه النسخة اجتهاد شخصي
لم يطلع عليها الشيخ / ياسر برهامي
رجاء لمن يجد بها أي تعليق أو اخطأ
التواصل ٠١١٤٣٤٦٧٥٠٤

أسماء اللّه الحسنى

قال رسول اللّه ﷺ

[إن للّه تسعة وتسعون اسماً
من أحصاها دخل الجنة مائة إلا واحدة
من أحصاها دخل الجنة]

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهديه الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن مُحَّداً عبده ورسوله ﷺ.

أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي مُحَّد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار .

سندأ إن شاء الله تبارك وتعالي شرح كتاب معارج القبول بشرح سلم الوصول إلي علم الأصول في التوحيد للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي رحمه الله تعالى.

هذا الكتاب يتميز بكثرة الاستدلال بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية باستفاضة واسعة وهذا من أظهر معالم الطريقة السلفية ومنهج أهل السنة والجماعة في الاستدلال على مسائل العقيدة والأيمان وغيرها من أمور الدين بأدلة الكتاب والسنة.... دون الاستدلال بعلم الكلام ودن الدخول في التفاصيل الكلامية والشبهات والردود التي أُثارها أهل الكلام والفلسفة وهي من أسوأ من يمكن أن يؤثر في قلب العبد في إبعاده عن ما ينبغي أن يكون عليه من التعبد لله سبحانه وتعالي بأسمائه وصفاته وربوبيته وإلوهيته وكذلك بالتصديق والإيمان بسائر أصول الدين التي بينها الرسول عليه الصلاة والسلام كما بينها القرآن .

فعلم الكلام علم لا ينفع وجهل لا يضر... بل أكثره يضر... العلم به يضر صاحبه ويضر من احتج به وقدمه على نصوص الكتاب والسنة يبعد قلبه عن الأمور العظيمة المهمة ويوقعه في شبهات وضلالات لا يخرج منها ولا يستطيع التخلص من شبهاتها لذلك كانت طريقة السلف في ذكر الأدلة من الكتاب والسنة، إذا أضيف إلى

ذلك فهم معاني هذه الأدلة وليس مجرد سردها تبين لنا أنها تحوي أعظم الأدلة العقلية بالإضافة إلى أصح الأد لة النقلية... فيتفق العقل والنقل معا وهذا المنهج هو منهج السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن سار علي طريقتهم رضي الله عن جميعهم.

وهذا الكتاب يتميز بصحة التحقيق في أكثر المسائل التي تناولها علي منهج أهل السنة والجماعة...وإذا كان من اختلاف يسير في بعض الأمور أشار إليه أو يشير إليه كذلك وهو يتميز بكونه يميل إلي التوفيق بين الأدلة والآراء وتأثراً واضحاً جلياً بكتابات الإمامين الجليلين ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله ثم بكتابات الإمام المجدد مُحَمَّد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالي وهو رغم كونه معاصرا إلا أنه من يقرأ كتبه يتضح له مدي عمق علم الشيخ رحمه الله في كل المسائل وكونه كأنه كان يعيش في زمن غير الزمن الذي عاش فيه، وهو قد ولد رحمه الله سنة ألف وثلاثمائة واثنتي وأربعين من الهجرة وتوفى سنة ألف وثلاثمائة وسبعة وسبعين... يعني من حوالي أربعين سنة ... فعمره رحمه الله حوالي خمسة وثلاثون عاما...ومع ذلك مؤلفاته وخصوصا هذا الكتاب القيم قليل النظير... كتاب سلم الوصول وشرحه معارج القبول قد أظهر الله سبحانه وتعالي مدي فضله على هذا الشيخ الفاضل رحمه الله تعالي.

نبدأ بالمقدمة للمصنف رحمه الله...

بسم الله الرحمن الرحيم

"ا لحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وما كان معه من إله، الذي لا إله إلا هو ولا خالق غيره ولا رب سواه، المستحق لجميع أنواع العبادة ولذا قضي أن لا تعبدوا إلا إياه، ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير".

الشيخ في المقدمة يسير على منهج الثناء على الله عز وجل بجميع الأسماء الحسنى التي وردت في رواية الترمذي في حديث النبي ﷺ" [إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة] ومعلوم أن الرواية الترمذي التي فيها سرد الأسماء التسعة وتسعين عند جمهور أهل الحديث أنها مدرجة من كلام بعض الرواة.

وبعض أهل العلم يحسنها مرفوعة... إلا أن الجمهور على أنها مدرجة هذا هو الصحيح فهي استنباط بعض رواة هذا الحديث من أهل العلم من أهل السنة لهذه الأسماء الحسنى من الكتاب ومن السنة... بعضها مباشرة وبعضها بالاشتقاق كما هو ظاهر من هذه الرواية مع كون هناك اختلاف واسع في ضبط هذه الأسماء في الروايات المختلفة لهذا الحديث ولغيرها من الطرق التي فيها ذكر التسعة وتسعين اسماً والذي يظهر والله أعلم أن الرسول ﷺ أبهم ذكر هذه الأسماء ولم يحددها هو ﷺ وذلك لكي يجتهد العباد في الثناء على الله عز وجل وحمده ودعاءه بكل ما علموا من أسماء الله عز وجل وصفاته، وإذا اجتهد بعض أهل العلم في استخراج التسعة وتسعين اسماً فهذا لا يعني بالضرورة أن هذه هي التسعة وتسعين اسماً المقصودة بل من دعا الله سبحانه وتعالى بكل ما ورد دخل في ذلك التسعة وتعسين اسماً ومن أدى حقوق العبودية لله عز وجل بهذه الأسماء التي وردت في الكتاب والسنة فقد أحصى هذه الأسماء ضمناً... كما أُبهمت ليلة القدر في رمضان في العشر الأواخر لكي يجتهد المسلمون في طلبها في العشر كلها والله أعلي وأعلم.

قوله..." ولم يكن له ولي من الذل..."

موافق للآية الكريمة ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ [الإسراء: ١١١]

أي من الحاجة .

فالله لا يحتاج إلي أحد والخلق كلهم فقراء إليه... سبحانه قد اتخذ أولياء من عباده ليس من حاجته إليهم تعالى عن ذلك، ولكن اتخذهم أولياء حبا لهم ونصرة لهم ويتولى أمرهم سبحانه وتعالى بالإصلاح وليس ذلك لذله وحاجته تعالى عن ذلك الله لا يفتقر إلى أحد ولا يحتاج إلي أحد وإنما الخلق كلهم محتاجون إلي الله سبحانه وتعالى... فقراء إليه عز وجل ...

قال: "ما كان معه من إله، الذي لا إله إلا هو ".

الإله

المستحق وحده أن يعبد... والذي تأله القلوب بالحب والخوف والرجاء والتوكل والإنابة والذل والخضوع والشكر والصبر والرضا وسائر عبادات القلب، وهذا التعريف في الحقيقة تحصيل أوسع من الذي قبله... إذا قلنا الإله هو المعبود بحق... فإذا قلت هو الذي تأله القلوب بالحب والخوف والرجاء فهذه بيان لعبادات القلب أصلاً التي إذا استقرت وحصلت في القلب حصلت كل العبادات الأخرى... إذا كملت في القلب العبادات الأخرى كلها.

والإله : الذي تحار فيه العقول ولا تدرك كنهه... إله أي: تحير، فالإله الذي تحار فيه عقول العباد ولا يدركون كيفيته ولا يحيطون به علما...

والإله: الذي تشتاق إليه القلوب وتميل إليه كما يقال... ولهة الفصيل إلى أمه، أي: اشتقاق إليها... ومال إليها، والله سبحانه فطر عباده على أن تميل قلوبهم إليه سبحانه... يشتاقون إلى القرب منه وإلي رضوان ... وإنما يُحرمك الإنسان سعادة الدنيا والآخرة إذا توجه قلبه لغير الله وإذا اشتاق لغيره سبحانه وتعالى ويسعد في الدنيا والآخرة إذا حصل له الشوق إلي الله والتوجه إليه والميل إليه كما قال عز وجل ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم: ٣٠]

وقال عز وجل في الحديث القدسي[إني خلقت عبادي حنفاء أي يميلون إلى الله – فأتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم].

وقال النبي ﷺ" وأسألك لذة النظر إلي وجهك الكريم والشوق إلي لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة".

الشوق إلى لقاء الله أعظم نعيم الدنيا ونظر العيون والوجوه إلى وجه الله أعظم نعيم الآخرة ..

" بأنه الإله الذي لا إله إلا هو سبحانه".. هذه الكلمة تتضمن النفي والإثبات ولا فلاح للعبد في دنياه وآخراه إلا بأن ينفي الإلهية عن غير الله وأن يثبتها لله عز وجل وحده...

ولا خالق غيره ولا رب سواه ... وكونه الخالق لكل المخلوقات... سبحانه وتعالي إما تشهد به الفطرة الإنسانية والعقول السوية فكل الخلق يقرون بافتقارهم في أصل وجودهم إلى غيرهم، فهم يقطعون ويجزمون بأنهم لم يوجدوا أنفسهم وغيرهم كذلك..

يقطع بهذا وهم البشر أعقل الكائنات الظاهرة والله سبحانه وتعالي وحده هو المتفرد بالخلق لأنه الغني عمن سواه وكل من سواه فقير إليه...

ولا رب سواه... والرب

والرب: هو الخالق الرازق المدبر الذي يرب غيره: أي يتولى أمره بالإصلاح والله سبحانه هو الذي أوجد الخلق من العدم رزقهم دبر أمرهم بما أراد سبحانه وتعالي.. ولولاه لما وجدوا ولا ما استمروا ولا ما بقوا...

هو المالك... فالله هو الرب المالك لكل من سواه وما سواه سبحانه وتعالي... يملك كل ذرات هذا الوجود ولا يشاركه في ملكه وملكه أحد.

والرب: هو السيد الآمر.. الناهي المطاع... السيد الآمر الناهي الذي يشرع.

الذي يأمر وينهي وهذه معاني الربوبية كلها لله وحده لا شريك له لا رب سواه .

قد يظن البعض أن غير الله يملك.. الحقيقة أنه لا يملك شيئاً وإنما هي عواري مستردة، من دون الله عز وجل لا يملك عن الحقيقة شيئاً وإن ظن أنه يملك وأنه بيده الأمر وأنه يدبر فهذا كله عند التأمل وعند الحقيقة يظهر أنه ليس ملكاً حقيقياً وإنما هو ملك مجازي.. ملك مؤقت.. أعطي للعبد بعد أ ع لم يكن له وينزعَ منه ويُجعل إلي غيره بغير اختيار من العبد ولا إرادة وهذا أدل دليل على أنه لا رب سواه سبحانه وتعالي لا مالك إلا الله ولا ملك إ لا الله والتشريع كذلك وإن ظن البعض أنه يأمر وينهي ويشرع، فكل تشريع سوى شرع الله عز وجل فهو باطل ومنكر وشقاء وعناء للبشر جميعا، تصطلي به البشرية زمنا من الأزمة ثم تتركه وتهجره إلي غيره كعباد الأوثان الذين كانوا يعبدون الحجر، وإذا رأوا حجراً أحسن منه تركوه وألقوا بهذا وربما استنجوا به والعياذ بالله.

فهكذا عباد التشريعات الباطلة من دون الله سبحانه وتعالي.. الذين يقبلون تشريع غيره عز وجل وهؤلاء في الحقيقة يقبلون ربوبية غيره، هؤلاء إذا هجروا أمرا لم يعجبهم.. اتخذوا غيره ورموا بهذا وجعلوه تحت أقدامهم، فكيف كان قبل ذلك سيداً يسود على أناس يقال سيادة القانون مثلاً ونحو هذا.. مما وضعوه الناس بآرائهم هذا بعد حين يبطل ويُمنع العمل به ويلقى خلف الظهر مهملاً مزدرا لا قيمة له وتظهر عيوبه، كل هذا بخلاف شرع الله سبحانه وتعالى الرب الذي لا رب سواه.

يشرح معني الإله فيقول: المستحق لجميع أنواع العبادة.. ولذا قضى . أي قضاء شرعياً ألا نعبد إلا إياه.. يقصد بذلك قول الله عز وجل ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾[الإسراء: ٢٣]

يقول:" ذلك بأن الله هو الحق".. أي هو الإله الحق وهو الرب الحق وهو سبحانه وتعالى متحقق وجوده عز وجل.

" وأن ما يدعون من دونه هو الباطل "... آلهة باطلة وأرباب باطلة.. لا تستحق أن تُعبد وليس لها من الخلق والرزق والتدبير ولا من الملك ولا من الأمر والنهي والتشريع شيء وأن الله هو العلي الكبير...

عالم الغيب والشهادة

الذي استوي في علمه ما أسر العبد وما أظهر الذي علم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون.. ﴿ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ﴾[يونس: ٦١]

﴿ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَا ﴾[سبأ: ٢]

كيف لا وهو الذي خلق وقدر..؟ ﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤].

ما أحسن هذه المعاني التي ذكره مستنبطة من كتاب الله سبحانه وتعالى.. بل نص أجزاء من آيات القرآن العظيم.. دائماً تعود المتكلمون والفلاسفة على تعريف صفة العلم.. أنها صفة كاشفة عن المعلومات أو نحو ذلك، في الحقيقة هذه الطريقة في التعريف.. طريقة ما أتى بها أهل العلم ولا السلف رضوان الله تعالي عليهم ولا احتاج النبي ﷺ إلى أ ن يبين للناس تعريف كلمة العالم أو العليم وإنما دائماً القرآن يرشدنا إلى التفكير في آثار ومعاني هذه الصفة فيما يشهده من واقع تفكر الإنسان في سعة علم الله عز وجل، أما كونها تُفسر بانكشاف المعلومات أو نحو ذلك فتفسير بما يعود إلى نفس الكلمة وهي أوضح من أن تُفسر.. كلمة العالم والعليم والعلام.. كلها واضحة المعاني لا تحتاج إلى بيان وإنما تحتاج إلى تأثر القلب لهذه الأسماء التي تدل على سعة علم الله وكماله وإحاطته بكل الموجودات والمعدومات.. أحاط الله سبحانه وتعالي علماً بكل شيء، وعادة ما يتكلم المتكلمون في ذلك بأشياء لا تُثمر في القلب شيئاً ذا قيمة.. فيقولون معاني صحيحة بالكليات والجزئيات لكن مثل هذه إنهما تتبع من شبهات أصلاً ليست كما بين القرآن أنواع ما أحاط الله عز وجل علماً، فهي التي تُثمر في القلب ما ذكرنا من الآثار الطيبة.

الغرض المقصود من قوله العلم بالكليات والجزئيات والموجودات والمعدومات والمستحيلات.. فبدل من أن يتخيل أشياء الأفضل أنه يتفكر في ما أرشد إليه القرآن قال عز وجل﴿ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾[طه: ٧]

فالله سبحانه وتعالى يعلم ما أسر العبد وما أظهر.. علم الغيب والشهادة.

قال سبحانه وتعالى في سورة طه ﴿ طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾[طه: ١ – ٧].

الإنسان عندما يتفكر في مثل هذا المعنى العظيم ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾[طه: ١ – ٧].

وأخفى من السر.. ما لا يحيط الإنسان به علما.. السر ما كتمه الإنسان في نفسه وأ سره وما هو أخفى منه، فعلاً الإنسان عليه أشياء من نفسه لا يطلع عليها، النفس الإنسانية عميقة لا يتطلع عليها صاحبها فيها دوافع وإرادات ورغبات وشهوات لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالي ودوافع العمل تحتاج من الإنسان إلى تفكير وتذكر لكي يعلم لماذا فعل ذلك، إذن نفسه ربما تخفى عليه، ربما يظن أنه فعل هذا الشيء لأجل كذا وهو في الحقيقة يفعله لشيء آخر.

الرياء مثلاً ربما يُخدع صاحبه وتوهمه نفسه أنه يريد وجه الله وهو في الحقيقة يطلب مدح الناس ويطلب الرياسة وهذه دوافع خفية ربما ببعض التحليل والتفكير والتذكر ومن

له خيرة في ذلك.. يمكن أن تُدرس هذه الدوافع ويبحث عنها ويظل جزء كبير جداً من النفسية.. من نفس الإنسان خفية، فالله عز وجل يعلم السر وأخفى.. أخفى من السر، ما أسره الإنسان في نفسه قد يقول البعض أن السر ما كان بين اثنين ومنه ما كان سراً في الإنسان وذلك أن الله قد جعل الإنسان يسر أشياء في نفسه كما قال تعالى﴿ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ ﴾[يوسف: ٧٧] إذن كانت في نفسه فقط.. هذا ضمن السر أما ما هو أخفى م ن السر فهو ما في داخل الإنسان كما ذكرنا النفس عميقة جداً لا يعلم ذلك إلا الله سبحانه وتعالي...

" عالم الغيب والشهادة".. ما غاب عن العباد وهو أعظم مما شهدوه وعلموه.. الإنسان عندما يتفكر في هذه المعاني غير أن يتفكر في مسألة الكليات والجزئيات التي كان منبع التفكير فيها من كلام الفلاسفة.. أن قالوا واجب الوجود عنده علم بالكليات فقط وكذلك قال من تبعهم من المتكلمين وفي الحقيقة أصل كلام الفلسفة إن الوجود الواجب أصلاً ليس له ذات ولا اسم ولا صفة وإنما فاض منه العقل الفعال الذي هو المعاني الكلية دون الجزئية ولذلك قال أتباع الفلاسفة من المتأسلمين أن الله لا يعلم الجزئيات وإنما يعلم الكليات.. شبهات سخيفة باطلة لا تُثمر في الإنسان أثراً إيجابياً أبداً وكلام باطل مقطوع ببطلانه فالله عز وجل يعلم ما يخفيه الإنسان وما يعلنه.

عالم الغيب: الذي غاب عن البشر.. عن حسهم وسمعهم وبصرهم وسائر أحاسيسهم ويعلم ما شهدوه وما علموه على التفصيل الذي لا يعلموه، فالله سبحانه وتعالي عالم الغيب والشهادة.

الإنسان عندما يتفكر في عالم الشهادة الذي نهراه ويرى كم نحن لا ندري عنه شيئاً ونحن نستطيع أن نعلم أشياء لو بحثنا.

انظر إلى كل مجال علمي من العلوم أهله إحاطتهم بالمعروف من هذا العلم بالنسبة إلى غيرهم.. نفكر في هذا مثلاً.. نقول علم الطب مثلاً يعلم الأطباء مما لا يعلمه غيرهم من ذلك أشياء مشهودة كثيرة جداً بالبحث والتحري والتجربة يصلون إلى معلومات عديدة وهم بالنسبة لغيرهم عندهم توسع وكل واحد منهم عنده علم الشهادة كبير جداً، وكل واحد منهم يعلم أن ما يجهله أضعاف ما يعلمه مما يحتاج إلى بحث ونظر يمكن أن يدركه الإنسان.. فمثلاً في علم الزراعة والنباتات وأنواعها تجد أن العالم بشيء من ذلك عنده من أنواع العلوم ما ليس عند غيره ويعرف كيف ينمو هذا النبات وأنواع ساقه وأوراقه وثماره وأنواع النباتات المختلفة، كل هذا علم من عالم الشهادة من العلوم المشهودة للناس وكل علم من ذلك، فمثلاً نقول علماء الفلك يدركون من أنواع الكواكب والنجوم والشهب أنواع عديدة ومساراتها وكيفية دورانها وموضعها في السماء.. بلا شك أن يدرس هذا العلم، وكل ذلك من علم الشهادة وعلم الشهادة هذا أضعاف أضعافه علم الغيب، إذا كان ذلك موجود في السماء الدنيا فقط وفي الأرض التي نعيش عليها، ما في البر والبحر أنواع مما لا يحيط العباد به علماً ولا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالي مع أنه من الأمر المشهود أو من شاء الله

عز وجل أن يعلمه كما غاب بعد ذلك وهو أكبر لأنه كلما صعد في السماء كلما اتسع الأمر وذلك أن السماوات بعضها أكبر من بعض وبعضها أوسع من بعض ولذا لما كان العرش سقف المخلوقات كلها كان أوسع منها جداً وكان عظيماً وهو بالنسبة إلى السماوات السبع والأرض السبع .. السماوات السبع إليه كحلقة في فلاة، ما غاب عن العباد أضعاف ما شهدوه والله عز وجل عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم سبحانه وتعالى.

" الذي علم ما كان وما يكون وما لم يكن كيف يكون".

العبارة هذه مأخوذة من السلف وهي مستنبطة من القرآن.

" علم الله ما كان ".. الأمور التي مضت وحدثت فيما سبق وجودنا.. علم الله عز وجل كيف كان ولو استحضر الإنسان ماذا اختلف الناس فيه في الأحداث الماضية.. يعني يقولون وقع كذا وآخرون يقولون لم يقع كذا والناس بالنسبة للتأكيد من الماضي إنما يعتمدون على الأخبار وهي متناقضة والله عز وجل أعلم بما وقع من ذلك.. يعلمون الأحداث الكبرى آلاف السنين التاريخ المسجل بالنسبة لنا لا يتجاوز خمسة آلاف سنة كما يقولون، في الحقيقة غير مسجل تسجيل تام ومسجل بطريقة الله أعمل بها وأخبار الله أعلم بحقيقتها، والبشر كم عاشور قبل ذلك ملايين السنين آلاف على الأقل أقل شيء وجدوا أشياء من سبعمائة وخمسين ألف سنة آثار إنسانية تتخيلوا إنسان كم عاش؟! والذي حدث قبل ذلك؟! وقبل وجود الإنسان ما الذي حدث على وجه الأرض.. أشياء الله أعلم بها سبحانه وتعالي وقد علم الله ذلك تفصيلاً، علم ما كان بالتفاصيل الدقيقة. نحن نقول أننا نعرف الأحداث الكبير ة جداً نعرف أنه كان يوجد بناة للأهرام.. كان ما الذي حدث أثناء ذلك تفصيلاً والذي حدث من خلطات كل إنسان منهم وما الذي كان يحدث في نفسه وهم يعملون هذه الأعمال مثلاً.. وما الذي قبل ذلك وما الذي بعده الناس دائماً تهتم بأخبار الملوك.. وماذا عن أخبار عامة الناس ما الذي حدث في كل واحد.. في نفسه الواحد لما يتصور ذلك.. الإنسان نفسه كل واحد في نفسه لو أنه يُحصر ما الذي حدث منه داخلياً.. كل كلمة خرجت وكل تفكير في نفسه وكل خاطر خطر في ذهنه ومشاعره الدقيقة والظاهرة.. ما الذي يقع في نفس كل طفل مثلاً .. تجعله يبكي.. تجعله يضحك الناس كلها لا تعرف ولا أحد يعرف في ذلك ولا حتى أمه وأبوه.. هم يلاحظوا أنه ضحك اليوم أو أمس أو ضحك كذا ضحكة لا يحصيها أحد أما ماذا حدث في نفسه هو نفسه لن يتذكرها بعد سنين طويلة يقولوا له إنك كنت تضحك وأنت صغير ويلتقطوا له صورة وهو يضحك أو وهو يبكي مثلاً.. لا أحد يعرف ما في نفس هذا الطفل ولا هو نفسه متذكر.. سنتين.. ثلاثة سنين منزوعين من ذاكرة الإنسان أصلاً لا يعرف شيء عنهم شيء مع الجزم بأنهم حدثوا لكن هو نفسه

لا يعرف شيء عنهم ولا أهله ولا أحد يهتم بذلك مع أن هذه الأمور قد أحاط بها علماً..

علم الله ما كان سبحانه وتعالى.. فضلاً عما غاب عنا، الملائكة ماذا وقع في نفوسها ومن قوة وإرادات وعبادات.. عالم الشياطين.. عالم الكائنات التي ليست مذكورة ألبته.. مثل الحيوانات فلا أحد سيبحث ماذا فعلت الحيوانات مع بعضها في الغابات؟!! ولا ماذا فعلت الحشرات؟!! وما الذي جعلها راغبة في شيء ونافرة من شيء وهاربة من شيء؟!! سبحان الله!! الله عز ودل قد أحاط علماً بذلك كله الإنسان عندما يفكر في معاني إحاطة علم الله سبحانه وتعالي بالكائنات.. أنواع المعلومات التي أحاط بها علمه عز وجل.

" علم ما كان وما سيكون " المستقبل ماذا سيكون فيه.. الناس شغوفة دائماً أن تعرف المستقبل وما الذي سيحدث.. ما الذي سيكون والله عز وجل قد أحاط بذلك علما واستأثر به سبحانه وتعالي.

وما لم يكن لو كان كيف يكون.. هذا أضعاف مضعفة عما كان عندما يأتي واحد يفكر الذي كان من الممكن أن يحدث.. كيف كان سيحدث؟!! عشرات الآلاف .. الملايين من الاحتمالات.

ويقولوا مثلاً جزيء البروتين أساساً من كذا نوع من الذرات من الهيدروجين والكربون والنيتروجين أساساً والأكسجين مركبين بطريقة معينة لو كونوا بطريقة أخرى يكون سم قاتل.. من المكن أن يكون سم قاتل من نفس هذه العناصر المكونة، وهناك مئات .. آلاف الملايين من الاحتمالات لتكوين الأشياء يغير ما هي عليها.. فضلاً عن الأحداث الكبيرة.. إن مثلاً إن لم يكن فلا هذا مات ما الذي يمكن أن يحدث؟!! وإن لم يكن هذا الذي عاش ما الذي ممكن أن يحدث وربنا سبحانه وتعالي قال في بيان علمه

ما لم يكن لو كان كيف يكون، قال ﴿ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾[الأنعام: ٢٨]

وقال سبحانه وتعالي ﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴾ [الكهف: ٨٠]

فعلم الله ما لم يكن لو كان كيف يكون.. هذا الغلام لو كبر لكان كافراً.. أي لو كبر باعتبار ما سيكون ولأرهق أبويه طغياناً وكفراً..

هذا إشارة إلى علم الله.. ما لم يكن لو كان كيف يكون، هذا أمور أعظم قال الله عز وجل ﴿ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ﴾[آل عمران: ١٥٤].

لو أن واحد مكتوب عليه القتل لكن لم يحدث أن حدث هذا لحدث بطريقة أخرى.. كيف كان سيحدث ..؟!! الله عز وجل قد أحاط بذلك علماً..

علم الله ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [يونس: ٦١]

الذرة هذه الغبار الذي نراه في ضوء الشمس... كفه الميزان فيها كم ذرة ؟!!

أضيء نور في ظلام وأنت تعرف كم ذرة في كفة الميزان هذه؟!! ملايين من الذرات التي لا تؤثر فيه، الواحد لو قذف ببعض التراب سيجد مئات ولو وضع أحد يده على الرمل وأخرج يده لا يعرف أن يعدهم وهذه الكمية التي لا يستطيع عدها في كف

الإنسان بحجم يده.. انظر في الصحاري كم بها من حبة رمل وحبة حبة الرمل هذه من الممكن أن تتكسر ويكون بها كم ذرة تراب.. ذرات التراب أخف من الرمل بمراحل .. ذرة الرملة الواحدة من الممكن أن تكون ملايين ذرت الغبار وذرة الغبار التي يراها الإنسان فيها ملايين الأجزاء التي هي أدني من ذلك، التي ليس عندهم لها تسمية فسموها ذرة لأنها أصغر شيء عند العرب فالله عز وجل ما يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض.. الأرض هذه كم حجمها بكل ما فيها سبحان الله... يعني الغبار الموجود في السماء مثلاً في السماوات كلها وبين الكواكب وبعضها.. ذرات تتحرك بطريقة الله أعلم بها والغبار الذي في المجرات الذي لا يحيط به البشر معرفة بدرجة من الدرجات إنما يروا فقط شيء يقولوا طولها مثلاً كذا سنة ضوئية لو الضوء امتد بآلاف السنين عبارة عن غبار لم يتكون كواكب .. بل مجرد ذرات من الأشياء أو كواكب حولها أغلفه مثل كوكب زحل .. كوكب زحل هذا حوله حلقات دائرية ملونة هذه الحلقات عبارة عن ذرات تتحرك تخيل كل ذرة من هذه الذرات التي لا حصر لها عند البشر ولا يقدرون على التخيل كم عددها.. قد أحاط الله سبحانه وتعالي علماً بذلك لأنه الذي أوجدها عز وجل وجعلها تتحرك بنظام وإن لم تكن بنظام لم تكن تظل بهذه الألوان العجيبة الجذابة وتدور حوله بملف دائري متقن محكم ما يخرج عن هذا الوضع منذ آلاف ملايين السنين الله أعلم لا نعرف كم من السنين مضت وهذه الأشياء بهذا الإتقان التام وهذا الإحكام البالغ

﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [يونس: ٦١]

قلنا ذرة الغبار التي من الممكن أن تنقسم إلى ما هو أصغر من ذلك ﴿ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾[يونس: ٦١]

قد كتب الله الله كل ذلك تحركات هذه الذرة ذاهبة.. عائدة.. تحركات أجزائها التي أصغر منها وكل شيء في الآخر حتى نقول دوران الإلكترونات حول الذرة.. من الأشياء العجيبة جداً التي لم يتعلمها الإنسان إلا بعد عشرات الآلاف من السنين وعرف وجودها بالدلائل المحسوسة بدرجة أنه لم يكن يراها لكنها محسوسة.. سبحان الله عندما يجدها تدور بنفس النظام الذي يدور به كل شيء حتى في الكون نفس هذا النظام نظام المركز الذي يدور حوله أشياء في مدارات مثل ما تدور الكواكب حول شموسها.. مثل الذرات الإلكترونات تدور حول مركز نواة الذرة مثل ما يطوف الناس المسلمين حول الكعبة في نفس الإتجاه عكس اتجاه دوران عقارب الساعة.. اتجاه الطواف بالكعبة هو نفس اتجاه دوران الإلكترونات حول نواة الذرة، هو نفس اتجاه دوران الأرض والكواكب حول الشمس الإنسان عندما يرى هذا، عندما يعرف على سبيل المثال أنها في سبع مستويات خصوصاً من الدوران.. هم سبع مدارات حولها، عندما يأمرنا الله أن نطوف سبع مرات حول الكعبة فعلاً يظهر لنا بجلاء أن خالق الكون واحد وأن الذي أمرنا بالطواف حوال الكعبة هو خالق هذا الكون سبحانه وتعالي الذي قد أحاط علماً بذلك كله عز وجل

قال " يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها "...

من آيات القرآن.. يعلم ما يدخل في الأرض.. يدخل فيها من أمطار تنزل فيها من حبات المطر التي تدخل في باطن الأرض وتستقر فيها وتصبح ماء تجري في الأنهار أو في العيون وهذه الحبات تستمر في السريان بطرقة معينة حتى تتجمع في أماكن معينة البذور التي تدخل في الأرض مما زرعه الإنسان ومما لم يزرعه.. فإننا ننظر إلى هذه الغابات الهائلة الموجودة حول أحواض الأنهار الكبيرة مثل الغابات الاستوائية في إفريقيا أو غابات الأمازون غابات ربما ما دخلها إنسان.. إذن متى نبتت هذه الأشجار وكيف

وبذورها كيف وصلت للأرض قد أحاط الله عز وجل علماً بذلك وهذه البذور ظلت في الأرض مستقرة أزمنة معينة ونبتت بعد ذلك بطريقة معينة ..

يعلم ما يلج في الأرض .. يدخل فيها، وما يخرج منها مما يدخل الأرض فضلات الناس على سبيل المثال شعر الإنسان كل يوم يقع من كل إنسان عشر شعرات أين تذهب نحن نرميها أنا لا أدري الشعرة التي كانت بالأمس أين ذهبت وهكذا كل واحد يقع منه شعر من غير ما يشعر هذا غير ما يخرجه الإنسان ليدفنه مثلاً.. أظافر الإنسان الذي يقصها ويلقيها ومن يتبع السنة يدفنها أو يجعلها في مكان حتى يدفنها فهذا الأمر أين ذهبت.. هل أحد يبحث عن فضلاته كيف انتهت وذهبت إلى الأرض كل ما يدخل في الأرض أجساد الأموات من بشر ومن مخلوقات.. حيوانات ونباتات ومما لا يعلمه العباد تدخل في الأرض كل يوم يدخل في الأرض أشياء ويخرج منها أشياء.. قد أحاط الله علماً بذلك.

الإنسان عندما يفكر في هذه الأشياء يحدث له انكسار رغماً عنه وعجز وأن هذه الأشياء موجودة بالفعل وأكثر الخلق لا ينتبهون لها.. أن هناك أشياء تدخل وأشياء تخرج كل يوم.. في كل لحظة.. بخار الماء الذي يخرج من الأنهار والمحيطات.. نباتات الأرض التي تخرج ما يخرج من الأرض من أنواع الخيرات من الكنوز والمعادن والمياه التي تنبع من العيون ونحو ذلك كل يوم يخرج أشياء من الأرض.. قد أحاط الله علماً بذلك في الأرض كلها.

هل هناك مخلوق يحيط علماً بذلك كله.. وهذه الأشياء موجودة بالقطع وكل منها بنظام متقن يجزم بأنها لا يمكن أن تقع مصادفة ولا يمكن أن تقبل أن تكون عبثاً وسدى.. قد أحاط الله علماً بما يدخل في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء كما ذكرنا من مطر من ملائكة.. من شياطين تنزل مثلاً من السماء الدنيا إلى الأرض من غير ذلك من أشياء متعددة وما يعرج فيها. ما يصعد فيها تصعد فيها الملائكة أيضاً..

تعد أعمال العباد طيبها وخبيثها تصعد الأرواح منها ما تفتح لهم أبواب السماء ويصعد ومنها ما تغلق أمامه أبواب السماء ولا تفتح له أبواب السماء ويرد إلى الأرض ويلقى والعياذ بالله ﴿ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ﴾ [الحج: ٣١].

قدر الله عز وجل كل ذلك ما يعرج في السماء وما يصعد فيها يكفي فقد التفكر في أعمال العباد المتفاوتة هؤلاء البشر أعمالهم خير وشر وظلم وعدل.. إيمان وكفر كل يوم من ملايين البشر.. آلاف الملايين من البشر كل يوم يصعد لهم أعمال كل لحظة من اللحظات.. الله قد أحاط علماً بذلك سبحانه وتعالي..

يقول المصنف: "كيف لا وهو الذي خلق وقدر "..

﴿ سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ٢ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ [الأعلى: ١ – ٣].

سبحانه وتعالي جعل كل ذلك بمقدار هو الذي خلق وهو الذي قدر سبحانه وتعالي يقول صاحب المعارج :﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾[الملك: ١٤].

وقد علم بلطفه سبحانه وتعالي.. اللطيف فيه معنى الخفاء.. ذلك أن الله دبر وقدر سائر الأمور من حيث لا يشعر البشر من لا يدرون وقد أحاط الله علماً بذلك من حيث لا يعلمون.

الخبير

الاسم الدال على كمال وإتقان العلم كما نقول في دنيانا لا أحد في الحقيقة خبير بشيء.. خبير بالشيء الفلاني يعني علمه فيه كامل الإتقان بالنسبة لغيره وإلا فالعلم المتقن التام إنما هو لله سبحانه وتعالى.

رحمن الدنيا و الآخرة ورحيمهما

الذي كتب على نفسه الرحمة وهو أرحم الراحمين الذي غلبت رحمته غضبه.. كما كتب ذلك عنده علي عرشه في الكتاب المبين، الذي وسعت رحمته كل شيء وبها يتراحم الخلائق بينهم كما ثبت ذلك من سيد المرسلين فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحي الأرض بعد موتها ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩].

الرحمن الرحيم

اسمان أحدهما أبلغ من الآخر، اسم الرحمن أبلغ من اسم الرحيم، الصحيح من المحققين أن اسم الرحمن الاسم الدال على صفة الذات فكل من سوى الله عز وجل مرحوم بهذه الرحمة كما أن كل من سوى الله مخلوق بكونه سوى الله إذن لابد أن يكون مخلوقاً لأن الله هو الخالق ومن سواه هو مخلوق فكذلك كل من سوى الله مرحوم لأن هذا الاسم اسم الرحمن إذن لابد أن ينال جميع الخلق من أثره لابد أن ينال جميع الخلق من رحمته عز وجل وهذا الاسم الدال على صفة الذات غير متعلق بالمشيئة أو الإرادة، الصفات الذاتية لا تتعلق بقدرة الله ومشيئته لا يقال يقدر أن يفعل أو لا يقدر ولا.. يريد أو لا يريد وذلك لأن كمال الصفات الذاتية ألا تتعلق بالإرادة والمشيئة والقدرة وإنما هي من لوازم الذات كلزوم صفة القدرة والمشيئة.. صفة القدرة والمشيئة من لوازم كمال الذات أن الذات الكاملة لابد من قدرة ومشيئة زوال القدرة أو زوال المشيئة أو عدم الاتصاف بها من علامات النقص، أي قدرة ليس فيها قدرة ولا مشيئة تكون

ناقصة فمن لوازم كمال الذات أن تكون لها قدرة ومشيئة في من لوازم الذات أيضاً الحياة وهذه أولى في اللزوم من لزوم القدرة والمشيئة صفة الحياة لا يمكن أن تتعلق بالقدرة والمشيئة لماذا؟!! لأننا نقول أن القدرة والمشيئة من لوازم الحياة.. الحياة ألزم إلى الذات من القدرة والمشيئة نعني بذلك.. هل الله يقدر أن يموت.. يقدر أن يولد لا هذه من معاني الحياة.. مثل ما يقول النصارى عندما يحتفلون بعيد النصارى المجيد يخفوا عن الناس خيبتهم العظيمة، عندما يحتفلوا بأن الله مات يقولوا أن هذه من القدرة العظيمة أنه قام من الأموات، فهذا في الحقيقة من العجز التام أنه في الحقيقة مات، يحالوا أن يلبسوا على الناس يقولوا هذه قدرة، عندما نقول لهم كيف يموت يقولوا أنه قدر هذا لكي يثبت قدرته، فهم يجعلون الحياة متعلقة بالقدرة.. فالحياة من لوازمها صفة القدرة وإنما ليست متعلقة تحت القدرة والمشيئة فإنه لكي يكون قادر لابد أن يكون حي، فكيف يقولون أن قادر أن يموت هذا كلا متناقض.. هذا كلام باطل بالقطع مثل ما نقول أنه لم يلـ ـد ولم يولد.. يقولون يستطيع أن يولد ويستطيع أن يولَد لا هذا إنما هذا كماله ألا يكون ذلك متعلقاً بالقدرة، فمعنى أنه يولد أن المولود منه كان غير موجود في البداية كان ليس له وجود أولاً لم يكن له وجود ثم ولد فهذا معني الولادة لذلك يقولون مثلاً في تعريف المسيح اكنوم الابن المولود من أبيه قبل كل الدهور المولود من أبيه.. يقولون بعد ذلك قبل كل الدهور.. كيف يكون قبل كل الدهر..؟!! هذا كلام متناقض لأن كلمة مولود معناها كان هنا لحظة غير موجود فيها ثم ولد أو يقولون الروح القدس المنبثق من الأب إذن هناك أصل وفرع إذن بالقطع الأصل كان موجود قبل الفرع هذا ببداهة العقول، لا يقبل غير ذلك عاقل لكن يرجعوا ويقولوا هذا أذلي كيف أذلي وهذا أصله فكيف يكون أصله ثم بعد ذلك أثبت له الموت في النهاية هو الحقيقة التوالد أصلا بالنسبة لنا معنى كمال لكن في الحقيقة تدل على النقص لماذا؟!! لأن الكائنات تتوالد حتى يبقى نوعها لأن هي متعرضة للموت فلكي يبقى هو سيكون قديماً بعد حين ولا يستطيع أن يواصل فيكون هناك شيء آخر تقوم مقامه والذي لا يقبل التوالد من

الكائنات يضمحل فالتوالد مع أنه نوع من الكمال نسبي إلا أنه عند الإطلاق نقص لأنه يدل على الحاجة إلى الاستمرار بعد الموت.. يدل على الموت وكونه مولود يدل علي أنه كان غير موجود ألاً. فنقول مثلاً صفة الوحدانية هذه من لوازم الذات غير متعلقة بالقدرة لا نقول قادر أن ينقسم أم غير قادر، مثل ما يقولوا الكلام السخيف جداً كلام المتكلمين والفلاسفة يقولون هو قادر أن يخلق مثله عندما تأتي لتفكر فيها تقول مثله هذه كيف ؟!!كونه الخالق غير مخلوق هذه من صفات الذات لا توضع تحت القدرة فهذا السؤال يكون سؤال باطل بالقطع لأن كلمة مثله كيف تكون؟ مثله يعني خالق غير مخلوق، فكيف يخلق خالق غير مخلوق فهذا كلام متناقض فكيف تقولون تحت القدرة.. وبعض الجهلة يقولون نعم يقدر أن يخلق مثله.. هذا الكلام السخيف الذي هو غير مقبول بالمرء الكلام نفسه باطل أصلاً لما لأن كونه غير مخلوق.. الخالق غير مخلوق هذا من صفات الذات فنقول اسم الرحمن الدال على صفة الذات غير متعلق بالمشيئة، اسم الرحيم هو الذي يتعلق بالمشيئة بمعنى أنه يرحم من يشاء هذه الرحمة الخاصة أما الرحمة العامة فهذه غير متعلقة بالمشيئة يعنى كل من سوى الله لابد أن تناله هذه الرحمة لابد أن يرحم وذلك في الدنيا والآخرة على الدوام لذلك صح الحديث رحمن الدنيا والآخرة و رحيمهما يعنى هناك رحمة عامة في الدنيا ورحمة عامة في الآخرة والرحمة العامة في الدنيا ظاهرة جداً وتجد أن كل موجود تظهر عليه آثار صفة الرحمة وجوده أصله بكيفية فيها بقاءه واستمراره وحياته فيها آثار الرحمة انظر إلى الكائنات حتى العشرات فيها آثار الرحمة كيف ترعى بيضها حتى تضعه في أماكن مستترة لكى ينشأ بعد ذلك سبحان الله كما قال النبي ﷺ في إرشادنا إلى التفكر في آثار صفة الرحمة قال:" إن الله جعل الرحمة مائة جزء فادخر تسعة وتسعين إلى يوم القيامة وأنزل منها رحمة واحدة فبها تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها بجزء.. انظر عندما تتوزع هذه الرحمة على كل البشر كم ينال كل واحد منها من يوم أن خلق الله سيدنا آدم حتى آخر واحد يخلقه الله عز وجل من البشر وبها كم من الدواب ترفع حافرها عن ولدها".. فكم نرى

من حيوانات مفترسة عندها رحمة بولدها؟!! حتى الكلاب الحمير.. كل هذه الحيوانات.. الطيور تجد العصفورة حـ ـريصة جداً علي بيضها وتراعيه وأول ما يخرج الفرخ تقلبه يمين وتقلبه شمال شيء عجيب والله.. هذا كله نصيب من الرحمة وتجد بعض الكائنات بعضهم الرحمة التي في قلوبهم الرحمة التي جعلها الله أكثر من رحمة بعد البشر.. من الموجودة في قلوب بعض البشر مع أن البشر أعقل الكائنات لكن من الممكن أن تجد الرحمة التي في قلب هذا الطائر على ولده أكثر بكثير من كثير من البشر بأولادهم فضلاً عن غيرهم فالله أعلم برصيد كل مخلوق من هذه الرحمة، لكن تعرف أن هذه الرحمة من يوم أن خلق الله الأرض إلي أن يرث الله الأرض ومن عليها واحد في المائة وتسعة وتسعين مدخرة ليوم القيامة هذه رحمة عامة ورحمة عامة، ويوم القيامة الرحمة العامة موجودة أيضاً لن يتعذب أحد بذنب غير ذنبه.

الحسن رحمه الله له كلمة جميلة جداً يقول:" أن أهل النار دخلوا النار وإن حمد الله الله لفي قلوبهم لا يستطيعون غير ذلك"، لا يستطيعون أن يقولوا غير أن الذي حدث هذا هو العدل والحكمة فمن مظاهر رحمته العامة عز وجل يوم القيامة العدل أن أهل النار هؤلاء سيعذبوا على ذنوبهم فقط ولا يتحملون وزر غيرهم ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[الزمر: ٧].

هذه رحمة عامة وأن من أهل التوحيد والإخلاص من أهل النار من يخرجون برحمة أرحم الر احمين سبحانه وتعالي، ومنهم من لم يعمل خيراً قط هذه رحمة خاصة ولكن الرحمة الشاملة التي تشمل كل المخلوقات التي من أهل الجنة لهم أعظم نصيب منها وأهل النار حتى وهم يعذبون لا يعذبون إلا على ذنوبهم .

كلمة الحسن على المشركين أصلاً هم لا يستطيعون أن يقولوا كلمة الحمد لله ليس على أنهم في راحة لكن الله يستحق الحمد على ما فعل على أسوأ المكروهات

بالنسبة لهم وفي أنفسهم يعرفون أن الله لا يستحق إلا الحمد ولم يظلهم وعارفين أن الله لم يظلمهم سبحانه وتعالي،.

رحيم الدنيا

فالرحمة الخاصة ما يجعله في قلوب عباده المؤمنين من الإيمان وهو ما يتفضل الله عز وجل عليهم به من نعمة الإسلام وإنزال القرآن الرحمة التي أدركوا بها أعظم ما في الوجود والتقرب إلى الله سبحانه وتعالي حبه سبحانه وتعالي والشوق إليه، وإلا فالإنسان أصلاً مسألة الرحمة العامة أنه مثلاً يرحم الضعيف أو المساكين ويرحم ولده الذي تكون منه هذا يكون فطرة في الإنسان ويجد لذة أن يرحم هذا الضعيف أعظم اللذات الموجودة في الوجود هي التقرب إلى الله عز وجل وحبه فالرحمة بوجود هذا في الوجود أضعاف أضعاف الرحمة بوجود الولد ونحو ذلك أو الرحمة بالضعيف ونحو ذلك فرحمة الله بعبادة المؤمنين أعظم لذلك قال عز وجل ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمًا ﴾[الأحزاب: ٤٣].

رحمهم رحمة خاصة بهم حين هداهم للإيمان ويطلبون منه الرحمة لمغفرة الذنوب وبجاتهم يوم القيامة، بل الرحمات المدخرة لهم يوم القيامة رحمات عظيمة أعظم من كل ما في الدنيا من رحمات تسعة وتسعين مدخرة ليوم القيامة حتى تنال رحمة الله أشد العصاة نسأل الله عز وجل أن يرحمنا في من رحم سبحانه وتعالي الذي كتب على نفسه الرحمة.

قلنا اسم الرحيم اسم الدال على صفة الفعل الذي هو متعلق بالمشيئة فهذا يرحم من يشاء ويعذب من يشاء.

الرحمن

كل من سوى الله مرحوم بكونه سواه.. سوى الله، لابد أن تناله شيء من هذه الرحمة وإن كان الخلق يتفاوتون فيها بالتأكيد لكن الكل لابد أن يناله هذه الرحمة مثل

أن كلهم مخلوقين فكلهم مرحومين وأما الرحمة الخاصة فبالإيمان وبجزاء الإيمان في الجنة رحمة الله سبحانه وتعالي يرحمك بها من يشاء هذه رحمة خاصة ليست في كل الخلق الذي كتب على نفسه الرحمة أي أوجب على نفسه الرحمة هو أوجبها على نفسه كتبها على نفسه سبحانه وتعالي مظاهر ذلك ﴿ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [الأنعام: ٥٤].

هو أرحم الراحمين سبحانه وتعالي كما قال يعقوب عليه السلام ﴿ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[يوسف: ٦٤].

يعني هو كان يرحم يوسف جداً ويرحم أخوه بنيامين أنه أصبح أسير هو الآخر ونحو ذلك ولكن الله سبحانه وتعالي هو أرحم الراحمين كانت رحمته بيوسف عليه السلام كانت أعظم من رحمة أبيه له لو أن أبوه برحمته كان بجانبه لم يكن سيدنا يوسف حصل للمنازل العظيمة التي وصل لها رحمة الله بالعباد أرحم من رحمتهم بأنفسهم.. أرحم الراحمين والله عز وجل أرحم بعباده المؤمنين من الأم بولدها لذلك الرسول ﷺ لما قال:" أترون هذه طارحة ولدها في النار؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: فالله أرحم بعباده.. العباد هنا بمعنى العباد، العابدين– الله أرحم بعباده من هذه بولدها " فعباده المؤمنين هو أرحم بهم من أمهم وأبيهم .. أرحم الراحمين.

أثر هذا

أن الله سبحان وتعالي يرحم كما قل ﷺ " الراحمون يرحمهم الرحمن أرحموا من في الأرض يرحمكم من السماء".

هذه من آثار رحمته عز وجل أنه يحب الرحمة سبحانه وتعالي سيقولون الرحمة ضعف وميل وشفقة، الرحمة غير محتاجة لتفسير ولكي تعرف معنى الرحمة انظر للبقرة

وهي تلعق ابنها، انظر للعصفورة وهي تقلب أولادها الذين لم ينبت لهم ريش وتأمل كيف أن أبوهم وأمهم يحضروا الأكل ويتعبوا ويضعوه في فمهم وربما الرحمة ترى آثارها أما أن تعرفها التعريفات الكلامية ونحو ذلك ما لزام ذلك هذه مشاعر، عندما تضع المنطق الرياضي وكلام أرسطو عليه يطلع كلام لا ينفع بحال من الأحوال كأنك تريد أن تقيس مقاس روح الإنسان كم طولها وكم عرضها هل أحد يستطيع أن يقيسها؟! ولو أنك قلت كذلك ستضحك عليك الناس مثل ما تضحك علي من يقول نحن سنستطيع نزن الروح لنراها كم جرام هذا كله من خزعبلات العقول لن تستطيع أن تزنها ولا أن تعرف طولها لأن لها موازين أخري، موجودة لكن لها موزين أخري فالمعاني التي توجد في القلوب والتي تدركها القلوب ربنا فطر العباد على معرفتها من غير تعريفات ما ينبغي أن تعرف بالتعريفات التي عرفوا بها هذه الأشياء.

يقول " الذي غلبت رحمته غضبه "...

يعني رحمته أوسع من غضبه كيف وتسعمائة تسعة وتسعين سوف يدخلون النار وواحد فقط سوف يدخل الجنة فكيف يكون رحمته وسعت غضبه؟!! لماذا أنت نظرت للبشر وحدهم، هؤلاء البشر كم يطلعوا من كائنات أوجدها الله عز وجل ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [المدثر: ٣١].

عدد المرحومين الذين في الوجود أضعاف أضعاف عدد المعذبين ربنا رحمته عز وجل بالملائكة التي لا يعلمها إلا الله ما من موضع أربع أصابع في السماء إلا فيه ملك راكع أو ساجد أو قائم كل هؤلاء مرحومين رحمة عظيمة جداً الكائنات المرحومة في هذا الوجود أضعاف أضعاف المعذبة فرحمته غلبت غضبه لم تقضي على غضبه غلبته لأنها أكثر ليس كما يحتج ابن المقيم رحمته غلبت غضبه إذن الغضب لابد أن يزول في النهاية ويضمحل ولن يوجد ضرر لغضب التي هي النار يحتج بها على فناء النار أو فناء عذاب

أهل النار لماذا لأن رحمته غلبت غضبه.. لا الحديث لم يقل الرحمة أزالت الغضب..

رحمته غلبت غضبه، هذا كتبه الله في الكتاب عنده قديماً نقصد عنده فوق العرش يوم قضي الله مقادير الخلائق كتب عنده في كتاب أن رحمته غلبت غضبه ومع ذلك ففي غضب في الدنيا إذن هذا الكتاب لم يقتضي زوال صفة الغضب وبالتالي لم يقتضي زوال صفة الغضب يوم القيامة صفة الغضب لن تزول ولكن ممكن غضب يوم القيامة لن يكون مثله غضب قال ﷺ عن الأنبياء ": إن ربي غضب اليوم غضباً لن يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ".

لم يقل لن يغضب بعده بعد ولكن لن يغضب بعده مثله هناك غضب أشد من غضب وغضب أقل من غضب فالغضب الذي بعد يوم القيامة سيكون أقل لكن الغضب الذي أدخل الكفار النار حبسهم فيها هو غضب يوم القيامة وهذا لن يكون مثله بعد ذلك لكنهم قد حبسوا ، هذا الغضب حبسهم الله عز وجل في عقابه والعياذ بالله.

قال " الذي غلبت رحمته غضبه كما كتب ذلك عنده علي عرشه في الكتاب المبين"

يعني في الكتاب الذي على العرش " إن الله كتب كتاباً فهو عنده فوق العرش إن رحمتي سبقت غضبي أو غلبت غضبي".

يعني رحمة الله أوسع وأكثر، وعدد من يرحمهم الله أكثر ممن يعذبهم سبحانه وتعالي وممن يغضب عليهم .

يقول" الـ ذي وسعتَ رحمته كل شيء بها تراحم الخلائق بينهما كما ثبت ذلك عن سيد المرسلين ﷺ قال فيها ترفع الدابة حافرها عن ولدها فانظر إلى آثار رحمة الله.

فالمطر من رحمة الله وبسبب رحمة الله وهو ليس صفة الله القائمة به ولكن أثر من آثار صفة الرب عز وجل الإنسان عندما يتفكر في صفة الرحمة ينظر للرحمة التي توجد في الخلق وما رحم الله به عباده من نزول المطر التي له تجري الأنهار وبه تُملا العيون والآبار وبه ينبت هذا الزرع بعد ذلك الذي به قوام حياة الإنسان والحيوان حياة كلها قوامها على هذا المطر فتحي به الأرض بعد موتها الأرض تكون ميتة بالفعل، الأرض تكون ميتة معناها أن كل ما بها ميت وهي فعلاً تكون مادة ميتة، تكون طين ميت يتحول لهذا التراب وهذا الماء والماء يكون ميت أيضاً يتحول بقدرة الله سبحانه وتعالي من خلال بذرة النبات الضعيفة التي كانت المادة الحية التي بها واحد جرام مثلاً أكثر، أقل تتحول إلي مادة بالأطنان من المادة الحية، نبات حي فعلاً وقوام الإنسان عليه ويتناوله ويصبح حياة الحيوان كذلك كما ذكرنا قوامه عليه .

يقول ﴿ فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآ ﴾ [الروم: ٥٠].

إن الله يحي الموتي ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [الروم: ٥٠].

سبحانه وتعالي كما أحيا الأرض بعد موتها وجعل هذا الشيء الميت شيئاً حياً وموجود في كائن فكذلك قادر عز وجل أن يحيا الموتى كما بالمطر أيضاً كما ثبت ذلك عن النبي ": يرسل الله ماءاً مطراً من تحت العرض منه تنبت أجساد الخلق" ، نبات الأجساد يكون بالمطر الذي ينزل كما أن لإنبات النبات يكون بالمطر الذي ينزل فنزول المطر يوم القيامة بين النفختين تنبت منه أجساد الناس تحت الأرض ثم بعد ذلك تأتي الأرواح بالنفخ في الصور فتدخل في الأجساد النابتة .

الملك

يقول:﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ وقال:" الملك الحق الذي بيده ملكوت كل شيء ولا شريك في ملكه ولا معين المتصرف في خلقه بما يشاء من الأمر ومن النهي والإعزاز والإذلال والإحياء والأمانة والهداية و ا ل إ ض ل ا ل ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٤] لا راد لقضائه ولا مضاد لأمره ولا معقب لحكمه ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَاسِبِينَ ﴾ [الأنعام: ٦٢] ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير .

كما وصف نفسه سبحانه وتعالي هو ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ﴾[الحشر: ٢٣].

ثبت أن النبي ﷺ قرأ في الفاتحة ملك يوم الدين وذلك لأنه يظهر في يوم القيامة الملك لله سبحانه وتعالي بلا شريك ولا منازع ولا حتى من يتسمى بمجرد الاسم وهو عز وجل ملك الدنيا والآخرة ومالك الدنيا والآخرة والملك من المُلك وهو السيادة والأمر والنهي والله عز وجل له الملك وله الملك.

اسم المالك

من الملك واسم الملك ومن المُلك قد يكون الإنسان ملكاً ولا يكون مالكاً كالملوك والرؤساء والكبراء ملوكا بمعنى يأمرون وينهون ولا يلزم أن يكون مالكاً لمن يأمرهم وينهاهم بل يكونون أحراراً ليس ملكاً له ولكنه ملكٌ عليهم وقد يكون الإنسان مالك لأشياء ولا يكون ملكاً ليس له أمر ونهي كمن له منزل وله أثاث وله مال فهو مالك لهذه الأ شياء وليس ملكاً يأمر وينهي وإنما الذي اتصف الرب عز وجل به من

صفة الملك كما ذلك فله الملك التام وله الملك التام سبحانه وتعالي فهو مالك كل ذرات هذا الوجود ما من ذرة تخرج عن ملكه عز وجل وهو الآمر الناهي فيها بما أراد بأوامره التي تنفذ وتكون بلا راد ولا معقب وهذا الذي أشار إليه الشيخ رحمه الله يقول المَلك الحق الذي بيده ملكوت كل شيء الحق لأن من سواه إن تسمى بالملك فليس ملكاً حقيقاً وقد ذكر الله عز وجل بعض عباده بصفة الملك ولكنه ليس ملكاً حقيقيا كما ذكرنا بعضهم سماه الله بذلك ووصفه بذلك بالحق الذي شرعه وأذن فيه سبحانه وتعالي مع كمال لعبوديتهم لله عز وجل كداود وسليمان وذي القرنين فقد وصفهم الله بالملك كما قال عز وجل ﴿ وَءَاتَـٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ [البقرة: ٢٥١] هذا عن داود

وقال عن سليمان ﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ﴾ [ص: ٣٥] وإن كان الأكمل في منازل العبودية عند الله عز وجل من لم يتصف بهذا الاسم، ولذا لما خَير النبي ﷺ بين أن يكون ملكاً نبيا وبين أن يكون عبداً رسولاً فاستشار جبريل فأشار إليه أن تواضع فاختار أن يكون عبداً رسولاً فعاش ﷺ بلا أبهة الملك ولا سلطانه إنما كان يأكل كما يأكل العبد ويلبس كما يلبس العبد يرقع ثوبه ويخصف نعله عليه الصلاة والسلام ويعتقل الشاة وتأخذ الجارية بيده فتنطلق به حيث شاءت وليس له بوابون علي الدوام ولا حجبة ولذا كان خلفاؤه الراشدون على هذه الصفة وكان الملك في أمتنا نقصاً ليس كمالاً وذلك لاتباعه عليه الصلاة والسلام كما قال ﷺ :" تكون الخلافة فيكم ثلاثون سنة ثم تكون ملكا". فجعل الخلافة التي هي أعلى قدراً وأرفع شأناً ثم بعد ذلك يكن الملك فنقول وبعض الملوك سماهم الله عز وجل ملوكاً قد كانوا بالباطل الملك فنقول وبعض الملوك سماهم الله عز وجل ملوكاً قد كانوا بالباطل كما قال عز وجل ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ

أَنۡ ءَاتَـٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨] وذكر ملك فرعون ، سبحانه وتعالي قال ﴿وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ قَالَ يَـٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَـٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَـٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۚ ﴾ [الزخرف: ٥١] لكن كلا النوعين سواء كان بحق أو باطل أي بإذن من الشرع أو بغير إذن منه ففي الحقيقة ليس ملكاً حقيقاً وإنما بداية الإنسان العجز والفقر ونهايته كذلك فلا يستمر المُلك لأحد ولا يبقى لأحد كما لم يبقى لمن سبق ولابد أ ن ينتقل لمن بعده ولذا كان التعلق به تعلق بظلٍ زائل وشيء زائف يزول مع مرور الوقت ولابد وهو حتى في أثناء ملكه لا يستطيع أن يأمر وينهي إلا ما أذن الله سبحانه وتعالي فيه هذا من الناحية الكونية القدرية فلو أمر أحد الملوك بأمر لينفذ ولم يقدر الله سبحانه وتعالي هذا الأمر ما نفذ ولا كان ولا وقع وإنما هو عز وجل ملك الدنيا لو أراد أن يحفظ الملك منهم ملكه وأراد الله نزعه منه لابد أن ينزع ولا يستطيع أن يبقى ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾[آل عمران: ٢٦].

فالله سبحانه وتعالي هو الملك والمالك لكل ذرة في هذا الوجود وهو وحده المتفرد في ذلك وهو سبحانه وتعلي لا معقب لحكمه شرعاً و قدراً وإذا حكم الله بحكم قدري وكوني وقع وكان ولابد أن ينفذ ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢].

حكمه يجري على الملوك والعبيد .. علي الغني والفقير.. علي الصغير والكبير.. علي من في السموات ومن في الأرض.. له ملك السموات والأرض أمره نافذ في هذا الملكوت الواسع وكلمة ملكوت فعلوت من ملك بمعنى له ملك السماوات له ملكوت

السماوات، له ملكوت كل شيء بيده الملك بيده ملكوت كل شيء أي له ملك كل شيء سبحانه وتعالي لا شريك له في ملكه إذا أمر بأمر فلا شريك له في ذلك الأمر ينفذ أمره ولا يحتاج إلى معين لينفذه الملائكة تحت ملكه وفي ملكه عز وجل لا يعينون الله كما يظن البعض وإنما أعمال الملائكة تنفيذ لأوامر الله وبقوة منه سبحانه هو الذي قواهم وأعانهم وهو الذي قدر ذلك وأراد وهذا كما أخبر الله عز وجل عن نفسه لا معين له في ملكه سبحانه وتعالي من مظاهر ملك سبحانه وتعالي أنه يتصرف في خلقه بما يشاء من الأمر والنهي كما ذكرنا الأمر الشرعي الأمر والنهي الشرعي لا معقب لحكمه فيه شرعاً بمعني أنه لا يجوز لمن يؤمن بالله عز وجل أن يري لأحد من الخلق أياً من كان حق التعقيب والقول بعد أمر الله عز وجل فلا يجوز لأحد أن يري لنفسه أو لغيره أو لأحد من الخلق حق القبول أو الرفض أو أن يُمضي ذلك الحكم أو أن لا يمضيه بل من رأي ذلك لنفسه أو لغيره فقد خرج من ملة الإسلام لأنه أقر بمنازعة أحد لله عز وجل في حكمه الشرعي وإنما يرى كل مؤمن لزوم القبول والخضوع لكل مخلوق إذا حكم الله عز وجل بحكم شرعي كما أنهم تحت حكمه القدري الكوني الله عز وجل لا معقب لحكمه قدراً لا يوجد ولا يكون إذا أمر الله بأمر كان ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢].

يعز من يشاء ويذل من يشاء.. يهدي من يشاء ويضل من يشاء.. يميت من يشاء ويحي من يشاء لا معقب لحكمه في ذلك أبداً وشرعاً لا معقب لحكمه لم يشرع الله ولم يجعل الله عز وجل لأحد أن يشرع للناس من دونه عز وجل ولا أن يعقب على حكمه إذا حكم ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

أما حكم الرسول ﷺ فهو ليس إلا إبلاغ حكم الله لذا اتفق أهل العلم، أهل الأصول وغيرهم أن الحكم في الحقيقة هو لله وحده لا شريك له لأن ذلك بمعنى الملك والله وحده هو الملك وهو سبحانه وتعالي المالك ولذلك أوامر الرسولﷺ إنما صارت واجبة لأن الله أمر بطاعته ولأن الله ألزم بإتباعه فهذا حكم الله وهو عليه الصلاة والسلام لا ينطق عن الهوى وإنما طاعة الرسول ﷺ وجبت طاعة لله سبحانه وتعالي قال عز وجل ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾[النجم: ٣ – ٤]

قال عز وجل ﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآىِٕ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ﴾ [يونس: ١٥] .

قال عز وجل ﴿ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾[الأحزاب: ٢].

فهذه كلها تثبت أن الحكم لله فالحكم هو الله عز وجل لأن ذلك بمعني الملك فهو لا معقب لحكمه عز وجل لا شرعاً ولا قدراً كما ذكرنا لم يجعل الله لأحد أن يعقب علي حكمه لذا نقول: أن من يري أنه يجوز للناس أن يسألوا أتوافقون علي حكم الله أم لا ويرى ذلك حقاً لهم فهذا خروج عن ملة الإسلام ومناقضة لما يعتقده كل مسلم بأن الله هو الملك الحق سبحانه وتعالي وأن بيده الملك وأن الملك لله وأن هو ملك الناس كما يكررها كل مسلم حين يقرأ ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴾ [الناس: ١ – ٢].

بل هذا كما يأتي من معاني الربوبية الأصلية الأساسية فالله عز وجل هو الملك الذي لا ملك في الحقيقة سواه وأن تسمي غيره بالملك فإنما هو علي سبيل المجاز وكذا الملك في الحقيقة ليس ملكاً حقيقياً لأحد من الخلق إذا تأمل العبد حال بدايته ونهايته

وقُبيل بدايته بشهورٍ بسيطة وبعد نهايته كذلك نقول بلحظات يظهر للإنسان إنه لا يملك كما أنه ليس بملك لا يوجد ملك حقيقي إنما العباد فقراء ضعفاء، كما وصف الله عز وجل﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾ [فاطر: ١٥].

فلو تأمل الإنسان حاله وهو نطفة وقبلها وهو في صلب أبيه وبويضة في بطن أمه أن يملك شيئاً في هذا الوجود ..؟!! ثم يولد عارياً ضعيفاً عاجزاً فقيراً إلى كل أسباب حياته فلو تُرك وشأنه لهلك في يومه أو ليلته أو لو بقى لحظات بعد ذلك لا يوجد به عقل يفكر ولا قلب يعقل ولا يد تبطش ولا رجل تمشي إنما يصرخ باكياً طالباً لأسباب حياته ولا يملكها في الحقيقة أحد بل يُجلي الله عز وجل سبب حياته شهوراً طويل من ثدي أمه وخروج ودخول نفسه، الهواء لا يملكه والله أحد، بل يوجد في الطب أسباب وفاة الطفل الوليد عدم تمدد الرئتين، لماذا لم تتمدد؟!! أسباب الله أعلم بحصرها ولكن الذي ندريه أنه لم يتمكن من أخذ النفس مات الطفل بعد ولادته بلحظات لا يستطيع أحد أن يغير هذا التغيرات.. تغيرات لحظية ساعة الولادة حتى يتمكن الإنسان من أن يتنفس الهواء، والله لا يملكه الإنسان ولا يملكه الطيب ولا تملكه الأم التي تصرخ من الألم ولا يملكه الأب البعيد المنتظر هل ولد الولد وتنفس الهواء أن لا؟؟

بكاء في اللحظة الأولى بشارة بأنه قد تمكن من أخذ الهواء من مكنه من ذلك؟!!

الملك الحق سبحانه وتعالي الذي يملك كل ذرة في هذا الوجود فأين ملك الإنسان في تلك اللحظات ثم بعد ذلك يتولد لديه الرغبة في أن يمتلك بعد أن يبدأ يعقل قليلاً يحب أن يُمسك بيديه ثم بعد ذلك يقول إن هـ ١ ا ملكي ليس ملكاً لأخي ولا لأختي وهذا لي كما يقول الطفل وتبدأ بعد ذلك وشاعرة بأنه يملك لابد أن يعلم أنه في الحقيقة لا يملك شيئاً كما ذكرنا فيما بين البداية والنهاية ملكة عارية مستردة فقهتها أم سليم ﵂ هذه

القضية عندما قالت لزوجها:" يا أبي طلحة أرأيت لو أن قوماً أعاروا عاريتهم أهل بيت فأرادوا أن يأخذوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم..؟!! قال: لا ، قالت فاحتسب ابنك".

لما مات ابنهما رضي الله عنهما وكانت قد أ مرت بدفنه رضى الله عنها فعلمت أن الولد عارية إنما أعطاهم الله وأخذهم كما قال النبي ﷺ في عزائه لابنته:" إن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجلٍ مسمى فلتصبر ولتحتسب".، لله ما أخذ .. ملك له عز وجل .

وله ما أعطى.. هو الذي أعطى لتتصرف فهم عبيد مربوبون في صورة ملوك مصرفين لكنهم في الحقيقة لا يملكون شيئاً لأن المُلك والملك الحق لله الحق المبين سبحانه وتعالي الذي يتصرف في الخلق كما يشاء﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾[الأعراف: ٥٤] له الخلق تفرد به سبحانه وتعالي وهذا من مظاهر ودلائل ملكه لا يوجد منازع في هذا لا من مؤمن ولا كافر يدعي أنه الذي خلق الخلق لا يمكن إنما الذي يدعي الربوبية عليهم يدعي حق السيادة بالأمر والنهي أما أن يدعي أنه الذي خلقهم وأوجدهم .. لذلك قال موسى عليه السلام ﴿ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[الشعراء: ٢٦].

لأن الله هو الذي له الخلق تفرد بذلك، لو أن أحداً ادعي أنه الرب فأين كان عندما كان الآباء الأولون؟!! أين كان هذا الإنسان.؟!! أين الذي قال أنا أحي و أميت.؟!! هل يزعم أنه يُجري الإحياء والإماتة علي هذه الكائنات تحيا وتموت بغير أمره وبغير إذنه زعم أنه ينازع لفظاً فقط عند قال ﴿ قَالَ أَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُ ﴾[البقرة: ٢٥٨].

فأمر فإحياء رجل كان محكوماً عليه بالموت أو أطلق سراحه وأمات رجل بريئاً كما ذكروا ذلك في التفسير عن النمرود، لكن في الحقيقة منازعة لفظية يغتر بها الجاهل وهو يعلم أن المنازع كذاب ليس له ملك في ذلك وفي الحقيقة ما أحيا الذي أحياه وإنما تركه

حياً وقد حييا قبل أمره بذلك وهذا الذي أماته قدر الله أن يموت قبل أن يقدر أو يأمر ذلك الملك وإن نازع بمعنى أن هذه الكائنات تحيا وتموت بأمره هو، فكذبه أوضح من كل شيء فالله سبحانه وتعالي له الخلق تفرد به عز وجل وله الأمر يأمر في ملكه وفي خلقه بما يشاء.

له الأمر شرعاً وله الأمر قدراً...

أما قدراً.. فلا منازع في ذلك فالأوامر تنزل من عند نافذة والكل يقر حتى من ينكر وجود الله رغماً عنه يقر بأن هناك أمور.. أوامر في الحقيقة تنفذ رغماً عنه، هو ولد قهراً ويموت قهراً ويجري دمه في عروقه ويدق قلبه قهراً أمر نافذ عليه لا يستطيع مؤمن ولا كافر أن يدعى تحكماً فيه ولا ملكاً له ولا ملكاً من يقول أنه هو الذي يدير الدم في عروقه في الدورة الدموية؟! ومن الذي يقول أنه الذي يجعل قلبه يدق القلب؟!، القلب يدق والإنسان عمره يضع وأربعين يوماً يبدأ قلبه في النبض.

فسبحان الله !! أين هذا الإنسان؟!! سبب حياته الذي نعلم أنه مات إذا توقف نبضات قلبه تبدأ وهو لا يعي ولا يوجد له عقل يفكر أصلاً إنما أمرت هذه الخلايا أن تنبض بالحياة في لحظة معينة لو لم تنبض لما تكون هذا الجنين أصلاً ولا ما أصبح حي فالله له الأمر سبحانه وتعالي.

وأما الأمر شرعاً.. فهذا الذي ينازع فيه الكفرة والمنافقون وأمثالهم وأشباههم ممن يقولوا نحن نأمر ونحلل ونحرم وننهي كما نختار وكما نشتهي أو كما يختار فلان أو كما تختار المجموعة الفلانية أو الكثرة الفلانية أو غير ذلك مما جعلوا له الأمر فيما يختص بالتشريع وكل مؤمن يعلم أن الله له الأمر شرعاً كما له الأمر قدراً لا منازع له في أمره شرعياً بمعني أن أوامره لا يجوز أن تقابل بوجود اختيار فيها.. بقبول أو رفض أو إباء أو رد وإنما لابد من الانقياد الكامل لأوامره الشرعية سبحانه وتعالي.

" تبارك الله رب العالمين "...

فإن هذا من أوضح معاني الربوبية كما نقر بأن الله له الخلق فلا أن نقر بأن الله له الأمر سبحانه وتعالي، لا راد لقضائه ولا مضاد لأمره ولا معقب لحكمه كما ذكرنا في النوعين فإن الأمر أمر شرعي وأمر كوني والقضاء كذلك والحكم كذلك والإذن كذلك فكل هذه منها القدري ومنها الشرعي وفي كل منها لا راد لقضائه عز وجل شرعاً وقدراً ولا معقب لحكمه شرعاً وقدراً ولا مضاد لأمره شرعاً سبحانه وتعالي.

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء: ٢٣] فمن يرى أن هناك من يرد قضاء الله الشرعي خرج من ملة الإسلام وخرج عن توحيد الله.

وأما القضاء الكوني ﴿ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [البقرة: ١١٧] .

قضاء بأن يوجد ويكون الشيء الفلاني فلا يجوز لأحد أبداً ولا يوجد ليس فقط لا يجوز.. لا يوجد من يدعي أنه يقدر علي رد هذا القضاء سواء فيما يتعلق في أفعال العباد الاختيارية أو الاضطرارية القضاء نافذ لا راد لقضاء الله على الجميع وكما ذكرنا الأمر كذلك، ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [يوسف: ٤٠].

هذا أمر شرعي لا يجوز أن يعارضه أحد ومن رأي أن لأحد أن يعارضه أو أن يضاده أو أن يأمر بخلافه فإنه والعياذ بالله قد خرج عن توحيد الله وترك ملة الإسلام التي هي الاستسلام بأوامره عز وجل.

وكذلك الأمر الكوني ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[يس: ٨٢].

من هنا سيما كونياً لأنه أمر تكوين يكون الله به كن فهذا لا يوجد من ينازع فيه كما ذكرنا والحكم كذلك فإذا حكم الله بأمر شرعاً كما قال يوسف عليه السلام ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [يوسف: ٤٠].

وكما قال سبحانه وتعالي ﴿ وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴾[الممتحنة: ١١].

فهذا حكم شرعي وكما قال عز وجل ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾[المائدة: ١]، بعد أن ذكر الأمر بالوفاء بالعقود ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَـٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾[المائدة: ١].

فهذا لا يجوز لأحد أن يرى تعقيباً عليه أو اقتراحاً أو تعديلاً أو قبولاً أو استفتاء أو عرضاً على أراء البشر نعوذ بالله هذا مناقضة لتوحيد الله، وكذا حكمه القدري الكوني الذي يحكم سبحانه وتعالي في الخلق بما يريد كما قال يعقوب عليه السلام بعد أن أمر بنيه بالدخول من أبواب متعددة متفرقة خوفاً عليهم من العين وما ينفذ من الضرر بالعين أو الحسد ينفد بحكم الله القدري الكوني، قال ﴿ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ ﴾[ي وسف: ٦٧] يعني لو حكم أن يصيبكم ضرر لوقع الضرر عليكم فهو يفوض أمره إلى الله .

وكذلك الحكم الجزائي يوم القيامة كما وصف الله سبحانه وتعالي من حوار المشركين البؤساء والأتباع في النار قول بعضهم لبعض ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ ﴾[الأنعام: ٦٢] شرعاً وقدراً ويوم القيامة ﴿ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴾[الأنعام: ٦٢].

كما وصف نفسه عز وجل فهو عندما يحاسب الناس لا يحتاج إلى مراجعة كتب ولا دفاتر ولا شيء هو عز وجل أسرع الحاسبين له ملك السماوات والأرض وما بينهما.. الذي ينبغي أن يتفكر الإنسان في معاني هذا الاسم فبالإضافة إلى ما ذكرنا من المعاني العظيمة التي هي من مقتضيات المُلك أن يتفكر أن ملك الله عز وجل في الأرض.. وملك الله عز وجل في السموات.. وملك الله سبحانه وتعالي فيما بينهما.

وإليه المصير.. وهنا يظهر لكل أحد أن الملك لله وحده لا شريك له ولذا قال عز وجل ﴿ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾

وقال ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ وهو كما ذكرنا ملك لكل الأيام لكن إذا صار الناس إلى الله وصار الخلق إ لى الله فعند ذلك لا ينازع أحدٌ في ذلك.

قال رحمه الله...

القدوس... السلام

صفة من صفات الكمال تقدس عن كل نقص ومُحال.. وتعالي عن الأشباه والأمثال حرام على العقول أن تصفه وعلى الأذهان أن تكيفه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[الشورى: ١١] سبحانه وتعالي هذان الاسمان الكريمان من أسماء الله الحسنى وصف الله عز وجل بهما نفسه قال ﴿ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ﴾[الحشر: ٢٣]، ومعناهما متقارب فالقدوس الذي تقدس وتنزه عن كل نقص، والسلام الذي سلم

من كل عيب وهذا يدل على نفي صفة النقص عن الله عز وجل وهو نفي متضمن لإثبات صفات الكمال فإن القرآن والسنة ليس فيهما نفي مطلق وإنما نفي مقيد بإثبات صفات الكمال المضادة لصفات النقص فإن الله سبحانه وتعالي ما نزه نفسه عن صفة نقص إلا ووصف نفسه بضدها التي هي صفة كمال، فنفي عن نفسه مثلاً الموت وأثبت لنفسه الحياة، فقال ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾[الفرقان: ٥٨] بل في كثير من المواضع يبد أ بذكر الكمال قبل النفي كما قال عز وجل مثلاً في نفي صفة النسيان التي هي ضياع العلم قال ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾[مريم: ٦٤] فأثبت كمال صفاته عز وجل وملكه التام وأمره وهذا مستلزم لعلمه ونفي عن نفسه صفة النقص سبحانه وتعالى، وكذا وصف نفسه سبحانه وتعالي بالوحدانية ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ثم نفي عن نفسه ما ينافيها من الولد والوالد ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ وهكذا في كل معاني النفي ينفي الله عن نفسه صفات النقص متضمناً ذلك لإثبات صفات الكمال واسم القدوس واسم السلام يتضمن ذلك، فالله عز وجل القدوس الذي تقدس.. الذي تنزه.. الذي وصف نفسه بالطهر التام، ولذلك يقال مثلاً قدس الله فلاناً أو قدس الله أمة لا يؤخذ من قويها لضعيفها يعني لا طهرها الله ولا نزهها عن أوصاف النقص وقد ينزه العبد عن بعض صفات النقص علي ما يليق به والله منزه عن كل صفات النقص فهو منزه ومني الطهر، كذلك لأن الطهارة نزاهة.. المطهر أو الموصوف بالطهر يعني البعيد عن ما يوصف بالنقص والتنجيس والرجز غير ذلك.

ولذلك قيل في القدوس الطاهر وقيل فيه الذي نزه نفسه عن النقائص ونحو ذلك.

والسلام.. الذي سلم من كل عيب والله سبحانه وتعالي متفرد بكل صفات الكمال منزه عن كل صفات نقص لذا قال في شرحها: " الذي اتصف بصفات الكمال وتقدس – تنزه – عن كل نقصٍ ومحال"

يعني كل غير مستحيل على الله عز وجل لأنه نقص فهذا منزه عنه وتعالي عن الأشباه والأمثال لأن من له شبيه ومثل فهذا لا يمكن أن يكون متفرداً بالإلهية والربوبية فهذا يدل على نقصه لأن له شبيه وله مثل فالله منزه عن الأشباه والأمثال ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ ، كما قال سبحانه ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ لا سميا له سبحانه وتعالي لأنه متفرد.. لأنه واحد أحد كما قال ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ وأنت تلحظ في كل هذه المواضع أن الله حين نزه نفسه عن النقائص أثبت لنفسه صفة الكمال التي تضاد هذه الصفات الناقصة .

قال:" حرام على العقول أن تصفه"... لأنه ليس كمثله شيء فل يمكن أن تتخيل العقول كيفية ذاته وصفاته ولا أن تصفه ولا علي الأوهام أن تكفيه العقول لا أن تصف الرب سبحانه وتعالي من قبل نفسها إنما يوصف الرب بصفاته التي وصف بها نفسه ووصفه به رسوله ﷺ لأنه مبلغ عن الله عز وجل أما العقول فمدخلها في ذلك القبول والتسليم بما ورد في الكتاب والسنة وفطرها الله سبحانه وتعالي عليه على معرفة صفات الكمال فإن كل كمال ثبت أنه كما للمخلوق فالله أولى به عز وجل سبحانه وتعالي فلا مدخل للعقول المجردة عن الوحي أو عن الفطرة السوية في أن تتكلم في صفات الرب ولذا الذين انحرفوا بهذا المقام من الفلاسفة والمتكلمين أهل الزيغ والضلال ومن تبعهم على ذلك الذي جعلوا الأصل في معرف صفات الرب ما تمليه عقولهم القاصرة مع كونهم قد فسدت فطرتهم ولم ينهلوا من معين الوحي لأن نصوص الكتاب عند ظواهر

تحتمل التأويل ونصوص السنة عندهم آحاد تحتمل الرد والتجهيل لذلك اعتمدوا على العقول وهذا من أبطل الباطل فإن نصوص الكتاب هي النصوص البينة .. الآيات البينات.. الكتاب المبين ونصوص السنة هي التي تبين كتاب الله وتبين عن رسول ﷺ ما هو من صفات كمال الرب عز وجل التي تقبله كل الفطر السليمة والعقول السوية، وأما أن تتخيل إنسان أو مخلوق كيفية صفات الرب عز وجل أو كيفية ذاته فهذا مستحيل فإثبات صفات الرب عز وجل كإثبات ذاته فكما أن إثبات ذات الرب إثبات وجود لا إثبات تكييف فكذلك إثبات صفاته عز وجل إثبات وجود لا إثبات تكييف نثبت وجود صفة السمع وجود صفة البصر نثبت وجود صفات الرب ولا نكيف كما قال عز وجل ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ ﴾ وقال ﴿لَمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴾ وقال عز وجل ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ﴾ وقال ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ .

وقول مالك رحمه الله: " الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة".

والدليل ذكره الشيخ حافظ في آخر هذه الجملة فقال ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾

المؤمن...

يقول رحمه الله:" المؤمن الذي أمن أولياءه من خزي الدنيا ووقاهم في الآخرة عذاب الهاوية وأتاهم في هذه الدنيا حسنة وسحلهم دار المقامة في جنة عالية ".

ذكر من معانيه الذي.. آمن أولياءه، المؤمن من الأمن هذا أحد المعاني التي ذكرت عن السلف في معني اسم المؤمن وذكر منه أحد أجزاءه أيضاً.. أحد معاني المؤمن وهو..

التأمين الخاص الإيمان الخاص، الإيمان هنا بمعني أمن، أمن عباده إيماناً أو تأميناً خاصاً عباده المؤمنين، هنا خص أولياءه وإلا فمعناه أوسع مما ذكره رحمه الله ومعنى المؤمن أمن عباده أن يظلمهم فالخلق جميعا في أمن أن يظلموا حتى الكفرة لا تُحمل عليهم غير أوزارهم، فهو سبحانه وتعالي لا يجعل وازرة تزر وزر أخرى كما حكم عز وجل في كتبه المتقدمة والمتأخرة ﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ ولا يجني والد علي ولده ولا يجزي والد على ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً وهو أيضاً لا يجني عليه شيئاً هذا عدله عز وجل حتى الكفرة لا يحملون أوزار غيرهم.

ما معنى إذا قوله تعالي ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾؟! إنما هي أوزارهم التي تساوي أوزار الذين أضلوهم في القدر ولذا لا ينقص من أوزار الذين أضلوهم هو وزرهم لأن وزر الدعوة إلى الضلال غير وزر الضلال نفسه وزر الدعوة إلى الضلال عظيم يساوي ويكافئ أوزار الذين ضلوا بسبب دعوتهم كما أن ثواب الاهتداء أكمل منه ثواب الدعوة إلى الاهتداء والدعوة إلى الهداية " فمن دعا إلي هدي له مثل أجور من تبعه من غير أن ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ومن دعا إلى ضلالة كان له عليه مثل أوزار من اتبعه".

فهنا نفهم أن مل الأوزار الثقيلة على الدعاة الضالين المضلين إنما هو وزرهم في الحقيقة وزر الدعوة إلى الضلال والإضلال فالله عز وجل أمن عباده أن يظلمهم ولعبادة المؤمنين من هذا الإثم خصوصية أمنهم سبحانه وتعالي في الدنيا وأمنهم في قبورهم وأمنهم يقو القيامة.

يقول:" والذي أمن عباده أولياءه من خزي الدنيا ووقاهم في الآخرة عذاب الهاوية".

وصف عز وجل الأمن الذي يعطيه ويهبه المؤمن عز وجل لأوليائه المؤمنين فقال علي لسان إبراهيم عليه السلام ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ والأمن والإيمان قرينان فالمؤمن المصدق المتبع العامل بتوحيد الله عز وجل وطاعنه أمن مهما كان حوله من أسباب الخوف لأن المؤمن أمنه والأمن هبة من الله عز وجل يقذفها في قلوب من شاء من عباده وينزعها ممن شاء من عباده جعل سبحانه الأمن والإيمان قرينان وجعل الشرك والظلم والرعب قرينان كما يفهم من الآية أن الذين لبثوا إيمانهم بشرك ليس لهم أمن ولا هم مهتدون، وبين سبحانه وتعالي ذلك أوضح بيان في قوله عز وجل ﴿ سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗاۖ وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾فالظالم مرعوب خائف وإذا بلغ ظلمه الظلم الأكبر، الشرك بالله بلغ خوفه والخوف الأكبر أشد خوف يكون من المشرك كما أن أعظم أمن يكون لدى المؤمن لأنه أمنه الله أمنه جعله في آمن، وكذلك يؤمنه في قبره فإذا أتاه الملكان الشديدان الأزرقان الأسودان المنتهران شديد الانتهار يقفان على رأسه بمطرقة من حديد لو ضرب بها جبل لصار ترابا فيؤمنه الله عز وجل ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾

فيرد الله عليه قلبه كما كان عقله كان يؤمن بالله في الدنيا ويستطيع الجواب بتثبيت الله، ويوم القيامة يؤمنهم الله من الفزع الأكبر كما قال ﴿ وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ

ءَامِنُونَ ﴾ قال عز وجل ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ قال عز وجل ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ هذا كله من آثار اسم المؤمن عز وجل الذي أمن أولياءه كما ذكرنا إيماناً أو تأميناً خاصاً أو أمنا خاصاً جعل لهم.. وهب لهم أمناً خاصاً الجميع أمن من الظلم" إن الله حرم الظلم على نفسه وجعله بين العباد محرما "كما أخبر النبي ﷺ وكما أخبر عن نفسه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا ﴾ فالجميع آمنون من أن يظلموا كما ذُكر ذلك لابن عباس مما رواه في تفسير المؤمن.

والمؤمنون لهم نصيب خاص أكمل وكلما ازادوا أمناً وأعظم الأمن عندما يدخلون الجنة فهي دار الأمن ودار الأمان والسلام وكما وصفهم الله سبحانه وتعالي ﴿ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴾ وأما الكفار فهم في الدنيا في فزع ورعب، أشد درجة الخوف يسمي رعبا﴿ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ ﴾ لذا تجدهم والله وإن كثرت حوله الحراسات وكثرت حوله الجنود وعظمت حوله الأتباع مرعوب في كل لحظات حياته والعياذ بالله يخاف مما يعلم ومما لا يعلم لا يدري إلي أين يذهب وإلى أين يهرب ونفسه تنازعه دائماً إلى الفرار والهرب إلى حيث لا يدري ولا من أين يأتيه الخوف والعياذ بالله وهو بسبب شركه بالله بما أشرك بالله وكذا الظالمين يخافون ﴿ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ إذا نثبت إيمانه بظلم دون الشرك حصل له خوف دون خوف المشرك وكذا في القبر يكون المشرك فزعاً عندما يأتيه الملكان وكذا العصاة يأتيهم

من الفزع والخوف بقدر ما عصوا وأذنبوا، وفي القيامة كذلك الخوف عظيم هائل يوم الفزع الأكبر نعوذ بالله من الخوف ونسأل الله أن يؤمنا في الدنيا والآخرة.

وأهل النار في النار لا ينتهي خوفهم ورعبهم فإنهم ما توقف عذابهم عند حد ﴿ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾

نعوذ بالله من العذاب، فهذا أحد معاني اسمه المؤمن الذي أشار إليه " الذي أمن أولياءه من خزي الدنيا ووقاهم في الآخرة عذاب الهاوية وآتاهم في هذه الدنيا حسنة وسيحلهم دار المقامة في جنة عالية" .

وهناك معان أخري أيضاً لعله سيأتي تفصيلها أكثر لكن كإشارة لها لتتم الفائدة.

المؤمن: بمعنى المصدق فالله عز وجل صدق نفسه ﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ﴾وصدق أنبيائه ورسوله ونزههم عن أين يقولوا كذباً أو باطلاً كما قال عز وجل تصديقاً لمحمد ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾ وكذا ذكر سبحانه وتعالي سلامة علي المرسلين كما قال ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ لسلامة ما قالوه من الكذب والباطل والزور وصدق سبحانه وتعالي نفسه وصدق أنبيائه وأوليائه فيما قالوا ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ وهو سبحانه وتعالي يصدق على الحق، يصدق أولياؤه كما ذكرنا وأنبيائه وصدق نفسه سبحانه وتعالي فهذا المعني الثاني من معاني اسمه المؤمن عز وجل، فلابد للمؤمن في إيمانه بهذا الاسم أن يطلب الأمن بما جعل الله به الأمن كما ذكرنا من معاني الأمن في الدنيا والآخرة وكذلك أن يصدق الله عز وجل فيما أخبر عن نفسه عز وجل وأخبرت به رسله صلوات الله وسلامه عليهم.

المهيمن

قال رحمه الله

" المهيمن الذي شهد على الخلق بأعمالهم وهو القائم على كل نفس بما كسبت لا تخفي عليه خافية إنه بعباده لخبير بصير"

هذا هو المعنى المشهور عن السلف في اسم الله عز وجل المهيمن، وهو الشهيد الرقيب ليس كما يستعمل في عرفنا بمعنى المسيطر ليس هذا وارداً عن السلف رضوان الله تبارك وتعالي عليهم وإنما المهيمن الشهيد كما قال عز وجل في كتابه ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ ﴾ أي شهيداً، القرآن مهيمن ليس بمعنى مسيطر إنما بمعنى شهيد على الكتب السابقة.

وهو لا يغيب عز وجل كما قال ﴿وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾.. ﴿ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ ﴾ ، بالمراقبة و المحاسبة ﴿لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ ﴾فهذا معنى اسمه المهيمن .

وردت أقوال أخرى والقول الأول الذي هو الرقيب والشهيد هو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والصديق ومقاتل .

وقال الحسن: " الأمين" فهو عز وجل إذا أخبر بأمر فهو الحق لابد أن يقبل.

وقال الخليل: هو " الرقيب الحافظ " وهذا قول ابن عباس.

وقال ابن زيد: " المصدق مثل المؤمن، وقال سعيد بن المسيب والضحاك:" القاضي" الذي يقضي بين العباد وقال ابن قيسان: هو اسم من أسماء الله تعالي في الكتب المتقدمة والله أعلم بتأويله وهذا توقف منه،

أصح الأقوال ما ذكرنا من أنه المهيمن بمعنى الشهيد والرقيب.

أثر هذا

العبد إذا استحضر شهود الرب سبحانه وتعالي عليه ومراقبته له اتق الله عز وجل في كل أوقاته وأحواله وأقواله وأعمال، بل صفة مراقبة الرب واستشعار بأنه الرقيب المهيمن هو الذي يوصل العبد إلى مرتبة الإحسان كما قال النبي ﷺ في تعريف الإحسان " أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك".

والإنسان جبل علي أنه إذا استحضر الرقابة من غيره رعا ذلك الرقيب والشهيد، إذا استحضر أنه مشاهد فإنه يراعي من يشاهده، فإذا استحضر العبد أن الله شهيد عليهم ما عصاه وإنما لضعف شعوره بمعنى هذا الاسم الكريم وضعف استحضاره في قلبه فبضعف إيمانه فعند ذلك تقع منه المعصية ولو زال بالكلية.. لكفر لو زال بالكلية معنى مراقبة الرب عز وجل واستحضار العبد أنه مطلع لزال الإيمان وإنما لابد أن يكون موجود في قلبه ولكن كما ذكرنا يضعف فتغلب الشهوة وقد ينسى العبد فيتمكن منه الشيطان كما ذكرنا نعوذ بالله من ذلك .

العزيز

قال: " ﴿ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴾.. العزيز"

الذي لا مغالب له ولا مرام بجلاله اسم العزيز من أسماء الله الحسنى التي وصف الله بها نفسه كثيراً ووصف نفسه بالعزة وأن له العزة سبحانه وتعالي وهو ذكر معنى من معاني العزة.. العزيز بمعنى الذي لا مغالب له.

ومعنا ثانياً: الذي مرام لجنابه.. لا مغالب له لا يغالب عز وجل، لا يغلب هي أصل معنى عز من غلب في المثل العربي.. " من عز بز " أي من غلب أخذ المتاع البز: هو المتاع عندهم من عزيز يعنى أخذ الغنيمة والمتاع " فالعزة بمعنى ا لغلبة ومعنى لا يغالب أكمل من معنى لا يغلب، فالله غالب على أمره سبحانه وتعالي، لا يغالب.. لا يتصور أصلاً أن يطلب أحد غلبه الرب عز وجل، بمعنى لو قلنا القتل والقتال وقلنا قتل وقاتل، قاتل يبقى طلب أن يقتله.. قاتله طلب قتله فلو هو شخص قتل آخر بالفعل قتله، لكـ ن قاتله من الممكن أنه لم يكن قتله لكنه يطلب ذلك، فلو قلنا لا يقَاتل يبقى لا أحد سيتطلع أن يقتله.. لا أحد يفكر أن يطلب قتله فليس من الممكن أنه يقاتل، فالله سبحانه وتعالى لا يغلب وهو عز وجل لا يغالب بمعنى لا يروم أحد.. لا يفكر أحد في أن يغلب أمر ربه سبحانـ ه وتعالي.. يغلب الرب عز وجل لا يغالب لا يفكر إنسان أن يغلب.. لا أحد يتطلع أحد إلى ذلك مثلها أو قريب منها:" لا مرام لجنابه" لعظمة الله عز وجل لا يتطلع أحد أن ينازعه في الحقيقة حتى وإن كان البعض قد زعم أنه ربهم الأعلى ونازع الرب عز وجل وقال أنا أحي وأميت وفعل غير ذلك الكفرة والطواغيت وقال [أولك رب غيري] ونحو ذلك لكن في الحقيقة لا يروم ولذلك لما قال إبراهيم للنمرود ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ ﴾لم يقل تعالوا ابنوا لي بناء لعلي أصل إلى الشمس لا، قال عز وجل ﴿ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ ﴾ لا يستطيع أحد لا يمكن أن ينازع الرب عز وجل في مثل ذلك فعظمته عز وجل لا يروم أحد.. لا يفكر أن يريد أن يصل إليه.. لا فالعباد في عجز مطلق أن يريدوا أن يصلوا إلى جناب الله وعظمته وقدرته سبحانه وتعالى.. لا يمكن أن يروم ذلك قهر الله العباد.. أعزهم غلبهم بحيث أنهم لا يفكرون، لو فكر إنسان في ذلك يحكم على نفسه بالعجز بالقطع واليقين ولذلك فرعون عجز عن مواجهة آيات سيدنا موسى الي ذكرها

الآيات العقلية الآيات الفطرية قال ﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾ فرعون كان دائماً يعمل شغب لكن لا يستطيع أن يرد ﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾ولا يرد علي أي حجة من هذه الحج من رب هؤلاء الناس..من رب الآباء والأولين حاول يهرب بعيد﴿ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ الشرق والغرب يقدر فرعون يقول أنا أجعلها تطلع من الشرق أو أجعلها تطلع من الشرق أو أجعلها تغرب من الغرب لجأ إلى البطش قال ﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴾ لا يقدر.. لا يمكن أن يروم ذلك أحد، فالله عز وجل العزيز الذي لا مغالب له لا يغلبه أحد بل لا يغالبه أحد إذا لماذا الكفرة يحاولوا أن يغلبوا شرع ربنا؟!! لا إنهم يحاولوا أن يغلبوا المؤمنين لكن أن يقدر أحد منهم أن ينازع أن تهتز الأرض هل يستطيع أحد أن يقول نحن قوة عظمى مثلاً في الأرض يعني لن نجعل الزلزال يحدث.. نحن أكبر قوة أكبر دولة في العالم لن نجعل الأعاصير تأتي لنا لا يمكن لا يستطيعوا.. لا يستطيع أحد أبداً أن ينازع ويغالب في مثل ذلك أو يقول للشمس أن تتأخر أو تتقدم.. لا يمكن لأحد أن يصنع ذلك ولذلك عندما يقولوا نحن نتحدى ربنا يصيبهم رغماً عنهم، ويوم ما قالوا سفينة لا تغرق غرقت في أول إيه في أول رحلة.. عندما قالوا أتستجر التحدي يتحدوا من..؟!! لا أعرف!! لا أعرف!!يتحدى العقبات فانفجر في أول رحلة.. أتشينجر والعياذ بالله.

اسم معناها عندهم التحدي فهم أرادوا أن يتحدوا ربهم فقسمهم الله وكل يوم تحصل من آيات الله سبحانه وتعالى ما يدلون على أن الله عزيز لا يغلب ﴿ وَٱللَّهُ

غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ ﴾.. انظر سبحان الله أخوة يوسف أرادوا أن يغلبوا يوسف ويذلوه ويجعلوه بعيداً عن أبيه ويفوز فجعل الله ما يفعلونه سبباً لتمكينه عليهم ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾أرادت امرأة العزيز أن تحبس يوسف في السجن ليستجيب لها فجعل الله السجن سبيلاً إلى ملكه عليها وعلى الناس، فالله سبحانه وتعالي لا يغالب لذلك الذين ينازعون الله عز وجل أمره الشرعي وهم واهمون في ذلك والله غالب على أمره هو سبحانه وتعالى لابد وأن يظهر دينه سبحانه وتعالى ومهما صنعوا يغالبون المؤمنين مدة ثم العاقبة للمتقين كما وصف سبحانه وتعالى لأن الله عزيز ولذا ختم الله عز وجل آيات ذكر الأمم السابقة بعد هلاك الكافرين قال ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ۝٨ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾سبحانه وتعالي فهو الذي غلب هؤلاء الكفار غالبوا أمره غالبوا عباده المؤمنين.. نازعوا ما شرعه سبحانه وتعالي فغلبهم الله ورحم عباده المؤمنين، وقريب من هذا المعني لزيادة في التوضيح له أن العزيز بمعنى العزيز في انتقامه ممن عاداه، المنتقم ممن عاداه الشديد الإنزال العقوبة بمن خالف أمره الشرعي سبحانه وتعالى والله عزيز .. ينتقم ممن خالف شرعه ينتقم ممن كذب رسله.. ينتقم ممن عادى أوليائه.. يثأر لهم عز وجل لأنه العزيز سبحانه وتعالي ولذلك جعل لعباده المؤمنين قال ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ ﴾و هذا من آثار أن يؤمن الإنسان بأن العزة لله، بأن الله هو العزيز أن لا يطلب العزة لغير طاعته لأنه قال عز وجل ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ ﴾كيف حصل على العزة التي تناسبهم ليسوا أنهم أعزة مع الله بل هم أذل شيء لله عبيد وإنما أعزهم الله على من خالفهم بالكلم الطيب والعمل الصالح والله عز وجل العزيز الذي يعز

أولياءه سبحانه وتعالي ومن طلب العزة بغير طاعته أذلهم ومن طلب العزة بغير دين الله أذله لله وهذا والله مشهود على الكبير تجد أن الله أذل الطغاة المجرمين أذل بعضهم لبعض تجد يطغى على الضعفاء ويضربهم ويتكبر عليهم فيهينه الله بأعظم إهانة علي أعداءه كما أهان فرعون وهو يغرق وجعله يصرخ ﴿ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾وأهين بإخراج جسده ميتاً لا حراك فيه وهكذا يهين الله الظالم ويذله وأسوأ ذلك أن يذله على يد الحقيرين من أعداءه عز وجل الذين هم أحقر شيء وأذل شيء.. هم أحقر شيء فإذا أراد الله إذلال إنسان مكن أعداءه منه بمعنى أنه جعله تابع له وإلا فالله عز وجل إذا سلط أعداءه علي أولياءه إنما يسلطه.. على أبدانهم.. على أموالهم .. علي أرضيهم لكن لا يتمكنون من قلوبهم ولذلك قلوبهم دائماً كارهة للباطل عزيزة عليهم تمتنع عليهم وهذا أغيظ شيء للكفرة والمجرمين إنما يريدون القلوب إنما يريدون أن تخضع القلوب لهم وأن تتابعهم وربما أكرهوا الناس بأنواع الاضطهاد لتوافق الألسنة وإنما الإهانة الحقيقية والإذلال الحقيقي من وافق بقلبه.. من رضي وتابع.. من كان ذيلاً لهؤلاء الكفرة والمجرمين والعياذ بالله.

هذا هو الذل الحقيقي الذي يطلب صاحبه به العز، فسبحان الله ذليل يطلب العزة بما يزيده ذلاً والعياذ بالله هذا الذي أخضعه الله وجعله تابعاً للكفرة وتابعاً لأعدائه يوافقهم بقلبه ولسانه ويحبهم ويرضيهم ويعادي من أجلهم دين الله وأولياء الله عز وجل هذا والله أعظم الذل وأعظم الإهانة كما قال عز وجل ﴿ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ ﴾فهؤلاء أهانهم الله عز وجل وأذلهم لأنهم لم يطلبوا العزة من العزيز سبحانه وتعالي وإنما طلبوا العزة بمعصيته والكفر به فأهنهم الله لذلك نقول المؤمن لا يذل لم يكن السجن ذلاً ليوسف عليه السلام ولم يكن الاستضعاف ذلاً لبلال ومن شابهه من المستضعفين من المؤمنين وإنما الذل كان للكفرة الذين ملك الله نواصيهم للشياطين ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّآ

﴿ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمۡ أَزّٗا ﴾ أعداء الله عز وجل عندما يلعبون بهذا العبد ويأخذونه يمناً وشمالاً وما يفضحهم الله عز وجل به في الدنيا بهذا الذل وبأنواع الذل الآخر حتي تجد كبار هؤلاء والعياذ بالله يفضحهم الله بأنواع الفضائح علي العالم كله ولقد رأينا والله من يقولون أنه ربما رئيس أكبر دولة في العالم ونحو ذلك كيف فضحه الله وأذله وأهانه أعظم الإهانات وفضحه الفضائح المتتابعة والعياذ بالله فأي عز يطلبه الناس أكثر من مثل هذه الرياسة لمثل هذه الدولة أي عز دنيوي كثر من ذلك وأي ذل أشد مما يقع له فضلاً عن ما ينتظر من الذل والهوان والعياذ بالله لأنهم طلبوا العز بغير طاعة الله فانتقم العزيز منهم سبحانه وتعالي ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ وكما قال في آخر هذه السورة ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ٢١٧ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ فأنت حين يشتد بك الكرب الجأ إلي العزيز وتوكل عليه وفوض أمرك إليه سبحانه وتعالي العزيز الغالب المنتقم من أعداءه الذي يذلهم ويهينهم ولا يجعل لهم عزاً لأنهم لم يطلبوا منه سبحانه العزيز .

هناك معناً آخر من معاني اسمه العزيز عز وجل لم يشر إليه الشيخ رحمه الله، وهو العزيز بمعنى المتفرد كما يقال هذا شيء عزيز يعني نادر لا وجود له قليل الوجود، الله عز وجل العزيز الذي لا نظير له.. لا ند له.. لا سمي له لا كفو له فهو عزيز متفرد سبحانه وتعالي، سبحانه وتعالي واحد أحد فرد صمد سبحانه وتعالي فالعزيز بمعنى الواحد عز وجل الذي لا نظير له ولا ند له ولا كفو له سبحانه وتعالي، الذي لا ينال جنابه ولا تنال عظمته عز وجل كما يقال نخلة عزيزة يعني نخلة طويلة لأنه يصعب أن ينالها أحد فالله سبحانه وتعالي لا مرام لجنابه هذا المعني الذي ذكره هنا رحمه الله.

الجبار

الذي له مطلق الجبروت والعظمة هو الذي يجبر كل كسير مما به، ورد هذا الاسم في كتابه الله عز وجل في سورة الحشر وورد في سنة رسول الله ﷺ كذلك وقد أشار المصنف إلى معنيين ..

فالمعني الأول: الذي له مطلق الجبروت والعظمة وهو بمعنى القهر كاسم القهار وقد ورد في تفسير ذلك عن السلف رضوان الله عليهم عبارات مثل الذي جبر العباد علي ما أراد جبر القلوب علي فطرتها شقيها وسعيدها وقد يظن البعض أن هذا المعنى يقتضي مذهب الجبرية الذين يقولون أن الجبار سبحانه وتعالي جبر العباد بمعني أكرمهم وأرغمهم دون إرادة منهم على فعل أفعالهم قد يحتجون بمثل هذه الآثار الواردة عن السلف في تفسير اسم الجبار والله سبحانه وتعالي أعز وأعلى من أن يُجبر العباد على فعل ما يريد بل جبره عز وجل لهم وسلطانه وقهره فوقهم معناه أنه يجعلهم يفعلون بإرادتهم ما أراده سبحانه وتعالي أن يفعلوه لأن الجبر منه عز وجل ليس كجبر المخلوق للمخلوق فإن المخلوق لا يملك قلب غيره بل ولا قلب نفسه فهو إذا أراد أن يجعل غيره يفعل فعلاً معيناً أمره به فإذا امتنع لم يجد بداً من أن يكرهه عليه لأن إرادته لا يملكها، إرادة ذلك لغير لا يملكها ولا يستطيع توجيهها إلى ما يريد فيضطر لعجزه وضعفه عن تغيير قلب خصمه إلى إكراهه بالضرب أو التعذيب أو السجن أو التهديد بالقتل أو غير ذلك مما يفعله الجبارون الظلمة الخائبين دائماً كما وصف الله عز وجل ﴿ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾فهذا من مقامات العجز والضعف وإن كان كثير من الناس يظنوا أنه مقام عزة وكثيراً من الناس يتمنى أن يكون جباراً، الجبار من البشر من يَجبر غيره.. يكره غيره بالباطل علي فعل ما يشتهي ويهوى وهذا كما ذكرنا مقام عجز وضعف ونقص وليس مقام قوة واقتدار أما في حق الله عز وجل فإنه أعز وهو سبحانه وتعالي أعلي سلطاناً وقهراً من أن يحتاج إلى إكراه العباد بل لو شاء عز وجل لجعل الناس أمة واحدة ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾ و هو

سبحانه وتعالي جعل مشيئة العباد خلقاً من خلقه وهم لا يشاءون إلا أن يشاء سبحانه وتعالي كما قال عز وجل ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾هو عز وجل مقلب القلوب.. هو سبحانه يصرف قلوب عباده كيف يشاء قال النبي ﷺ:" قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء"

قال النبي ﷺ في دعاءه :" أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيتها".

كما قال هود عليه السلام ﴿ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ ﴾ أي أمرها كله ملك له عز وجل وهو يوجه العبد حيث شاء، يوجه المخلوق حيث شاء وهذا الجبروت ليس فيه إكراه لأنه لا يحتاج إلى ذلك بل يأمر سبحانه وتعالي بما يشاء يكن فيكون وليس في هذا ما يقتضي مذهب الجبرية الباطل من نفي مشيئة العباد ونسبة الظلم إلى الله عز وجل وإبطال الشرع وجعل الحسنات كالسيئات لأنها كلها إجبار من الله فهم ظنوا أن جبر الله في القلوب كجبر الظالم للمظلوم فقالوا بهذا الباطل، نقول أن جبر الله في القلوب لا يعني إلغاء مشيئة العباد ولكن يجعلهم سبحانه يفعلون ما يريد بإرادتهم واختيارهم الذي خلقهم فيهم وقد بين لهم الطريقين والنجدين فحق القول على الذي ظلموا وقامت حجته علي الكافرين ولم يظلم عباده مثقال ذرة سبحانه وتعالي خلق الخلق بسباب جعل من أسباب خلقه أفعال عباده إرادتهم وقدرتهم المخلوقة جعل مشيئة العباد بها تقع أفعالهم كما أن الولد يُخلق من أبيه وأمه والله خالقه وخالق أبيه وأمه لكنه بقدرته عز وجل جعل الوالدين سبب في وجود الولد فلا يمكن لعاقل أن يدعي عدم الأثر وعدم أهمية وجود الوالدين وعدم مسئوليتهما عن ابنهما كذلك لا يجوز لعاقل فضلاً عن مؤمن بالكتاب والسنة والشرع أن يقول لا ضرورة ولا فائدة ولا أثر لإرادة الإنسان أو لقدرته لأن إرادة الإنسان وقدرته بالنسبة إلى الفعل كالأب والأم بالنسبة إلي

الولد، الله خالق الثلاثة ولكنه خلق الولد من أبيه وأمه.. وخلق أفعال العباد بقدرتهم وإرادتهم من خلال إرادتهم وقدرتهم المخلوقتين له عز وجل والكل مخلوق له عز وجل فجبره سبحانه أحسن الجبر جبر القلوب على ما أراد فجعلهم يفعلون بمشيئتهم واختيارهم وإنما ما جبرهم عليه من غير مشيئة كما جبرهم على الموت والحياة وعلي الطول والقصر والذكورة والأنوثة بغير اختيار منهم فلا يحاسبهم ولا يسألهم عز وجل عنه ولا يثيبهم أو يعاقبهم عليه بل هو سبحانه وتعالي إنما يحاسبهم ويثيبهم ويعاقبهم على أفعالهم التي صدرت بأخيارهم وبإرادتهم فهذا معنى جبر القلوب على ما أراد أو جبر القلوب على فطرتها شقيها وسعيدها، جبر عباده ليس بمعنى قول الجبرية في نفي مشيئة العباد أو نفي قدرتهم وبالتالي نفي معنى التكليف والشرع والأمر والنهي ويترتب على ذلك اعتبار الحسنات والسيئات كلها بمنزلة واحدة فهذا كله بالطل ولا شك في بطلانه لأن القرآن أثبت خلافه بل كل عاقل يحسن من نفسه بخلافه أن هناك أشياء يفعلها بإرادته وأشياء لا دخل لإرادته فيها والثواب والذم والمدح عند العقلاء بعد الشرع إنما هو تبع لأفعال العباد الاختيارية في موافقتها أو مخالفتها لشرع الله سبحانه وتعالي.

فالذي له مطلق الجبروت.. كلمة الجبروت مصدر من الجبر .. جبر جبروت مثل ملك ملكوت .. الذي له الجبر أي القهر

أثر هذا...

آثار اتصاف الرب عز وجل بهذا الاسم في حياة البشر وسائر المخلوقات آثار ظاهرة في وجـ ود الإنسان وولادته قهراً عنه وموته قهراً عنه لا دخل له في ذلك ولا قدرة له علي ذلك جعل الله بداية الإنسان ونهايته علامة علي عجزه وضعفه وعلى قهر الرب عز وجل وجبروته بالعدل والإحسان عنه عز وجل فهو الذي خلق الإنسان من ماء مهين بغير استشارة من العبد هل يريد أن يُخلق وعلي أي صفة يريد أم لا يريد ذلك أو يريد صفة معينة أو زمناً معيناً أو شكلاً معيناً أو بلداً معيناً يولد فيه أو أسرة أو مجتمعاً

معيناً ينشأ فيه كل ذلك ليس له فيه أدنى قدرة ولا اختيار وهذا يدفع العبد إلى أن لا يصف نفسه أبداً بالجبروت ولا يتصف هذه الصفة فإن الله عز وجل تفرد بهذا ولم يجز للعباد أن ينصفوا بهذا المعنى من هذا الاسم كما قال عز وجل ﴿وَٱسۡتَفۡتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ﴾ وكل جبار بهذا المعني خائب.. استفتحوا: أي استفتحت الرسل وذلك حين هددهم الجبارون المتكبرون الكفرة الملحدون بأن يعدوا في ملتهم أو يخرجوهم من أرضهم

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ رَبُّهُمۡ لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٣ وَلَنُسۡكِنَنَّكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ واستفتحوا- أي استفتحت الرسل، طلبت الفتح من الله دعوا الله أن يحكم بينهم بين قومهم بالحق وهو خير الفاتحين الحاكمين ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ﴾ في هذه الدنيا ومن وراءه إلى يوم القيامة ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ﴾ أمامه جهنم لا تزال تطلبه ولا يزال مطلوباً لها لا تتوقف عنه طالبت به حتى وقع فيها ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ ١٦ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٞ﴾ نعوذ بالله من ذلك، فهذا مصير الجبارين المتكبرين الذين يكرهون الناس على ما يريدون دون نظر إلى أن الشرع أجاز ذلك أم لا ولذلك لا يوصف المؤمن بهذه الصفة

ولا يسمى بهذا المعنى أبداً لأن كل جبارٍ فهو خائب بنص القرآن والله هو المتفرد سبحانه وتعالي بالجبروت والعظمة.

في أفعال العباد الاختيارية فإنما يظهر لأهل الإيمان المستحضرين على الدوام أن أفعالهم وأقوالهم وأفعال العباد جميعاً بأمر الله عز وجل وخلقه سبحانه وتعالي فإذا رأوا نعمة الله عليهم بالإسلام ومنة الله عز وجل عليهم بالإيمان علموا أن من قبل فعلهم أمر لله عز وجل وأن من فوق صفاتهم قدرة الله سبحانه وتعالي، هو الذي جبرهم علي ذلك هو الذي قدر لهم ذلك وإذا رأوا خذلانه الرب سبحانه وتعالي.. إذا رأوا المنكرات والمعاصي والكفر النفاق يقع من أعداء الله رأوا خذلان الرب لهم رأوا أن الله الذي قدر ذلك عليهم فخافوا من الله عز وجل أن يخذلهم كما خذل هؤلاء وان يجعلهم من الكفرة أو المنافقين أو الظالمين كما جعل هؤلاء يشهدون عدله عز وجل في ذلك فهو سبحانه وتعالي وضع الأشياء في مواضيعها فهو أعلم بالظالمين وهو أعلم بالشاكرين سبحانه وتعالي ما وضع البذر الطيب في أرض خبيثة فإن القلوب الخبيثة لا تناسبها الأعمال والأقوال الطيبة﴿ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ﴾، الطيبات من الأعمال والأقوال للطيبين من الناس والطيبون من الناس للطيبات من الأعمال والأقوال والصفات فلا يتناسب أن يكون إنسان خبيث يهدي لعمل طيب وقول طيب ﴿ ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِ ﴾وكما ذكرنا الخبيثون من الناس للخبيثات من الأعمال والأقوال فإن الله وضع البذر الطيب في الأرض الطيبة ووضع البذر الخبيثة في الأرض الخبيثة، فيشهد أهل الإيمان حكمة الله عز وجل وعدله ويرون فضله على عباده المؤمنين ويخافون أن يبتلوا بالخذلان كما فُعل بهؤلاء فيشهدون جبره عز وجل من حيث لا يشعر الناس ومن حيث لا يشعر الظلمة والكفرة والمنافقون والمجرمون الجبارون لا يشعرون ولا يفكرون أن ما بأيديهم إنما هو تسليط من الله عز وجل لحكمة يعلمها فيظنون أن الأمور بأيديهم، أما أهل الإيمان فإذا رأوا مثل هذا

الجبروت من المتجبرين والطغاة والكفرة والظلمة والعصاة علموا أن الجبروت والعظمة لله وأن له الحكمة التامة والعلم التام وأن وضع الأشياء في مواضعها مقتضى أسمائه وصفاته سبحانه وتعالي، لذلك خافوا على أنفسهم ورجوا فضل ربهم سبحانه وتعالي، هذا المعنى الأول من معاني اسم الجبار.

لذلك كما ذكرنا لا يجوز لعبد أن يتسمى بهذا الاسم بهذا المعنى ولا أن يتصف بهذه الصفة لأن الجبار خائب وأما من سُمي على عهد الصحابة بجبار وقد ورد هذا الاسم في الصحابة ﵁ فهذا على المعنى الثاني الحسن أن يتسمى به الناس وهو من حق الرب عز وجل أكمل وأحسن المعاني الرب سبحانه وتعالي يتصف بالمعنيين .

المعنى الأول: معنى الجبروت وذكرنا معنى ذلك.

والمعنى الثاني: بمعنى جبر الكسر، الإصلاح.. الذي يجبر كل كسير مما به.. ويجب كل ذ ليل يصلح شأنه وكل محتاج وكل فقير يجبرهم سبحانه وتعالي ويصلح شأنهم وهذا المعنى كما ذكرنا يحسن للعباد أن يتصفوا بما يليق بهم منه كما أنه يحسن منهم أن يتصف بصفة الرحمة :" الراحمون يرحمهم الرحمن " ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء". هكذا قال النبي ﷺ، كما أن الله عز وجل هو القدوس فُيحسن للعبد أن يتصف بالطهارة بما يليق به من ذلك كما ذكرنا وما يليق بالرب لا يمكن أن يرقى إليه المخلوق فالله عزيز لا يرام جنابه كما ذكرنا.

فاسم الجبار الذي له مطلق الجبروت لا يحسن للعباد أن يتسموا ولا أن يتصفوا بشيء منه وأما الجبر الذي بمعني جبر الكسير وإصلاح العيب والإحسان إلى الضعيف والمنكسر والذليل فهذا معناً حسن أن يصف بما يليق به العبد منه والله تعالي أعلى وأعلم، والله تعالي جبره للمكسورين وستره عز وجل علي عيوب الضعفاء المتذللين لعظمته عز وجل أعظم من أن يحيط به نظر الإنسان يجبر سبحانه وتعالي الضعيف

المنكسر المفتقر المتذلل لربه عز وجل جبراً لا يخطر بباله ولا ببال غيره يصلح عز وجل من شأنه ما لا يقدر على الإصلاح من نفسه سبحانه وتعالي يجبر كل كسير.

أثر هذا الاسم ...

وأثر ذلك في نفس المؤمن أن ينكسر إلى الله سبحانه وتعالي بأنواع الانكسار كلها بشهود حاجته وطاقته الشديدة إلى ربوبية الله عز وجل وألوهيته وفي الإنسان أشد الحاجات.. الحاجة والفقر يكسر الإنسان الحاجة كما ترى في الفقير يكون منكسراً يستحضر العبد المؤمن حاجته إلى الله عز وجل في حياته في هواءه الذي يتنفسه.. في شرابه الذي يشربه.. في طعامه الذي يأكله في كل نفس من أنفاس حياته يستحضر أن الله الذي يجبر هذه الحاجة ويجبر هذا الضعف والعجز ويكمله من فضله سبحانه وتعالي وهو يحتاج إلى الله معبوداً أشد من حاجة بدنه إلى الله سبحانه وتعالي رباً خالقاً رازقاً.

يحتاج إلى أن يحب الله سبحانه ففي القلب حاجة وطاقة لا يسدها إلا التعبد والتأله لله عز وجل وحده لا شريك له فإذا استحضر العبد فاقته إلى الهداية والتوفيق من الله عز وجل والإعانة للعباد لكي يعبد الله سبحانه وتعالي استحضر ذلك انكسر ولابد ولم يتعزز بطاعة أو يذل بمنزلة أو حال أو يرى لنفسه فضلاً علي غيره فضلاً أن يرى فضلاً أن يري فضلاً لنفسه على الله عز وجل نعوذ بالله. لا يصدر ذلك من مؤمن أبداً وهذه الطاقة تكسر الإنسان فيجبر الله كسر وحاجته إلى الربوبية والألوهية حاجته إلى ربه و إلهه أن يوفقه لعبادته وأن يرزقه من فضله تكسر فإذا انكسر وذل لله عز وجل جبر الله كسره لأنه الجبار سبحانه وتعالي وكذلك ينكسر العبد يذل وينكسر لله عز وجل إذا رأي برؤية معاصيه ونعم الله وآياته فذلك يكسر الإنسان بلا شك كما ترى من أخطأ في حق غيره وهو يعتذر له فتراه منكسراً أمامه فيستحضر العبد المؤمن أنه يُخطئ بالليل والنهار كما وصف الله عز وجل" يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغروني أغفر لكم ".

انظر وتأمل في هذا الحديث الشريف الجليل الذي جمع الله عز وجل فيه ما يحتاج العباد فيه إلى أن ينكسروا لله فيجبرهم سبحانه وتعالي قال" يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته محرماً فلا تتظلموا يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني استهدكم.. يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فستطعموني أطعمكم.. يا عباد كلكم عارٍ إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم.. يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفرِ الذنوب جميعاً فاستغروني أغفر لكم ". اللهم اغفر لنا جميعاً – يا عبادي إنكم لم تبلغوا ضري فتضروني ولم تبلغوا نفعي فتنفعوني .. يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا علي أتقي قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً.. يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا علي أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً.. يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد منكم مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط البحر إذا أدخل البحر فيه إلا كما ينقص الغمس في البحر.. يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه.

الانكسار الناشئ عن شهود الحاجة والفقر.. كلكم ضال إلا من هديته.. كلكم جائع إلا من أطعمته.. كلكم عارٍ إلا من كسوته، الانكسار الناشئ عن كثرة الذنوب والمعاصي ونعم الله عز وجل المنهمرِ المتتابعة ينكسر العبد ولابد فإذا قال اغفر لي وتب علي كان منكسراً فيجبر الله كسره ويقيل عسرته ويقبل اعتذاره فيعذره سبحانه وتعالي ويقبل منه تلك التوبة ويتوب عليه عز وجل وكذلك المحب المنكسر فينكسر العبد بحبه لله عز وجل فإذا انكسر جبره الله بأعلى ما يُجبر به عبد بأن يكون محبوباً عبد الله عز وجل إذا تابع حبه لله عز وجل بطاعة نبيه ﷺ ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾و بهذا يتحقق كما ل العبودية فإذا انكسر العبد لله شعر

بالانكسار فإنه يجبره الله سبحانه وتعالي والذي لا يشعر بالذل والانكسار لله سبحانه وتعالي فهذا في خطر عظيم بل مغضوب عليه الذي لا يري فاقته وحاجته أولا يرى ذنوبه أول لا يستشعر حبه لربه عز وجل وحاجته لذلك الحب فإنه إن لم يكن قد هلك بالفعل فهو علي شفا الهلكة وإذا تعزز الإنسان بعمل أو بعلم أو بمنزلة وكان عند الله سابقة خير كسره الله عز وجل بمصيبة أو بأمر مؤلم أو بفوات مصلحة ونصر ليكسره ليجبره سبحانه وتعالي كما كسر عبادة الصالحين في غزوة أُحد وهم مع رسول الله ﷺ ليكسر نفوساً تعززت بما وقع يوم بدر وظن أنهم في كل معركة قد ضمنوا النصر فكسرهم الله عز وجل بالهزيمة ليتوبوا إليه عز وجل ويخضعوا ويذلوا له فيخبرهم سبحانه وتعالي فكذلك المصائب تكسر الإنسان فإذا شعر العبد أنها من عند الله عز وجل جبر الله مصيبته وأصلح عيوبه وأعطاه خير مما فقد وصبر واحتسب عند الله سبحانه وتعالي مصيبته، وكما يذكر ابن القيم رحمه الله مثل ما ذكره في فوائد غزوة أحد في هذا المعنى ما جري في غزوة حنين فإن نفوساً تعاظمت بالفتح وشعرت بالقوة.. فتح مكة ودخول قريش في الإسلام وخرج من يقول لن نغْلب اليوم من قلة فقال الله ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾

فحصل انكسار في أول المعركة وحصل جبر في آخرها وهذا فضله ورحمته بعباده المؤمنين يبتليهم بالمصائب التى يكسرهم بها فيجبرهم سبحانه وتعالي وهو الجبار الذي يجبر كل كسير له الحمد عز وجل.

اللهم اجبر كسر المسلمين وانصرهم علي من عاداهم ومكن لهم في الأرض برحمتك يا أرحم الراحمين.

اسم المتكبر

الذي لا ينبغي الكبرياء إلا له ولا يليق إلا بجنابه العظمة إزاره والكبرياء رداءه فمن نازعه صفة منها أحل به الغضب والمقت والتدمير..

اسم المتكبر.. أي الذي له الكبرياء وهو سبحانه وتعالي يتكبر بالحق ليس أنه يتعاطى ما ليس له هذه الصيغة في حق الآدمي أو في حق الإنسان متكبر، تعاطي ما ليس له يتكبر بمعنى يظهر الكبر ويظهر أنه كبير ومرتفع وهو الكبر والعياذ بالله الذي يمقته الله عز وجل يمقت ذرة منه والذرة من الكبر تمنع دخول الجنة كما قال النبي ﷺ :" لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر"، نعوذ بالله من الكبر.

أما المتكبر سبحانه وتعالى فالذي له الكبرياء الحق فهو الكبير حقاً وهو سبحانه وتعالي أمره في الخلق نافذ وكل من سواه أصغر وأحقر من أن ينازع الله سبحانه وتعالي كبرياءه وعظمته، الله أكبر التي أوجب الله عز وجل على المسلمين أن يقولوها في اليوم مرات ومرات في الصلوات وفي الآذان يفتتحون بها وفي مواضع مختلفة ذلك إثبات صفة الكبرياء لله سبحانه وتعالي، الله المتكبر بحق كما ذكرنا المخلوق لا يجوز أن يتصف بهذا الاسم بل حظ المخلوق أن يذل لكبرياء الله ويخضع لعظمته سبحانه وتعالي ولا يتصف بشيء من ذلك أبداً كما قال عز وجل :" العظمة إزاري والكبرياء ردائي".

المقصود من ذلك أن هذه الصفات ملازمة له سبحانه وتعالى وأنها تجوز إلا له كملازمة الرداء والإزار للابسهما ولا يمكن أن ينازعه أحد فيما يلبس لأنها حق له فالله سبحانه وتعالي حق له وحده العظمة والكبرياء فمن اتصف بشيء من ذلك متعاظماً على أمر الله متكبراً على عباد الله عز وجل فضلاً من أن يكون متكبراً على شرعه

سبحانه وتعالي فهذا يلقيه في النار ولا يبالي سبحانه وتعالي إذا كانت النار وكلت لكل جبار ولكل متكبر يلقي فيها تقول ": أُثرت بالجبارين والمتكبرين وقالت الجنة في ضعفاء الناس وسقطتهم". أو ما قال النبي ﷺ، فالنار جزاء المتكبرين ويكفي أن تعلم جزاء إبليس لترى مقت الله عز وجل لمن تكبر ولمن تعاظم.. كبر إبليس ذلك الذي دفعه إلي أن يرد شرع الله عز وجل ويرد أمره بالسجود لأدم متكبراً فصغره الله سبحانه وتعالي وذلك أن من ترك أمر الله سبحانه وتعالي يريد أمراً معيناً فالله يعاقبه بنقيد قصده قال ﴿ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ فلما تكبر صغره الله وهكذ ا كل متكبر لابد أن يصغره الله يصغره الله ويجعله ذليلاً حقيراً مهيناً بعدله وحكمته سبحانه وتعالي العبد المؤمن لا يتكبر أبداً ولا مثقال ذرة وكذلك يعلم مقت الله للمتكبرين فلا يتابعهم ولا يعظمهم ولا يدور في فلكهم راجياً المنزلة عندهم يعلم أنهم أحقر على الله من الجهلاء.. من الخنافس والحشرات لا يمكن أن يعظمهم فيمن يعظمهم أن يشارك فيما يقع حولهم من هالة التعظيم والتفخيم والتبجيل بالباطل الذي يعلم من خلال الشرع أنه باطل فهؤلاء الذي يخضعون للظلمة ويعظمونهم ويشاركون في تكبرهم بل هم أحياناً ربما كانوا السبب في تكبرهم هؤلاء لم يعرفوا أن الله هو المتكبر وأن الكبرياء من صفته وحده لا شريك له وإنما نظروا فقط إلى موضع أقدامهم نظروا إلي هذه الدنيا بل حتى ما نظروا إليها جيداً لو نظروا إليها جيداً لعلموا ما كان من جزاء المتكبرين السابقين فأين فرعون أشد المتكبرين والمجبرين؟!! ماذا كانت نتيجته؟!! وإلى ما صار حاله؟!! بل في كل زمان لو نظروا إلى المتكبرين والجبارين لعملوا أنها سنة الله الماضية لابد من نهاية للجبروت والطغيان والكبر والعياذ بالله من ذلك فإذا كان الأمر كذلك لم يخضعوا ولم يذلوا ولم يهينوا أنفسهم بمتابعة أهل الباطل المتكبرين نعوذ بالله من ذلك.

الخالق البارئ المصور

لما شاء إذا شاء فأي صورة شاء من أنواع التصوير ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٢ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾هذه الأسماء الحسنى أكثرها وردا وخصوصا صيغة الفعل الخالق وخلق من أكثر الأفعال التي وصف الرب عز وجل والبارئ والمصور كذلك وصف بهما الرب سبحانه وتعالي هذه الأسماء الحسنى إذا اقترنت

اختص كل واحد منها بمعنى وإذا أفرد كل اسم منها عن الآخر فإن معاني الأسماء الأخرى تدخل في الاسم الواحد مها، فإذا اقترنت فقيل الله هو الخالق البارئ المصور فمعنى الخالق المقدر للشيء قبل وجوده، والبارئ المخرج له من العدم إلى الوجود، والمصور الذي أعطي كل شيء خلقته وصورته وشكله.. شكله وعدَله وصوره في الصورة التي أراد، يقال خلقت العصا أي سويتها .

وقال الشاعر:

لأنت تفري ما خلقت وغيرك يخلق ثم لا يفري

لانت تنفذ ما قدرت أن تنقذه وغيرك يخلق ويقدر ويخطط ثم لا يدري ثم لا ينقذ فالخالق المقدر للشيء قبل وجوده فالله سبحانه وتعالي قدر مقادير الأشياء قبل وجودها وأوجدها عز وجل علي وفق ما خلق.. علي وفق ما قدر وهو عز وجل أنشأ برأ كل الأشياء من العدم كل شيء عدم خلقه الله عز وجل وأوجده من العدم كما قال النبي ﷺ:" كان الله ولم يكن غيره".

وقال عز وجل ﴿ أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا ﴾ فأتي عليه وقت لم يكن شيئاً علي الإطلا ق وأتي عليه وقت لم يكن شيئاً ولكنه يذكر كالنطف التي في الأرحام الآن هلي يذكرها أحد منا كم من النساء في العالم في

بطونهم ملايين من الأجنة من يذكرهم اليوم بشيء بمدح أو ذم سيكون منهم والله أعلي وأعلم بعد عشرات السنين الرؤساء والكبراء والأغنياء وهم الآن ليسوا شيئاً مذكوراً.. سبحان الله !! يعني الأغنياء سنة ٢٠٥٠ مثلاً أين اليوم ؟!! في بطون الأمهات أو في أصلاب الآباء ليسوا شيئاً مذكوراً ومنذ قديم الزمان لم يكونوا شيئاً أصلاً وقبل أن يخلق الله الخلق كان الخلق كله عدماً محضاً فالله الذي أنشأ الخلق من العدم إلى الوجود.

إذن قول الفلاسفة في النظرية " المادة لا تغني ولا تستحدث من العدم" قول باطل في أصل الخلقة أما أنهم يبحثون في داخل المعمل عن مادة مثلاً كانت موجودة فتحولت إلى مادة أخرى فيقولون أين عناصرها ذهبت إلى مكان آخر نعم، أما أنها تفني فهي تفني وتُستحدث من العدم فهي تُستحدث من العدم بل هذا أمر قطعي ويقين أما الأمور كلها كانت عدماً ثم أوجدها الله سبحانه وتعالي البارئ .

المصور

الذي أعطى الإنسان شكلاً والحمار والبقرة والحشرة، أعطى كل شيء شكله وصورته ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾الإنسان تركب صورته وهو في بطن أمه.. ترون أماً من الأمهات تصنع شيئاً لجنينها كل الأمهات يتمنين أن يكون ابنهم أجمل الأبناء وكذلك بناتهن أجمل البنات هل تفعل له شيئاً وهو بداخل بطنها أم تتمني فقط أن يصبح ابنها جميلاً؟!!

لا يمكن أن تعطي له شكل معين ولا طول ولا قصر ولا أعضاء تناسل ذكورة أو أنوثة ولا الأب أولي بالعجز ولا غيرهم أولي بالعجز ولا تسأل ولا تفكر وتمشى وأنت أيها الإنسان أعطيت هذا الشكل سبحان الله !!

الإنسان لو تأمل فقط في بعض صور الأجنة في شكله غير محتمل والله، في بعض الحالات الموجود يحدث سقط أثناء التكوين يكون شكل الإنسان عجيب والله ينعي ربما يكون مثل القرد وهذا أحسن الأشكال، أشكال عجيبة موجود عند في متاحف الباثولوجي موجود فيها صور لبعض إسقاطات الأجنة عجيبة للإنسان التي تسقط في عمر معين فالإنسان عندما يجد صورة حسنة أعطاها الله عز وجل وهيئة طيبة يحمد الله المصور علي ما صور من شكله وصورته وإذا وجد غير ذلك كأن كان دميم الوجه مثلاً أو كانت المرأة غير جميلة رجا أن يصوره الله في أحسن صورة يوم القيامة إذا دخل الجنة فإن أهل الجنة يدخلون الجنة على أحسن الأحوال وأكمل الصور والوجوه، وهو سبحانه وتعالي الذي عد للإنسان وأمشاه علي رجليه في هذه الصورة والهيئة ولم يجعله يمشى منحنياً كسائر الكائنات والحيوانات فهذه منة الله علي الإنسان بأن صوره في أحسن صورة وهذه الصورة مشرقة مكرمة إذا خلقها الله عز وجل بيده هذه صورة الإنسان اصطفاه الله سبحانه وتعالي فخلقها بيده كما قال عز وجل لإبليس ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾ فصورة مشرفة مكرمة لذا لا يجوز إهانتها كما قال النبي ﷺ :" إذا قتل أحدكم أخاف فليتجنب الوجه فإن الله خلق آدم على صورته ".

فهذه صورة مشرفة مكرمة ينبغي أن يعلم الإنسان فضل ربه المصور بها سبحانه وتعالي فهو عز وجل﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾خلق الإيمان والكفر في القلوب. خلق أفعال العباد وهذا علي أحد الوجهين لتفسير الآية فالآية لها وجهان في التفسير .

١- هو الذي خلقكم فمنكم كافر بذلك لا يقر بوحدانية الله وإلهيته ومنكم مؤمن قد أقر بأن الله إذا انفرد بالخلق فهو المستحق وحده بالعبادة .

إذن المعنى الأول هو الذي خلقكم فمنكم كافر ينكر ذلك أو ينازع فيه أو لا يقر بوحدانية الله ومنكم مؤمن بذلك.

٢- التفسير الثاني خلقه كافراً بمعنى سيؤول إلى الكفر لو كبر لا أنه كافر عند ولادته هو الذي خلقكم فقدر منكم من يكون كافراً ومن يكون مؤمناً وأما الغلام فطبع يوم طُبع كافراً.. أي لو كبر وليس أنه كافراً الآن، فعلى هذين الحالين خلق بعضكم مؤمنين وخلق بعضكم كافرين فيكون في هذا دليل على خلق أفعال العباد فالمؤمن يفكر في خلق الله عز وجل لهذه الكائنات والبشر خصوصاً ويفكر في خلق الله سبحانه وتعالي وإيجاده لأفعالهم فيهم بإرادتهم واختيارهم كما ذكرنا من قبل في شرح اسمه الجبار سبحانه وتعالي ويلحظ قدرته التامة علي ذلك وكذلك يلحظ خلق الذوات فهو يفكر في أن الله خلق هذه الكائنات ودبر أمرها وهو الذي خلق أفعالها وحركاتها وسكناتها.

قال ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ خلق السموات وخلق الأرض يفكر العبد المؤمن فيما أودع الله عز وجل من آيات باهرات في خلق السموات وخلق الأرض وهو سبحانه وتعالي جعل خلقه للسماوات والأرض من أوضح اليقينيات الدالة على وحدانيته كما قال عز وجل ﴿ أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ٣٥ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ٣٦ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَيۡطِرُونَ ﴾ سمعها جبير بن مطعم رضي الله عنه وهو يؤمئذ كافر سمعها من رسول الله ﷺ وقد آتي في فداء أسارى بدر قال:" فلما سمعتها كاد قلبي أن يطير " سمع رسول الله ﷺ يقرأ في المغرب بسورة الطور حتى بلغ ﴿ أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ٣٥ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾ والآية التي بعدها، قال كاد قلبي أن يطير وكانت سبباً في

إسلامه بعد ذلك ﷺ سبحان الله أن يتأمل ماذا يعنى تتضمنته آيات سورة النجم في قدرة الله عز وجل على أنواع الخلق كلها والعطاء والمنع والتدبير وينظر كيف أن المشركون مع رسول الله ﷺ والمسلمون والجن والإنس كلهم سجدوا في آخرها ليعلم أن النظر بهذه الطريقة التي أرشدنا إليها القرآن في خلق السماوات والأرض يجعل قلب العبد رغماً عنه ينكسر ويخضع لله ويعبد الله لما سمع المشركون في آخر الآيات ﴿ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴾ سجدوا حتى أمية بن خلف الذي أبى أن يسجد لم يمتنع مطلقاً ، وإنما أخذ كفاً من تراب ووضعه على رأسه وقال هذا يكفيني، حتى ما استطاع أن يقول لن أسجد وإنما أبى أن يسجد وقد وضع التراب على رأسه وقال يكفيني هذا إذاً كأنه إقرار لأن الجميع سجد كما قال ابن مسعود" المسلمون والمشركون والإنس والجن مع رسول الله ﷺ.

طريقة القرآن تلفت نظر الإنسان إلى هذا الخلق العجيب.. الخلق للذوات والخلق للأفعال.. خلق في الأرض وخلق في السماوات يجعل الإنسان يخضع لله عز وجل ويقر بوحدانيته سبحانه وتعالي، والتفكير في خلق الإنسان وخلق السماوات والأرض صفة المؤمنين كما قال عز وجل ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ قال ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ قال عز وجل ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾.

النظر في الخلق يجعل العبد يستحيل في حسه ونظره وفكره أن يوجد هذا الخلق عبثاً لا غاية ولا هدف يجعله يوقن بذلك لأنه يرى الإتقان التام، مثل ما قلنا للأخوة قبل ذلك عندما ينظر أحدهم لهذا المسمار المعلق بهذه الطريقة من المؤكد أنه لم يوضع عبثاً إنما وضع لغرض معين كتعليق الساعة أو وضع حبل عليه في فترة الاعتكاف فإذا كانوا ينزهوا أنفسهم علي أن أحدهم يدق مسمار من غير سبب ومن غير مصلحة وحكمة فسبحان الله.. الذي ينظر في هذا الخلق العظيم يقول بعد هذا أنه عمل نفسه أو كون نفسه؟!! لا ناس تسخر فعلاً لو قيل لهم إن هذا المسمار جاء دق نفسه، لكنهم لا يسخرون من دارون عندما يقول أن الخلية تكونت بأن جاءت البروتينات والكربوهيدارت لا .. إنما تفاعل الكربون والنيتروجين والهيدروجين مع بعض حتى كانوا جزئ من المادة البروتينية والنتروجينية والكربوهيدرات ثم كونوا جزئ مادة حية والحياة جاءت بها بهذه الطريقة مع أن موادها موجودة.. لا يسخروا منه!! ويقولوا أن هذا الرجل مجنون مثلاً..

لكن هذا فعل اليهود والإعلام أن دارون هذا رجل مفكر وعظيم جداً.. والعياذ بالله مع أن الكل يعرف ويجزم بالقطع الآن وفي الماضي أن هذا الكلام خرافات في خرافات وأنه مستحيل أن يكون مقبول، فسبحان الله.. كما أن كثيراً مهم يقروا بوجود الله – كثير جداً من الأوروبيين والأمريكان – فنظرية دارون التي تقول أن الخلق وجد صدفة.. نظرية عجيبة الشكل.. وكذلك الهندسة الوراثية التي يعملون فيها أبحاثهم الطويلة جداً والمتقنة جداً لتثبت أن كل شيء وراؤه شيء، فمثلاً صفة طول شعر الإنسان أولون شعره درجة ما بني وأسود.. أصغر حاجة.. وأكبر حاجة.. كلها لها شفرات موجودة على الكرموسوم الذي لا يظهر والذي يحمل آلاف الجينات التي تحمل ملايين الصفات الموجود على الحيوان المنوي الذي يوجد في السنتمتر المكعب الواحد في مني الرجل وأحياناً يكون مائة وعشرون مليون، موجود في كل واحد فيهم جميع صفات

الإنسان التي من الممكن يتكون من هذا الحيوان وموجودة أيضاً في البويضة.. فهم حالوا أن يفعلوا في الهندسة الوراثية كل شيء ممكن فاستخدموا الإشعاعات والذرات والإلكترونات وأشعة ليزر وأكس وكل الاشياء التي ظنوا أنها أثرت في الكون فأوجدت فيه الحياة فهم اكتشفوا أشياء كثيرة جداً كلها ممكن تؤثر.. وأيضاً عندهم قص ولصق الجينات شيء عجيب جداً.. يحضره مثلاً الجين .. (جزء من الكروموسومَ الإنساني) المسؤول عن عمل هرمون الأنسولين في البنكرياس ويلصقها في كروموسوم لبكتريا فيجد أنها أنتجت أنسولين إنساني مثل الذي يخرج من الآدمي بالضبط، فهم لا يُحضرون الأنسولين من الخنزير والبقر الآن بل يحضرونه في المعمل من خلال الهندسة والوراثية بأن يحضروا الجزء الذي فيه الجين الذي يسبب إنتاج الأنسولين ويلصقها في البكتريا فتتكاثر وتنتج أنسولين مثل الأنسولين الناتج من بنكرياس الإنسان فعملوا كل شيء ووجدا أنه من المستحيل أن خلق يتحول عن خلق فإنه من المستحيل أن يصبح القرد إنسان أبداً ولا الاثنين يكونون حاجة ولا أن تصبح الضفدعة سمكة ولا السمكة تصبح ضفدعة.. مستحيل، الإنسان نفسه صفاته لا يمكن أنها تتغير.. دائرة محدودة جداً هي التي تتغير فيها الصفات مهما تم من تأثيرات فنظرية التطور هذه منهدمة قطعاً فالقول الأكيد الصحيح أن هذه النظرية ليس لها أصل من الصحة، فالحقيقة أن هذه الكائنات المتشابهة ليس أنها نشأت من بعضها وإنما هذه الكائنات المتشابهة ربنا جعلها آية تدل وحدة الخالق سبحانه وتعالي.. أن الخالق الذي خلق الزرافة التي بسبع فقرات في رقبتها والفأر الذي له سبع فقرات في رقبته أيضاً.. أن جميع الفقاريات فيها الفقرات العنقية سبع فقرات.. إذن الخالق واحد سبحانه وتعالي.

إن نظام هذا الكون في كل الأجزاء – في الخلق خاصة – هو نفس النظام شكل مبيض القطة ومبيض الإنسان فيه تشابه ويؤدي نفس الوظيفة فإذا رأيناه تحت الميكروسكوب وجدناه مثل مبيض القطة، طلبة الطب لا يستطيعون أن يفرقوا بنيهم

فكلاهما فيهما إتقان بالغ لكن كل شيء لها صفاتها البعيدة تماماً عن الشيء الآخر، لكن هناك تشابه عجيب.. تشابه مع اختلاف فسبحان الله!!.

فكلهم جزموا بأن هذا الأمر ليس من الممكن إلا أن يكون نظرية الخلق المستقل – مثلما يسمونها هم نظرية – (إن كل مخلوق خَلق على وضعه هذا من يوم أن خلق) .. ربنا هو الذي خلق الخلق علي هذه الصفة من يومها فهم يقرون بوجود الله لكن يأتوا يقولوا لهم إن وجود الله يستلزم أن تبحثوا أن الله لماذا خلق الخلق.. يقول لا.. لا أريد أن أفكر .. لا أريد أن أتكلم في هذا الموضوع.. فنحن لا نفكر في لماذا خلقهم، فيكفي أنه أقر بوجود ربنا والعياذ بالله وهذا للأسف حال كثير جداً ممن يعيش حياته حياة البهائم والعياذ بالله بسبب هذه النقطة لأنه يعيش من غير (لماذا).. لأنه لو فكر أن يقول لماذا ربنا خلق الخلق، أليس ممن المكن أن يكون الله خلق الخلق مثل ما قلنا أن مسمار في الحائط لابد وأن يكون له فائدة. لو وجودوا طبق فخار في محفور سيقولوا لا هذه حضارة كانت هنا وأناس ذوي عقل صنعوا هذا الشيء لسبب من الأسباب ..إذن لابد وأ ن يكونوا صنعوا لغرض معين. فإذن هل من المعقول أن يكون هذا الكون خَلق بدون حكمة بدون سبب.. بدون شيء من وراءه؟!!

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾إذن لابد أن يفكر الإنسان في هذا الكون المتقن تمام الإتقان في كل شيء من أول الذرة حتى النجوم والكواكب التي تسير في نفس النظام تدل على وحدة الخالق سبحان الله، هذا النظام لابد أن يكون خلق لحكمة.. لا يمكن أن يكون هذا الخلق خَلق عبثاً وسدي ويترك هكذا لابد أنه خَلق لحكمة لكي يعرف الناس ربهم ويعبدوه، طبعاً من الذي يسأل عن لماذا خلق؟؟ الذي يسأل لماذا خلق الخلق الله عز وجل وهو لأن هذا السؤال فطري في نفس كل إنسان أنزل الله على رسله الوحي

بسبب خلق هذا الخلق والحكمة من وراءه ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ وأن يحب الرب عز وجل، هذا الكلام موجود في كل الكتب حتي في المحرف منها حتى اليوم مثل ما قلنا قيل ذلك أول وصايا عند اليهود والنصارى" الرب إلهنا رب واحد رب إبراهيم وإسحاق ويعقوب وأن تحب الرب إلهك من كل عقلك وقلبك وفكرك " عجيب والله لأن الإنسان محتاج.. هذا هو الشيء الذي يحتاج له.. يعرف أنه يريد أن يعبد ربنا ويحب ربنا ويخضع لربنا فلابد أن بنظام الحياة ومنهج الحياة الذي شرعه الله للعباد وبينه للعباد من خلال الرسل أما أن نقول أنه يوجد رب ثم نترك شرعه جانباً أو نترك الإيمان برسله لذلك كان هناك تلازم دائماً بين من يكفر بالرسل يكون كفر بالله كفر بالذي أرسله لأن ليس من الممكن أن يعيش حياته وفق أمر ربنا إلا من خلال الإيمان بالرسل وذلك أصول الإيمان كلها مترابطة أعظم الترابط والرسل تركوا الكتب أُنزلت عليهم الكتب تركوها للناس لتبقى بعد وفاة الرسل يبقي لابد أن نرجع إلى كتب الله عز وجل.. نعرف كلام الله نعرف منه لماذا خلقنا وأوجدنا؟!! قضية الخلق هذه عظيمة الإثارة في نفس الإنسان تثير في نفسه من المعاني.. معاني الحياة ومعاني الوجود وغايته ونهايته ولماذا لابد أن يعبد الله وحده لا شريك له ما يجعل نفس المؤمن يتضح لديه الأمر أوضح من الشمس فعلاً والله ذلك بدون مبالغة، الأمر في منتهي الوضوح والبيان أوضح من الشمس، قضية التوحيد أن الله الخالق سبحانه وتعالي أنه خلق الخلق لحكمة وغاية وهي أن يعبدوه وحده لا شريك له وأن يلتزموا بطاعة رسله وأن إلى الله عز وجل المصير قال عز وجل﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾نسأل الله سبحانه تعالي أن يغفر لنا ذوبنا أجمعين .

الغفار

الذي لو أتاه العبد بتراب الأرض خطايا ثم لقيه لا يشرك به شيئاً لأتاه بقرابها مغفرة.

القهار

الذي قسم بسلطانه قهره كل مخلوق وقهره

الوهاب الذي كل موهوب وصل إلى خلقه فمن فيض بحار جوده وفضله ونعمائه الزاخرة.

الرزاق

الذي لا تنفذ خزائنه ولم يغض ما في يمنه أرأيتم ما انفق منذ خلق السماوات والأرض ماذا نقص من فضله العزيز .. يزق كل ذي قوت فوته ثم يدبر ذلك القوت في الأعضاء بحكمته تدبيراً متناً محكماً يرزق من هذه الدنيا من يشاء من كافر ومسلم أموالاً وأولاده وأهلاً وخدماً ولا يرزق الآخرة إلى أهل توحيده وطاعته قضى ذلك قضاء حتماً مبرما وأشرف الأرزاق في هذه الدار ما رزقه عبده علي أيدي رسله من أسباب النجاة من الإيمان والعلم والعمل والحكمة وتبين الهدي المستنير.

الغفار.. الغفور

كلها تجل على سعة مغفرته عز وجل والغفار صيغة مبالغة وكذلك الغفور من غافر ومعنى مادة غفر تتضمن أمرين..

- أمر الستر
- وأمر الوقاية

كما يقال المغفر لأنه يستر رأس المحارب ويقيها من ضربات من يحاربه، أما الستر المجرد عن الوقاية كالخمار فلا يسمى مغفر، وكذلك الوقاية من غير ستر.

فمعني هذا الاسم الكريم أن الله عز وجل يستر ذنوب عباده المؤمنين المحسنين إذا أذنبوا وعصوا فيسترها سبحانه وتعالي ولا يفضحهم بها في الدنيا والآخرة مع الوقاية من شرها وعقابها فهو يقيهم عز وجل عقابها. وورد في الحديث أن الله سبحانه وتعالي يقرر عبده المؤمن يوم القيامة علي سيئاته :" أتذكر يوم كذا وكذا ذنب كذا وكذا " فيشفق العبد ويقر ويعترف فيقول الله عز وجل " أنا سترتها عليك في الدنيا وأغفرها لك اليوم" فيؤتي كتابه بيمينه ويعطي صحيفة حسناته فيقول لإخوانه ﴿ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ﴾فالله عز وجل يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب إليه سبحانه وتعالي ويغفر ما دون الشرك لمن لم يتب إذا شاء عز وجل لمن شاء كم أخبر عز وجل ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ ﴾ فما دون الشرك معلق علي مشيئته عز وجل لمن لقي الله به ، أما من تاب من الشرك بالأولى وبالأولي ما دونه فإن الله عز وجل يغفر الذنوب جميعا وهذا هو وجه الجم بين قوله عز وجل

﴿ ۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾وبين قوله سبحانه وتعالي ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ ﴾فالأولي فيمن تاب والثانية في من مات بذنبه ذلك فلا يغفر الله له الشرك ويغفر ما دون ذلك في المشيئة ومآله في النهاية وإن عذب إلى المغفرة والتجاوز فلا يعذب بذنبه إلى الأبد بل يخرج من النار يوم من الأيام أصابه قبل هذا اليوم ما أصابه، وسعة مغفرته سبحانه وتعالي لمن أقبل وتاب إليه دلت عليه أدلة الكتاب والسنة كما قال ربنا سبحانه وتعالي عن الملائكة ﴿ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴾وإذا علم العبد أن الله غافر الذنب وأنه سبحانه وتعالي

الغفور وأنه الغفار عز وجل لم يتعاظم عنده ذنب، ييأس من رحمة الله فلا يتوب منه بل كل الذنوب تتصاغر أمام رحمة الله فيبادر إلى توبة صادقة ورجوع وندم وإقلاع عن المعصية رغبة في مغفرة الله سبحانه وتعالي وعفوه وقد أخبر النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل في سعة مغفرته قال سبحانه وتعالي :" يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك علي ما كان منك ولا أبالي.. يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء– أي السحاب– ثم استغفرتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي.. يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة" حديث حسن حسنه الترمذي وغيره.

فالله عز وجل يغفر الذنوب جميعاً ولو كانت أجساماً فبلغت السحاب فإن الله عز وجل يغفرها لمن تاب إليه ويغفر للموحدين ما لا يغفر لغيرهم ويسترهم سبحانه وتعالي ولا يفضحهم .

القهار

الذي قسم بسلطان قهره كل مخلوق وقهره فهو يدل علي معني الغلبة وأن الله عز وجل أمره نافذ في الخلق جميعاً وكل من سواه عز وجل مقهور تحت أمره فهو غالب علي أمره عز وجل، وقهر العباد وذلهم الاضطراري ظاهر لكل متأمل وإن كان أكثر الخلق يغفلون فيما بين ولادتهم وموتهم عن حقيقة قهرهم وحقيقة انفراد الرب عز وجل بأنه القهار ولكن كل من تأمل يجزم بأن الإنسان يولد قهراً ويموت قهراً وفيما بين ذلك هو أيضاً مقهور فشأنه ألا يتكبر ولا يتجبر.. شأنه الواجب عليه أن يعرف أنه مغلوب فلا يغلب عباد الله بالظلم ولا بالعدوان وأن فيقهره الله سبحانه وتعالي بعقابه وأليم عذابه لو تأمل الإنسان أنه حين ولد لم يكن له اختيار في وجوده أصلاً ولا في أبويه من هما ولا في الزمن الذي يولد فيه ولا في الشكل الذي يشكل فيه ولا في جنسه ولا في اسمه ولا في أعضاءه وجوارحه كاملة أو ناقصة تامة الوظائف أم ناقصتها يتأمل أحواله كلها عند

بدايته ليعلم أنه مقهور وكذلك تأتيهم من أنواع البلايا والأمراض وما يضعف قوته.. ينمو رغماً عنه ويتوقف نموه رغماً عنه فإن الواحد منا يكبر يظل ينمو جسمه وعقله وإمكانياته وهو في ذلك كله لا يملك لها لا دفعاً ولا منعاً.. لا يملك أن يزيد في هذه الأمور ولا يملك أن ينقصها ثم يتوقف نموه في سن معيناً ويجد في نفسه من شهوات الجوع إلى الطعام والعطش إلى الماء والرغبة في الجنس الآخر ما يدل أدلة قاطعة علي أنه مقهور يجد نفسه مدفوعاً إلى ما أراد الله سبحانه وتعالي ثم إنه عندما يقدر الله عز وجل نهاية حياته لا يملك أحد من الخلق المقهورين مثله أن يمنع عنه ذلك ولا يملك أن يمنع عن نفسه ذلك بل يرحل رغماً عنه كذلك ويوضع في التراب رغماً عنه وتحمله الأيدي وتقلبه بلا قدرة منه على الإطلاق فهو أولى به فيما بين بدايته ونهايته أن يدل لله عز وجل الذل الاختياري الذي هو الدخول في طاعته وأن لا يعارض أوامر الله عز وجل برأيه أو يذوقه أو بسياسته أو بعقله أو بغير ذلك مما يعارض الناس به شرع الله عز وجل ويظنون أنفسهم لهم الحق في الخروج عن ذلك الشرع نعوذ بالله فإذا استحضر العبد أن الله هو القهار قهر الإنسان وهو أعلي المخلوقات شأنا فكيف يغيره؟!! والسماوات والأرض مقهورة بأمره سبحانه وتعالي ﴿ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّى ﴾فالله سبحانه وتعالي من أدلة كونه القهار مظاهر ما حولنا من السنون كلها تشهد بأن الله سبحانه وتعالي قهر جميع المخلوقات وجعلها تحت أمره وسلطانه عز وجل، ولا يناسب العبد أن يتصف بهذه الصفة أو بشيء منها فيذل عباد الله أو يغلبهم علي إرادته إلا ما أمر الله سبحانه وتعالي بإذلالهم وليس في الحقيقة إذلالاً لشخص بل لأمر الله سبحانه وتعالي كالكفرة الذين أمر الله بأن يكونوا صاغرين.. أن يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرين وأن يغلبوا علي دين الله سبحانه وتعالي بمعنى أن يخضعوا لسلطانه فهذا ليس خضوعاً لشخص فلا يجوز للعبد أن يقهر العباد علي إرادته هو وإنما علي أمر الله

سبحانه فيما أذن الله فيه وأما أن يذ ل من لا يستحق الإذلال أو يغلب ويكره ويقهر من لا يستحق ذلك فهو ظلم وعدوان وطغيان بل حظ العبد من هذا الاسم الخضوع والذل والانقياد كما أن خطه من اسم الغفار أن يتعلق قلبه به سبحانه وتعالي سبحانه وتعالي وحده في ستر ذنوبه ومحو آثارها ومغفرتها في الدنيا والآخرة فلا يعاقب بها.

الوهاب

فالله سبحانه وتعالي وهب كل مخلوق وجوده أصلاً وأعطاه إياه وهو سبحانه وتعالي يهب لمن يشاء من أمر الدنيا يهب المال والرياسة والصحة والولد وعطاؤه سبحانه وتعالي في ذلك هبة منه بلا مقابل ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝٤٩ أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانًا وَإِنَٰثًاۖ وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا﴾ وأعظم الهبات الي يهبها الله سبحانه وتعالي لعباده الرحمة والهداية والتوفيق كما يقول أهل الإيمان كما ذكرنا الله عنهم ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴾فهم يتوسلون إلى الله عز وجل بهذا الاسم.. اسم الوهاب أن يهب لهم الرحمة وأن يعطيهم الرحمة بلا مقابل منهم فإنما هداية قلوبهم هبة من الله ورحمته وثوابه عز وجل على ذلك هبة سبحانه وتعالي أيضاً، هو عز وجل يهب الدنيا لمن أحب ومن كره ولكنه لا يعطي الدين إلا لمن أحب سبحانه وتعالي وإعطائه عز وجل الدنيا لمن كرهه عز وجل لهوانه وهوانها فلولا هوانه علي الله عز وجل لما سقي الكافر منها كأساً، كما قال النبي ﷺ :" لو أن الدنيا تساوي عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربه ماء". فالدنيا بأسرها من أولها إلى آخرها شيء تافه ليس له قدر أعطاها إبليس أن يعيش فيها إلى يوم يبعثون لهوانه علي الله ولهوان الدنيا علي الله عز وجل فهو يعطي الدنيا لمن أحب ولمن كره ولكنه لا يعطي الدين إلا لمن أحب وعطائه سبحانه وتعالي الدنيا لمن كره كذلك يجعله عز وجل سبباً لعذابه وشقائه قال تعالي ﴿

﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ﴾و لذا علي العبد أن يسأل الله عز وجل أن يهب له طاعته وهدايته ورحمته لا يكون همه العطاء الدنيوى فإن العطاء الدنيوي بغير عطاء ديني يكون شقاء علي الإنسان وعذاباً، يكون نقمة في صورة نعمة يحسده الناس عليها ولا يتمتع بها فكم من الكفرة والمنافقين يعطيهم الله عز وجل الأموال ليشقوا بها ليذلوا لها ويخضعوا لا ويعبدوها من دون الله ويعطيهم الأولاد ليكونوا سبب شقائهم في تنشئتهم ثم في مفارقتهم ثم في عقوقهم وأنواع الأذي الذي يصلهم من أولادهم وهذا من جراء عملهم فجعلوا هبة الله سبحانه وتعالي التي وهبهم صرفوها في غير طاعنه واستغلوها في غير عبادته فجعلها الله عز وجل نقمة عليهم وعذاباً نعوذ بالله من ذلك.

فالوهاب الذي كل موهوب وصل إلي خلقه فمن فيض بحار جوده وفضله ونعماءه الزاخرة سبحانه وتعالي فكما أخبر ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ﴾وكما ذكرنا أن عطاء الله عز وجل عبده المؤمن الدين وإن لم يهب له أشياء من الدنيا فإن ما وهبه من الدين وما أعطاه من الطاعة يجعل ما حرمه الله سبحانه وتعالي منه وما منعه منه عطاء آخر رحمة به وفضلاً عليه ألم نعلم أن أول الناس دخولاً الجنة فقراء المهاجرين وأنهم أول الناس مرواً علي الصراط فكان حرمانهم عطاء وهبة منه سبحانه وتعالي ذلك أن من أعطاه الله جعل منعه عطاء جعل ما منعه الله منه عطاء له وتأمل سؤال النبي ﷺ الرزق منه سبحانه وتعالي في الدنيا كيف يكون قال النبي ﷺ :" اللهم اجعل رزق آل مُحَمَّد قوتاً " طلب من الله عز وجل أن يرزقه الرزق الذي يقيته هو وأهله دون زيادة، القوت هو ما يكفي دون زيادة فانظر إلى ما ينبغي أن يطلب العبد من الدنيا العطاء الدنيوي الذي يطلبة من الله ينبغي أن يكون

كذلك.. هذا أسعد وأحسن أحوال الإنسان ولذا أوصى النبي ﷺ أصحابه أن يكون زاد أحدهم من الدنيا كزاد الراكب أما أن يسأل الإنسان ربه عز وجل مع أن سؤاله عز وجل خير في ذاته ولكن أن يسأله الدنيا فإن ذلك ليس من هدي المؤمنين الكمل فكيف إذا كان سؤال الدنيا من غير الله عز وجل؟!! فكيف إذا كان سؤالها بإغضاب الله سبحانه وتعالي وإرضاء عبادة بإسخاطه نعوذ بال، له فلا تكون نعمة بل نعمة ولا تكون عطاء بل منعاً وإن ظن الناس أنه قد وهب الكثير.

الرزاق

سبحانه وتعالي الذي لا تنفد خزائنه كما قال النبي ﷺ:" يمين الله مليء لا تغيضها – لا تنقصها – نفقة سحاء الليل والنهار – دائم الصب علي عباده بالنعم والأرزاق – أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض فإنه لم يغض ما في يمينه وبيده الأخرى القسط يخفض به ويرفع". أو كما قال ﷺ .

يتأمل الإنسان فيما يرزق الله عز وجل به عباده ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ﴾ يتأمل في نزول المطر من السماء وما يملكه أحد وبه تحيا الخلائق كلها، به تجري الأنهار وتملأ العيون والآبار ويشرب الناس ويزرعون وتشرب البهائم وتعيش ويتغذى الإنسان علي ذلك كله ولو أراد الله أن يمنع ذلك أو شيئاً منه أ و يجعله سبباً لهلاكهم كما يفعل عز وجل لمن شاء بأنواع الفيضان وشدة الأمطار وإغراقها للبلاد والعباد لو شاء أن يفعل ذلك بمن شاء فعل سبحانه وتعالي فالله يرزق كل مخلوق يقسم الأرزاق بين خلقه جميعاً البشر وغيرهم من البشر المؤمن والكافر كل يرزق لا يملك أحد رزقاً لأحد، وإذا استحضر العبد ذلك سأل الله عز وجل الرزق وابتغي منه الفضل كما قال إبراهيم عليه السلام ﴿ فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ ﴾ وإذا استحضر أن

الرزق منه شكره ولم يشكر غيره.. نعني بذلك لم يشكر غيره علي أنه الذي أعطى ومنع بل إذا شكره يشكره علي أنه سبب كما قال ابن مسعود ﵁ :" إن من ضعف اليقين أن تحمد الناس علي رزق الله وأن تذمهم علي ما لم يؤتك الله إن رزق الله لا يجره حرص حريص ولا ترده كراهية كاره"، إن من ضعف اليقين من ضعف الإيمان ومن ضعف شهود القدر ومن ضعف استحضار أن الله هو الرزاق أن تحمد الناس علي رزق الله الذي ساقه إليك علي أنهم أعطوا وكانوا يمكنهم أن يمنعوا وأن يظن الإنسان بالناس أن الأمور بأيديهم وكذا أن يذمهم علي ما ليم يؤتيه الله فما حرم إنما هو أمر لك يكتبه الله له ولم يقدره ولم يؤته إياه.. لم يعطيه إياه فمن ضعف اليقين أن يقول.. فلان حرمني فلان هو السبب في معني ذلك أو نحو هذا فلان هو الذي كان يمكن أن يأتيني كذا وهو الذي لم يعطني أو هو الذي منع عني فلا تشغل نفسك كثيراً بالناس فإنهم لا يمنعون عنك رزقاً أراده الله عز وجل إليك ليس في قدرتهم كما قال النبي ﷺ لابن عباس:" وأعلم أن الأمة لو اجتمعت علي أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولوا اجتمعوا علي أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف"

قال ابن مسعود:" إن رزق الله لا يجره حرص حريص ولا ترده كراهية كاره" وإذا أيقن الإنسان أن الله هو الرازق لم يطلب الرزق بما حرم الله كما قال النبي ﷺ :" إن الروح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها كما تستوفي أجلها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب خذوا ما حل ودعوا ما حرم" فلا يقولن عبد أريد أن أكل العيش أريد أن أربي أولادي أريد أن أحصل علي كذا وكذا مبرراً بذلك ارتكابه للحرام الكفرة يفعلون ذلك وكثيراً من الخلق العصاة والمجرمين يتعللون بذلك وليس بعلة وليس بعذر في ارتكاب المعاصي والذنوب فضلاً عن الكفر والنفاق فإن الرزق يأتي من الله عز وجل ولا يعني ذلك أن العبد لا يأخذ بالأسباب ولكن يأخذ كما حل قال النبي ﷺ :"

فاتقوا الله وأجملوا في الطلب" اطلب الطلب الجميل.. اطلب لأن أمرك بابتغاء الرزق ﴿ فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ ﴾ واستعمل رزق الله في عبادته واشكر ربك سبحانه وتعالي علي ما أعطاك، أما أن تترك الطلب ولا تبتغي من رزق الله فهذا ليس من هدي الأنبياء كما تكلم عن بعضهم أنه قد كان قد خرج في طلب معاشه فقرأ أو سمع قوله الله أو تذكر قول الله ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾فقال إن رزقي ها هنا وأنا أطلبه من هاهنا أي من الأرض فدخل نحو المذبلة أو كذا فظل وذكروا أنه كان يرزق وأنه كان يطعم فيها ونحو هذا فهذا بالقطع ليس من هدي الأنبياء ولا أمر به القرآن وليس معنى أن في السماء رزقكم أن لا يطلب الرزق في الأرض ولكن علق قلبك بمن يرزقك من السماء.. اجعل قلبك متعلقاً بالله سبحانه ورزق الله الذي يرزق عباده من خلاله المطر ينزل من السماء وقد قدر الله الرزق في السماء ولا يعني ذلك أن لا نمشي في مناكب الأرض ونأكل من رزقه كما قال عز وجل ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ ﴾، وكما قال عز وجل﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ وإن رزق الإنسان بوسيلة غير شرعية قد يكون ذلك امتحاناً من الله عز وجل لعباده وكما أن أهل المعاصي يرزقون فلا مانع أن يرزق أهل المخالفة وأهل البدع كذلك ولذلك نقول ليس معني كونه قد رزق مثلاً رغم تركه الأسباب أن ذلك يعني أن هذا هو المشروع لا بل الرزاق سبحانه أمرك أن تبتغي منه الرزق وأن تطلب فضله سبحانه وتعالي وهو عز وجل رزقه للكائنات ليس مقتصراً علي الأرزاق الظاهرة من الأموال والغذاء والماء وغيرها بل رزق أجزاء الكائن الحي تُرزق وهي في مكانها يدبر الله القوت في بدن الإنسان والحيوان بقدرته عز وجل يرزق كل ذي قوت

قوته ثم يدبر ذلك القوت في الأعضاء بحكمته تدبيراً متقناً محكماً، فإذا تأمل الإنسان الهواء الذي يتنفسه وهو رزق من الله عز وجل إنما يعلم أهميته وقدر النعمة به من حرمه وإن حبس في مكان ضيق مثلاً أو حبس في نفسه كأن ضيقت عليه مجاري نفسه ابتلي بداء في الصدر يجعله لا يستطيع أن يأخذ نفسه مستريحاً فيعرف قدر نعمة الهواء الذي يتنفسه الإنسان، هذا الهواء يدير في بدن الإنسان ليصل إلي كل خلية من خلايا جسمه والكل حيوان ونبات يتنفس هذا الهواء ويصل إلى كل أجزاء جسمه وكل خلية من خلايا جسمه ما تحتاجها يسوق والله عز و جل إليها والإنسان في غفلة فهو لا يدري كم حملت كرات الدم مثلاً من هذا الأكسجين إلى أجزاء بدنه وما هي التفاعلات الكثيرة المتعددة التي جعلت هذا الهواء المتنفس يتحول إلى ما تنتفع به الخلايا والإنسان نائم وهو في حكم النائم والمستيقظ علي السواء لا يعرف عن ذلك شيئاً، لو توقف بعض هذه العمليات المعقدة في جسم الإنسان لما وصل هذا الهواء إلى أجزاء الجسم ولماتت ولتعذر عليها أن تستمر ولضرت الإنسان بعد ذلك فعندما يحصل نقص في الدورة الدموية لبعض الأعضاء يحصل نقص في وصول هذا الأكسجين إلى أجزاء الجسم فعند ذلك يظهر لنا أن الله هو الذي يدبر هذا الهواء في أجسامنا لكل أجزاء أبداننا وكذا الحيوان والنبات وكذا الطعام والماء الذي نشربه يدبر في الأبدان تدبيراً متقن محكماً.

يقول رحمه الله": يرزق من هذه الدنيا من يشاء من كافر ومسلم أموالاً وأولاداً وأهلاً وخدماً وهذه كما ذكرنا هذا رزق يسعى إليه كثير من الناس لكنه ليس بالضرورة سبب السعادة بل سبب الشقاء لمن كفر بالله عز وجل وأما للمسلم فنعم من نعمه يستعملها في عبادته ويشكره عليها ومن استعملها في الشرك به ولم يشكره عليها كلاهما يكون من أسباب الشقاء والعذاب في الدنيا وتزهق نفسه وهو كافر، وأما أشرف الأرزاق العلم والعمل الإيمان والعلم والعمل والحكمة وتبيين الهدى المستنير الذي جاءت به الرسل فهذه أعظم النعم وأشرف الأرزاق.

الفتاح

من أسماء الله عز وجل قال: الفتاح الذي يفتح علي من يشاء بما يشاء من فضله العميم يفتح علي هذا مالاً وعلي هذا ملكاً وعلي هذا علماً وحكمة ﴿ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ هو أشار إلى معناً واحد من معاني اسمه الفتاح وهو الذي يفتح علي عباده بالأرزاق والعطايا فهو قريب من معني الرزاق والمعطي والوهاب ونحو ذلك.

يفتح علي هذا مالاً بمعني يعطيه، يفتح له من خزائنه سبحانه وتعالي مالاً أو ملكاً أو علماً وحكمة وهذا أعظم أنواع الفتح ويفتح الله عز وجل من أبواب رحمته ما يشاء ﴿ مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ ﴾ وإذا أراد الله بعبد رحمة ما استطاع أحد أن يمنع وصول هذه الرحمة ﴿وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ إذا امسك رحمته عن عباده هلكوا ولا يوجد من ينقذهم فهذا هو المعنى الأول.

وأما المعني الثاني : فهو معني الحكم كما قال سبحانه وتعالي عن شعيب عليه السلام ﴿ رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ ﴾وكذا قال عز وجل آمراً نبيه عليه الصلاة والسلام يقول ﴿ قُلۡ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾فهذا الفتح بمعنى الحكم وكذا قوله سبحانه وتعالي ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ رَبُّهُمۡ لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسۡكِنَنَّكُمُ

ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾١ س

تفتحوا أى طلبت الرسل الفتح أي الحكم فيما بينهم وبين أقوامهم، الله هو الفتاح الذي يفتح بين عباده أي يحكم بينهم سبحانه وتعالي ويفصل بينهم بالعدل في الدنيا وفي الآخر فهو عز وجل فتح بين الرسل وأقوامهم بأن نصر الرسل وجعل العاقبة لهم ودمر الكافرين والظالمين والمنافقين وعذبهم في الدنيا ويفتح عز وجل بين الناس يوم القيامة يحكم بين العباد فيدخل من شاء في رحمته ويدخل من شاء في ناره... نعوذ بالله من النار.

العليم

الذي أحاط علمه بجميع المعلومات من ماضٍ وآت وظاهر وكامن ومتحرك وساكن وجليل وحقير.. علم بسابق علمه أنفاس خلقه وحركاتهم وسكناتهم وأعمالهم وأرزاقهم وآجالهم ومن هو منهم من أهل الجنة ومن منهم من أهل النار في العذاب المهين ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ ما من جبل إلا ويعلم ما في وعره ولا بحر إلا ويدري ما في قاعه﴿ وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾.

اسم العليم كاسم عالم الغيب والشهادة كما ذكرنا من قبل ينبغي أن يفكر الإنسان ويتأمل في ذلك بسعة علمه سبحانه وتعالي وإحاطته بجميع المعلومات من ماضٍ

من ما مضي.. وآت مما يأتي من الأمور فعلم الله ما كان وما سيكون وعلم ما لم يكن لو كان كيف يكون.. علم الأمور التي لم تقع لو قدر أن تقع علي أي صفة كانت مع أن احتمالات ما لم يكن آلاف مؤلفة غير ما كان وعلم الله ما لم يكن لو كيف يكون سبحانه وتعالي، وعلم الله الأمور الظاهرة والباطنة والمتحركة والساكنة ويعلم عز وجل الجليلة والحقيرة الأشياء الكبيرة والصغيرة ليس كما يقولوا الفلاسفة أنه عالم بالكليات دون الجزئيات بل هو عز وجل لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض.

يقول " علم بسابق علمه عدد أنفاس خلقه" سبحانه الله كل واحد منا كم يتنفس في الدقيقة الواحدة وإذا قلت كم يدق قلبه ثم في الساعة ثم في اليوم ثم في الشهر وفي السنة لا يحيط العباد بذلك ثم ينتهي ذلك مع نهاية عمره يتوقف رئتيه عند آخر النفس ويتوقف قلبه عند آخر دقه من دقات القلب للإنسان أنفاس معدودة يستهلكها يهدم كل يوم جزء منها لقلبه دقات معدودة علم الله عز وجل ذلك قبل أن يولد الإنسان، سبحانه وتعالي أحاط علماً بذلك كله وعلم حركاتهم وسكناتهم مما يلتفت إليه الإنسان ويشعر به ومم ا لا يشعر به فالإنسان يتحرك حركات كثيرة جداً لا يشعر بها وأجزاء جسمه تتحرك وهو لا يشعر وأشياء أخرى ساكنة.

وأما الأعمال فأضعاف ذلك، أعمال البشر في كل مكان في الأرض في كل زمان فيما مضي وانقضى وفيما هو آت قد أحاط الله سبحانه وتعالي علماً بذلك، وعلم الأرزاق والآجال ومن هو منهم من أهل الجنة ومن هو منهم من أهل النار واستأثر الله عز وجل بمفاتيح الغيب الخمس﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ﴾ فهذه مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو وقد يعلم سبحانه

وتعالي من شاء بما شاء من بعض ذلك دون أن يطلعه علي تفاصيل الغيب فكما أطلع عباده جميعاً علي وجود أمور من الغيب تقع كقيام القيامة والبعث والنشور والجنة والنار وأخبر بذلك علي ألسنة الرسل بما هو آت ولكن لا يعلم البشر ولا حتى الرسل متى يقع ذلك وقد يخبر سبحانه وتعالي عن بعض تفاصيل ذلك بالتفصيل لبعض كما يطلع الملائكة ويأمرهم أن يكتبوا للجنين في بطن أمه قبل ولادته أجله ورزقه وعمله وشقي أم سعيد ولكن ذلك كله معلق علي مشيئة فإن شاء الله أمضاه وإن شاء محاه ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ فمفاتيح الغيب الخمس علي عمومها لا يعلمها إلا الله وهذه الآية لا تخصص بل قال النبي ﷺ:" لا يعلمها ملك مقرب ونبي مرسل" فالخمس لا يعلمها إلا الله ولكن ليس كما يظن البعض أن قوله تعالي ﴿ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴾ تقتضي أن الله عز وجل قد يطلع بعض خلقه علي تفاصيل مفاتيح الغيب الخمس كما ذكرنا إذا أطلع علي تفاصيل شيء من ذلك فمعلق ليس مجزوماً به، يمكن أن يتغير إذا شاء الله فالكتاب الأول هو أن الكتاب وأما الكتب الأخرى بأيدي الملائكة وما أطلع الله عليه عباده بما شاء فإنه قابل للتغير معلق علي مشيئته لأن الله هو الذي علم أينفذ ذلك الأمر أم لا، كما كان النبي ﷺ يقولوا قبل يوم بدر هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله فليس ذلك بمعارض ﴿ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ فإن رسول الله ﷺ حين أخبر بأماكن موتهم ووق موتهم غداً علقه علي مشيئة الله فهذا فيما شأنه التفصيل أما ما من شأنه الإجمال أي يُخبر بشيء ويبقي غيره مجملاً غير معلوم يبقي جزء من الأمر في علم الغيب لا يعلمه إلا الله كما أن النبي ﷺ مثلاً أخبر بموته ثم فتح بيت المقدس وذكر من أشراط الساعة ما ذكر عليه الصلاة والسلام كثيراً جداً وكلها قد وقعت دون أن يحدد بالتفصيل متى تقع إنما يذكر إجمالاً كما ذكر ﷺ أخبار الدجال

ونزول عيسى ابن مريم لكن متى يحدث ذلك الله عز وجل أعلي وأعلم فلا يدري أحد شيئاً عن تفاصيل مفاتيح الغيب الخمس علي وجه الجزم والقطع إذا علم تفصيلاً فمعلق علي إمضاء الله لذلك معلق علي مشيئته وإذا علم شيئاً مجزوماً بوقوعه قد علمنا قطعاً ويقيناً أنه واقع بمشيئة الله وأن الله شاء وقوعه فنحن لا ندري من التفصيل ما يخرج به الأمر عن حكم الغيب لا يظل قدر منها، الأمر المجهول انفرد الله سبحانه و تعالي به وحده لا شريك له وهذا فيما يتعلق بمفاتيح الغيب التي ذكرها الله سبحانه وتعالي به في كتابه وذكر عز وجل أنه ﴿ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا ﴾العبد يتأمل في هذا المعني الذي ذكره الله عز وجل فكم تتقلب ورقة فيما بين سقوطها من الشجرة إلى أن تنزل علي الأرض، فقد أحاط الله عز وجل ذلك وما أحاط به العباد ولا رطب ولا يابس فكل شيء يبقي حي رطباً أو يبس فيموت قد كتب الله ذلك كله في الكتاب المبين هو سبحانه وتعالي علم تفاصيل كل خلق من خلقه ما من جبل إلا ويعلم ما في وعره، أي ما في بطنه لا يعلم ذلك البشر ولا يحيطون علماً بذلك ولا بحر إلا ويعلم ما في قعره في باطنه.. الإنسان إذا تأمل هذه الظلمات الكثيرة التي لا يحيط بها علم العباد وإذا علموا شيئاً من ذلك فهو بالنسبة إلي ما يجهلونه كالنقطة في البحر كما قال الخضر لموسي عليه السلام حين وقف عصفور علي السفينة فأخذ قطرة من البحر فقال:" يا موسي ما علمي وعلمك وعلم الخلائق في علم الله إلا كما أخذ هذا العصفور من هذا البحر " وإذا استحضر الإنسان سعة علم الله سبحانه وتعالي لم ينسب نفسه إلى العلم بل عرف نفسه بالجهل التام علم ربه بالعلم التام وعلم نفسه بالجهل التام وأعلم الخلق النبي ﷺ يقول :" اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري" وهو يقول" أنا أعلمكم بالله وأشدكم له خشية " فأعلم الخلق بالله ينسب نفسه مع ربه عز وجل إلى الجهل وهذا هو الواجب بالفعل وهذا هو الذي لا يستطيع الإنسان غيره وأما ما يفتخر به البعض من أنواع العلوم فإنما هو من الجهل المبين فالإنسان إذا

افتخر بعلمه وظن نفسه يعلم فكما قال ابن مسعود ﷺ " من قال أنا أعلم فهو جاهل"
نعوذ بالله من ذلك وأثر ذلك أيضاً إذا استحضر الإنسان سعة علم الله عز وجل وأنه يعلم تفاصيل ما يعمله العباد فإنه يتقي الله سبحانه وتعالي في باطنه وظاهره لأن الله عز وجل يعلم عنه كل شيء فليتقي الله وليعلم أن ما أخفاه عن الناس قد علمه الله سبحانه وأطلع عليه قال ﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ﴾ كل هذه المعاني أرشدنا إليها القرآن أن نتدبر فيها فانظر إلى هذه الكائنات المختلفة وما تحمله من أجنتها في بطونها ليس فقط الإنسان ولكن جميع الإناث من سائر الكائنات ما تحمل ولا تضع إلا بعلمه عز وجل علم كل شيء عن هذا الكائن يعلم عمله ورزقه وأجله وشقي أم سعيد ليس فقط كما يظن البعض أنه يعلم أذكر أو أنثي ويشقون حين يقولون قط علمنا بالطب الحديث نوع المخلوق في بطن الأنثى أذكر أم أنثى ذلك في الحقيقة من الجهل بما ذكر الله عز وجل في كتابه وبما أطلع الناس عليه من أنواع العلوم الحديثة فإن علم الإنسان بما في بطن أنثي إنما يكون بعد تكونه وحصوله أما علم الله عز وجل فسابق علي وجوده وإنما يأمر الملك أن يشكله ذكر أم أنثي بأمره سبحانه وتعالي وما قدح يظنه البعض من أن الإنسان نوعه محدد قبل وجوده نعني قبل وجود النوع وقبل وجود الأعضاء وأنه يمكن أن يعرف ذلك بأن تُحلل مثلاً الخلايا ويعرف إذا كان ذكر أو أنثي
فهذا بسبب قلة العلم يظن أنه يعارض ما أخبر به النبي ﷺ بل كلما تسع علم الناس علموا صدق ما أخبر به النبي ﷺ ذلك أن نعم الإنسان مهيأ لأحد.. يكون أحد النوعين منذ نطفته الأولى منذ أن التقي الحيوان المنوي بالبويضة فيكون ميهأ لأن يكون ذكر أو أنثي حسب نوع الكروموسومات كما يقولون في الحيوان المنوي أيحمل كروموسومات أم يحمل كرموسومات أنثي ولكن مع ذلك لا يستطيع أحد أن يجزم بنوع هذا الجنين في المراحل الأولى قبل تكون الأعضاء وهو علم الغيب الذي استأثر به وذلك أنه حتي رغم هذه الكرموسومات فهي قابلة للتغيير في الأسبوع السابع كما اكتشفوا مؤخراً يقرر نوع

من الهرمونات أو الإنزيمات هو الذي يتحكم في تشكيل بأمر الله سبحانه وتعالي هو الذي يترتب عليهم تشكيل الأعضاء الذكرية أو الأنثوية حتي ولو كان في تركيب جنيني أنثوي وذادت نسبته هذا الإنزيم أو هذا الهرمون فإنه يترتب عليه أن تنمو الأعضاء الذكرية ويصبح ذكراً وإن كان تركيبه الجيني أو الكروموسومي تركيب أنثوي وكذا بالعكس لو كان تركيب ذكري ولكن نص هذا الهرمون فإنه يترتب لعيه تكوين الأعضاء التناسلية تكوين أنثي فهذا الأمر أمر عجيب للغاية رغم أن الناس ظنوا أن لفترة ليست بالقصيرة أم مجرد تلقيح البويضة بحيوان منوي معني يترتب عليه تجديد نوع الجنين بمجرده ليس الأمر كذلك بل هناك عوامل أخري والعجيب أن ظهور هذا الأمر وظهور هذه العوامل الأخرى إنما يكون في الأسبوع السابع مصداقاً لما أخبر به النبي ﷺ تماماً حيث قال:" إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة يقول الملك الذي يخلقها أي ربي ذكر أم أنثي.. شقي أم سعيد.. ما أجله.. ما رزقه ما عمله فيقول الرب ما شاء ويكتب الملك" فبعد هذا الأسبوع يعني في الأسبوع السابع اثني وأربعين يوم يعني ست أسابيع بالضبط بعد هذا التاريخ يبدأ تشكل الأعضاء الأنثوية أو الذكرية مختلفة عن بعضها خلال الأيام الأولى الأسابيع الأولى تشكل الأعضاء موجودة ولكن متماثل تماماً بين الذكر والأنثى ليس هناك أدني فرق إلى أن يبدأ الأسبوع السابع فتبدأ الأعضاء في التغير هذا يتجه إلى ذكوره وهذا يتجه إلى أنوثة، الأغلب الأعم أنه علي حسب التركيب المعتاد في النطفة الأولي ولكن يمكن أن يتغير فمن الممكن أن يأخذوا عينة من جنين وهو ذكر ويكون تركيب الخلايا تركيب أنثوي لماذا..؟!! لأنه في عمر الاثنين وسبعين يوم .. أو السبع أسابيع كان هذا الهرمون نسبته زيادة عنده ويكون تركيب الخلايا أصلاً أنثوي فلما زاد عنده أصبحت خلايا ذكريه، وإن كان لا يلد لا يكون مؤهلاً للولد وإنما يكون عقيماً.

فسبحـ ـان الله كلما ازداد علم الإنسان بشيء معين كلما ازداد يقيناً بأنه يجهل وأما الكفرة والزنادقة وأنصاف.. لا أرباع.. لا أدني من ذلك أنصاف وأرباع المتعلمين هم

الذين يظنون أن العلم وصل إلى كل شيء حتى كافر منهم في يوم من الأيام قال " العلم الحديث أوشك أن يصنع ذباباً" ، هذا والله عظيم جهله فإن العلم كلما تقدم يجزم أهله بأننا لا نستطيع أن نعمل شيئاً مثل ما صنع الله سبحانه وتعالي ولا قليل منه ولا أدني شيء من ذلك بل لابد أن نبني علي ما خلقه الله سبحانه وتعالي الذي يستطيعه البشر أن يحالوا أن يوفروا الظروف المهيأة لكي تستمر عملية الخلق كما أرادا الله عز وجل، هذا يجب أن تكون دافعاً ازداد علم الإنسان كلما ازداد يقينه بأن هناك إتقان تام وعلم تام وهذا لا يمكن أن يصدر عن صدفة كما يزعمون والعياذ بالله من جهلهم ولكنه الطمس علي البصيرة لولا ذلك لكانت هذه العلوم عن ما في بطن كل أنثي وما تحمل وما تضع لكان ذلك سبباً لإيمان من يؤمن ولكن ختم الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم نعوذ بالله من ذلك فالإنسان لما يتأمل في قوله تعالى ﴿ وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦ ﴾ لا ينصرف إلى هذه الجزئية صغيرة مع أنه لو انصرف إليها الذي هو سبب الذكورة والأنوثة لتأكد أن ذلك لأمر أيضاً أحاط عز وجل به علماً والبشر لا يعلمونه إلا بعد أن يكونه الله بعد أن يقع كسائر علموا.. يعلمون شيء منها يسيراً ولا يعلمون عنا كل التفاصيل.

﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ ﴾ أما النقص من عمره فهذا من جنس ما لم يكن لو كان كيف يكون نعني أنه نقص لو لم يكن ذلك بشيء، فالله عز وجل يقدر الأمور بأسبابها وهو أعلم بما يكون عليه الأمر لو لم تقع هذه الأسباب فهذا قد زاد الله في عمره وعمره سبحانه لأنه وصل رحمه فهو في علم الله الأول عمره كذا من السنين الطوال لأجل أن الله قدر له عمراً هو له أصلاً بلا سبب وآخر بسبب أنه واصل للرحم بار بوالديه كما قال النبي ﷺ :" من أحب أن ينسأ له في أثره – أي يؤخر في أجله – ويبارك له في رزقه فليصل رحمه " فهذا التعمير

والتأخير نسبي لو لم يكن واصلاً للرحم لكان عمره دون ذلك ولو أطاع الله قوم نوح لأخرهم إلى أجل مسمي ولكنهم عصوا فقسم الله أعمارهم فنقصت عما يمكن أن تكون لو أنهم أطاعوا الله، ولو لم يعطي أدم عليه السلام ابنه داود أربعين سنة من عمره لكان عمره ستون ولكن وهبه أبوه آدم أربعين سنة من عمره كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح فالأمور بأسباب وبعضها بغير سبب.. هبه من الله عز وجل لذلك نقول أن النقص هنا علي حقيقته ولكنه نسبي والبعض يقول أن الزيادة والنقصان بالبركة وقلة البركة المعنى صحيح نعم ولكن اللفظ يحتمل أوسع منه وهو ما ذكرنا من معناه الحقيقي من الزيادة والنقصان من التعمير والنقصان حقيقة نسبة إلى ما كان يمكن أن يقع لو غير الله هذه الأسباب، كما نقول مثلاً ماذا لم لم يقتل القاتل المقتول؟!! الله أعلم سبحانه وتعالي هو علم ما لم يكن لو كان كيف يكون إلا أن من كتب الله عليه القتل فلابد أن يخرج إلى مضجعه لُقتل ﴿قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡ﴾ فإذا كان الله قد كتب القتل علي إنسان فنجا من مقاتلين يريدون قتله لكنه مكتوب عليه القتل لأدركه في النهاية واحد يقتله فلابد أن يناله ما قدره الله وما كتبه سبحانه وتعالي أمام إذا لم يقع ذلك كله فلا ندري لأننا لا نعلم ماذا كتب الله لنا. علم الله ما لم يكن لو كان كيف يكون فإذا سؤلنا هذا السؤال الذي يخطر بالبال بال البعض ماذا لو أن القتيل لم يقتله القاتل يقول لك كان مات وحده.. لا نعرف من المكن أن يكون مات وحده أو يتأخر لأن الله هو الذي يعلم أجله إذا لم يكن القاتل قتله فكل هذه الأمور مقدرة بأسبابها فالله عز وجل هو الذي أحاط علمه بذلك سبحانه وتعالي وقد كتب سبحانه وتعالي ذلك في اللوح المحفوظ كتب المقادير وكتب أسبابها إن ذلك علي الله يسير.

القابض – الباسط

القابض الباسط فيقبض عن من يشاء رزقه فيقدره عيه ويبسطه علي من يشاء فيوسع عليه وكذا له القبض والبسط في أعمال عباده وقلوبهم وردا اسم القابض الباسط في القرآن بالفعل قال عز وجل ﴿ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ ﴾وورد في سنة الرسول ﷺ بالاسم :" إن الله هو القابض الباسط المسعر".

فالله سبحانه وتعالي يقبض الرزق عمن يشاء فيقدره أي يضيقه سبحانه وتعالي عليه كما قال عز وجل﴿ فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ﴾كلا: تهني ليس هذا مقياس الإكرام والإهانة، والله عز وجل يقبض فيضيق الرزق علي من يشاء من عباده بحكمته وعلمه وهو يضع الأشياء في مواضعها سبحانه وتعالي ويبسط الرزق لمن يشاء من عباده كذلك وهو سبحانه وتعالي جعل القبض والبسط في هذه الدنيا والتفضيل بين العباد دليلاً علي إثبات قدرته وإرادته عز وجل ودليلاً علي ما يكون من تفاضل بين الناس في الآخرة كذلك قال الله عز وجل ﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا ﴾ قال عز وجل ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزۡقِهِمۡ عَلَىٰ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَهُمۡ فِيهِ سَوَآءٌۚ ﴾الله سبحانه وتعالي جعل القبض والبسط فيما يقع للناس في أمر أرزاقهم دليلاً علي قدرته سبحانه وتعالي، لما قيل للنبي ﷺ لما غلا السعر في المدينة سعر لنا فقال:" إن الله هو القابض الباسط المسعر" فأبي ﷺ أن يسعر لهم حتى لا يكون هناك ظلم علي أحد من الناس إذا سعر عليهم وألزمهم بما لا يرضونه في البيع أو الشراء.

وكذلك له القبض والبسط في أعمال عباده بالقلوب تنبسط ويوسع الله عز وجل لها ويشرحها سبحانه وتعالي وهذا هو الذي يحرص عليه أهل الإيمان وهذا الذي يسألونه ربهم عز وجل كما قال موسى عليه السلام

﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ۝٢٥ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴾ وقال الله عز وجل ممتناً علي النبي ﷺ ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ فهذا البسط في قلوب عباده يفتح سبحانه وتعالي لهذه القلوب ويوسعها ويبسط لها في العطاء حتى تتسع للمهام العظيمة والأعمال الكبيرة وتتسع لمعاني الإيمان كما قال عز وجل ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ والله سبحانه وتعالي امتن علي عباده المؤمنين بشرح صدورهم قال عز وجل ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ أي أيستوي هو من لم يكن كذلك ومن كان قد ضيق الله عز وجل عليه صدره فالله سبحانه وتعالي له القبض والبسط في قلوب عباده كذلك، فيبسط ويوسع ويشرح صدر من شاء حتى يحتمل أذى المؤذيين ويتحمل الأعباء الثقيلة ولذلك لما كلف الله عز وجل موسى عليه السلام بهذا الأمر العظيم الذي يتوقَع منه أنواع الأذى ويتوقَع منه أنواع الاضطهاد وأنواع الضرر وهو أن يخاطب فرعون ويدعوه إلى الإيمان كان أول ما طلب قال ﴿ قَالَ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾

قلبه إذا انشرح واتسع كان قادراً علي تحمل آذى المؤذين ذلك أنه لا يمتلئ بما قد يجده من أذي الناس هذا القلب الذي قد امتلأ ضيق لا يتسع لتحمل أذي الناس، وكذلك أي همة عظيمة يضيق صدر الإنسان بها بمعني لا يتحمل فإذا انشرح الصدر

تحمل المهمة العظيمة، ولذا كما ذكرنا قال الله لنبيه عليه والصلاة والسلام ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ فشرح الصدر كان به تحمل المهام العظيمة وتحمل أذى الناس وهذا يحتاجه المؤمن دائماً وإن كان من يدعو إلي الله عز وجل ويجاهد في سبيله ويعمل لإعلاء الدين يحتاج إليه أضعاف ما يحتاج إليه من لا يقوم بهذه المهام العظيمة.

وكما ذكرنا المؤمن لا يسأل الله عز وجل البسط في الرزق فإنه لا يدري أيكون ذلك الخير فيه أم لا فإنه إذا سأل الله سبحانه وتعالي أن يوسع عليه رزقه ربما كان ذلك شغلاً له وربما كان ذلك فتنةً له، ولذلك لما قالت أم حبيبة ﵂:" اللهم متعني بزوجي رسول الله وبأبي أب سفيان وبأخي معاوية " قال لها النبي ﷺ لقد سألت الله لآجال مضروبة وأرزاق مقسومة لن تُقدم منها شيء قبل أجله ولو سألت الله أن يعيذك من عذاب جهنم ومن عذاب القبر لكان خيراً لك ".

فهذا يدلنا علي أن سؤال الله البسط في الرزق ليس بمستحب قد يكون مباحاً وقد يكون كما ذكرنا تعدياً وتجاوزاً إنما يخاف الافتقار إلى الخلق وهذا قد يحصل لمن معه المال أو السلطان أو العز إنما يسأل الله الغني الحقيقي ، كما قال النبي ﷺ :" اللم إني أسألك الهدى والتقي والعفاف والغني ". وهذا الغني المسؤول ليس كثرة العرض إنما قال النبي ﷺ:" ليس الغني عن كثرة العرض ولكن الغني غني النفس".

يسأل الله أن يغنينه عن الخلق حتى ولو لم يكن عنده من المال ما يتطلع إليه ما يسمى صاحبه غينا بل سؤال النبي ﷺ في أمر الرزق الدنيوي والقوت قال عليه والصلاة والسلام:" اللهم اجعل رزق آل مُحَّد قوتا". وهذا الذي يكفي دون حاجة إلى الآخرين، لا يسأل النبي ﷺ من ذلك، ذلك لأنه مهتم بما هو أعظم في البسط والقبض وهو شرح الصدر والبسط في الأعمال الصالحة أن يبسط الله عز وجل لعبده في العمل الصالح.. هذا بسط الأعمال أن يبسط الله عز وجل لعبد في العلم.. يبسط سبحانه وتعالي لعبد في

العبادة ويبسط له في الجهاد.. يبسط له في الدعوة إلى الله.. أن يبسط له في أنواع من العلوم والأعمال.

له القبض والبسط يقبض بعض قلوب عباده عن أعمال لا تتحملها هذه القلوب والأبدان ولا توجد الهمة لأدائها، فالمؤمن يطلب السعة في أعمال القلوب وأحوالا ويسأل الله سعة الصدر وانشراحه ليمتلئ بنور الإيمان ويقوم بالمهمات العظيمة التي يحبها الله عز وجل ويخاف من أن يضيق الله عز وجل عليه صدره عن الطاعات أو يضيق همته عن إرادة ما يريده الله ويحبه عز وجل من الأمور المشروعة، ولذلك كما ذكرنا القابض الباسط يشمل الأرزاق الدنيوية والأرزاق الأخروية يبسط الله الرزق لمن يشاء ويقبض.

والعبد المؤمن انشغاله وسؤاله ربه سبحانه وتعالي بمقتضي هذا الاسم، أن يوسع له في طاعته وأن يبسط له في رزقه الديني الأخروي ولا يعبأ كثيراً بما يرزق من أمور الدنيا فإنها إذا نال فيها القوت كفاه ذلك وكان خيراً له وكان من دعاء النبي ﷺ :" اللهم إني أسألك الهدي والتقي والعفاف والغني ".

كان رسول الله من سؤاله ﷺ:" اللهم إني أعوذ بك من شر فتنة الغني ومن شر فتنة الفقر".

وكلاهما يكون فتنة للعباد ﴿ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴾[الأنبياء: ٣٥]،

وفتنة الفقر: الضجر وعدم الصبر والتطلع إلى ما في أيدي الناس، وفتنة الغني : الكبر والعجل والبخل وغير ذلك من أنواع الفتن.. نعوذ بالله من شر فتنة الغني ومن شر فتنة الفقر.

قال: وكذلك له القبض البسط في أعمال قلوبهم كل ذلك إليه إذ هو المتفرد بالإحياء والإماتة والهداية الإضلال والإجاد والإعدام وأنواع التصرف والتدبير.

وهذا من مقتضي مسألة القبض والبسط في القلوب لأنه إذا قبض الله صدر عبده عن الدين، جعل صدره ضيقاً حرجاً لم يدخل فيه الإيمان فهذا قد أضله الله وهو سبحانه وتعالي يهدي من يشاء فيشرح صدره للإسلام.. يجعله علي نور من ربه، وكذا الإحياء والإماتة فإن الله يحي القلوب بالإيمان ويميتها بالكفر والعياذ بالله.

الخافض الرافع – الضار النافع – المعطي المانع

قال: الخافض الرافع.. الضار النافع .. المعطي المانع، فلا رافع لمن خفضه ولا خافض لمن رفعه ولا نافع لمن ضر ولا ضار لمن نفعه ولا مانع لما أعطي وملا معطي لمن هو مانع فلو اجتمع أهل السماوات والأرض السبع والأرضيين السبع وما فيهن وما بينهما علي خفض من هو رافعه أو ضر لمن هو نافعه أو إعطاء من هو مانعه لم يكن ذلك في استطاعتهم بواقع ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[الأنعام: ١٧].

هذه الأسماء الحسنى التي وردت مقترنة بعضها ببعض وبين أهل العلم أنها لا يجوز أن يذكر بعض منه وهو الخافض والضار والمانع إلا بقرائنها، أما مقابلتها فهي تدل علي معنى الكمال أما الضار والخافض والمميت والمانع فإنها إذا جردت عن السياق الدال علي معني الكمال فيها أوهمت نقصاً..

أوهمت بخلاً والعياذ بالله.. أوهمت عجزاً أو رغبة أو إرادة في إضرار الغير ونحو هذا وأما إذا اقترنت بمقابلتها فقيل الخافض الرافع.. المعطي المانع.. الضار النافع، فإنها تدل علي كما القدرة والتصرف وتدل علي كمال المُلك والملك فالله سبحانه وتعالي هو المتفرد بأنواع الضر والنفع والخفض والرفع والعطاء والمنع، ورد من ذلك قول النبي ﷺ في ثناءه علي ربه بعد الرفع من الركوع :" اللهم ربنا لك الحمد ملئ السماوات وملئ الأرض وملئ ما بينهما وملئ ما شئت من شيء بعد أهل الثناء والمجد أحق من ما قال

العبد وكلنا لك عبد اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد "، وورد أيضاً مثل هذا فيما النبي يقوله ﷺ عقب الصلوات فكان يقول ﷺ :" لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.. اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد" فهذا من الثناء علي الله سبحانه وتعالي بتفرده بالخفض والرفع والعطاء والمنع فإنه سبحانه لا مانع لما أعطي ولا معطي لما منع ولا ينفع صاحب الغني غناه عند الله عز وجل ما لم يكن في طاعة الله سبحانه، الله عز وجل يخفض ويرفع في أمور الدنيا فيجعل بعض العباد فوق ﴿ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴾ [الزخرف: ٣٢]..

سخريا: آي سخرهم لما يريد، فالمؤمن لا يبحث عن الخفض والرفع في العطاء الدنيوي وإنما يهتم بالعطاء والرفع عند الله عز وجل برحمته سبحانه وتعالي وتعالي، أكثر الناس يبحثون عن رفعه الدنيا.. عن رفعة الدرجات ويخاف الإنسان من أن يكون في الدنيا عند الناس ليس عنده منزلة أو نحو هذا أو ليس له من المال والسلطان ما ينظر الناس فيه أو ما يجعلونه في قلوبهم بالمنزلة المرموقة ونحو هذا، وقد بين النبي ﷺ أن فقراء المهاجرين أول من يمروا علي الصراط وأول من يدخلوا الجنة وذلك رغم أنهم لا يفتح لهم الأبواب ولا تُقبل شفاعة كثير منهم وكما قال النبي ﷺ :" رب أشعث أغبر ذو طمرين مدفوع بالأبواب لا يؤبه له لو أقسم علي الله لأبره" أو كما قال ﷺ، ذلك يدلنا علي ما ينبغي أن يكون العبد مهتماً به في شأن الخفض والرفع، فالله عز وجل يرفع بهذا الكتاب بالقرآن أقواماً ويضع به آخرين كما قال عمر عن النبي ﷺ ، وذلك الذي يبحث عنه العبد المؤمن أن يكون مرفوع الدرجات عند الله سبحانه وتعالي بطاعته لله سبحانه وإن

كان في الدنيا ليس بهذه المسألة لذلك نقول أن الرفع الدنيوي فيما يريده الناس ليس هو الرفع النافع إذا لم يكن مقترناً بطاعة الله والبحث عن مرضاته، والخفض الدنيوي عندما يكون الإنسان مدفوعاً بالأبواب وتُغلق في وجهه السداد ولا يؤذن له وإن شفع لم يشفع كما قال النبي ﷺ :" طوبي لعبد أخذ بعنان فرسه في سبيل الله إن كان في الحراسة كان في الحراسة وإن كان في الساقة كان في الساقة إن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لن يشفع".

فالرسول عليه الصلاة والسلام ذكر أنه رجل خامل الذكر في الناس لو أمروه أحياناً يكون في الحراسة قام بهذه الوظيفة وإن أمروه أن يكون في مؤخرة الجيش في الساقة قام بهذه الوظيفة ومن علامات أنه خامل الذكر عندهم، ليست له المنزلة إن استأذن لم يؤذن له.. فلان الفلاني ليس معروفاً أخروه لا تأذنوا له بخلاف من هو مشهور ومعروف فإنه إن استأذن أُذن له وإن شفع شُفع ولكن النبي ﷺ يبين إنسان ليست له الدرجات الرفيعة في الدنيا وله عند الله سبحانه وتعالي في الآخرة طوبي حسنى له.. الجنة أو شجرة فيها وهو يدل على دخولها لهذا العبد إن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لن يشفع فهنالك من لو أقسم علي الله لأبره بهذه الصفة، إذن لماذا يعبأ الإنسان كثيراً بالخفض والرفع في أمر الدنيا ويسأل الرفعة الدنيوية ولا يعبأ بدرجات الآخرة ولذلك قال سبحانه وتعالي مرغباً عباده المؤمنين في الدرجات الآخرة ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَـٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٢١] والعبد المؤمن منافسته ليست علي أسماع الناس وأبصارهم أو علي ملك الدنيا وسلطانها أو الرياسة والشهرة فيها وإنما منافسته في علو الدرجات عند الله سبحانه وتعالي.

لذلك الله هو الخافض الرافع يخفض من يشاء بعدله وحكمته وهو سبحانه وتعالي جعل الكافرين والمنافقين في أسفل دركات وهو سبحانه وتعالي رفع المؤمنين.. جعلهم في أعلي عليين بما وفقهم سبحانه وتعالي بأسباب الارتفاع الحقيقي والبعد عن الخفض عن

الانخفاض الحقيقي فليست أمور الدنيا بالميزان الصحيح وكذا في العطاء والمنع في الدنيا وتعالي متفرد بأنواع الخفض والرفع في الدنيا والآخرة والعطاء والمنع في الدنيا والآخرة، والعبد المؤمن طلبه من الله سبحانه وتعالي المعطي أن يعطيه طاعته وأن يوفقه لذلك فهو سبحانه وتعالي يعطي الدنيا لمن أحب ولمن كره ولكنه لا يعطي الدين إلا لمن أحب فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه ومن منعه الله سبحانه وتعالي الإيمان فقد سخط عليه وإن إن أعطاه من الدنيا ما تتطلع إليه الأنظار وربما كان عطاؤه الدنيا ذلك سبب لشقائه بل هو كذلك كما قال الله عز وجل في المنافقين ﴿ فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴾[ا لتوبة: ٥٥] نعوذ بالله من ذلك فالله قد يعطي الدنيا لمن يريد عذابه لأن العطاء الدنيوي من غير طاعة الله ومن غير الإيمان به كان نقمة وشقاء علي العبد وإن كان في صورة نعمة وإن كان في صورة سعة وتفضيل يتكبر به ويظن نفسه في المنازل العالية وهو مخفوض ممنوع محروم قد أعطى الله عز وجل الخير لمن ظنه في الدنيا محروما ولذلك لا يشعر المؤمن الصادق الإيمان بالحرمان وأنه ممنوع أو محروم طالما أنه أُعطي ورزق من طاعة الله عز وجل ومرضاته ما يقربه إلى الله سبحانه وتعالي والضر والنفع هو سبحانه وتعالي متفرد بذلك كما أخبر ﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [الأنعام: ١٧].

﴿ وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٦ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦ ﴾[يونس: ١٠٦ – ١٠٧].

جعل سبحانه وتعالي الإيمان بذلك أصلاً عظيما بوجوب دعاءه وحده وعدم دعاء من سواه من الأوثان والأنداد والغائبين والأموات أياً ما كان حالهم، لذلك هذا الأصل العظيم الإيمان بأن الله وحده هو الضار النافع المعطي النافع هو الذي يجعل العبد لا يسأل غير الله ولا يستغيث بغيره ولا يتضرع إلى غيره ولا يدعو غيره لأنه وحده الضار النافع فلماذا يدعو الأوثان ويدعو الآلهة ويدعو الأموات ويدعو الأولياء أو يدعو الملائكة أو الجن؟!! لا يملكون له ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً.. كما قال الله عز وجل ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـًٔا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرًّا وَلَا نَفۡعًا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴾[الفرقان: ٣].

فبين سبحانه وتعالي بطلان اتخاذ آلهة تُدعى من دونه الله وهي لا تملك لنفسها ضراً أو نفعاً وهذا من أعظم الحجج علي من يعبد القبور وعلي من يدعو الأموات وغير ذلك فلابد أن يبين لهم بطلان ملكهم للنفع والضر إذا اعتقد أنها تنفع وتضر بذاتها من دون الله أو مع الله فقد كفر والعياذ بالله بربوبية الله وأنكر صريح القرآن وذلك في فطر كل العباد وكل البشر أن الله وحده هو النافع الضار فخالف من اعتقد في هذه الأوثان وهؤلاء الأموات والمقبورين سواء كانوا أولياء أو لم يكونوا أو أنبياء أو ملائكة أو لم يكونوا فإنه كما ذكرنا في فطرة العباد أن أحداً لا يملك النفع والضر والموت والحياة والنشور دون الله سبحانه وتعالي فإذا كان لا يملكه لنفسه فأن يملكه لغيره.

قال النبي ﷺ :" لأهله وقرابته حتى قال لفاطمة بنته ﷺ :" يا فاطمة بنت مُحَمَّد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئا" لا أملك لك من الله شيئاً وفإذا كان هو ﷺ لا يملك لابنته في حياته ضراً ولا نفعاً فأن يملكه لغيرها وأن يملكه بعد وفاته وأن

يملكه من دونه لغيره فهذا أبعد وأبعد فمن أيقن بذلك علم وجوب إفراد الرب سبحانه وتعالي بالدعاء.

وأن من دعا غيره عز وجل واعتقد فيه الضر والنفع أو العطاء والمنع فإنه قد أشرك بالله سبحانه وتعالي ولو دعاه وهو يعتقد أنه لا ينفع ولا يضر من دون الله فقد أشرك أيضاً في الإلهية والعياذ بالله وخالف العقل و الفطرة فإن فطرة الإنسان ألا يدعو إلا من يملك له الضر والنفع ولو اجتمع أهل السماوات السبع والأرضيين السبع وما فيهن علي خفض من هو رافعه أو ضر من هو نافعه أو إعطاء من هو مانعه لم يكن ذلك في استطاعتهم بواقع كما قال النبي ﷺ لابن عبا:" وأعلم أن الأمة لو اجتمعت علي أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعت علي أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف".

أثر الإيمان بهذه الأسماء

ولذا فمن آثار الإيمان بهذه الأسماء الحسنى أن لا يعبأ المؤمن بالخلق لا يخافهم ولا يرجوهم ولا يتوكل عليهم ولا يدعوهم لا يهتم به ويعلم أن النفع والضر هو من عنده عز وجل فلا يرجو غير الله ولا يخاف سواه سبحانه وتعالي.

المعز- المذل

الذي أعز أولياؤه المؤمنين في الدنيا والآخرة وأيدهم بنصره المبين وبراهينه القويمة المتظاهرة وأذل أعداءه في الدارين وضرب عليهم الذلة والصغار وجعل عليهم الدائرة فما لمن ولاه وأعز من مذل وما لمن عداه وأذله من ولي ولا نصير.

قال تعالي: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[آل عمران: ٢٦].

فالله سبحانه وتعالي بيده وحده الإعزاز والإذلال وهذا الأمر يتم بالخير والحكمة، بيده الخير سبحانه وتعالي.. إ ذا أعز عبداً بطاعته سبحانه وتعالي فقد وضع الخير في موضعه وإذا أذل عبداً بفجوره وكفره ومعصيته فهو سبحانه لم يظلمه وجعل هذا الذل والصغار فيمن يناسبه.

كما تفرد بإيلاج الليل في النهار وإيلاج النهار في الليل وإخراج الحي من الميت وإخراج الميت من الحي فهو تفرد بإعزاز من شاء وإذلال من شاء، والأولى دليل الثانية فهو سبحانه وتعالي أرشد عباده إلى أن يوقنوا أنه وحده مالك الملك وأنه وحده المعز والمذل إذا تأملوا في الكون وعلموا أن إيلاج الليل في النهار وإيلاج النهار في الليل فيطول هذا ويقصر هذا وبالعكس وكذا الإحياء والإماتة لا قدرة للعباد علي شيء منها وإنما الله وحده القدير على ذلك فليستدلوا بهذا علي أنه وحده المتفرد بالإعزاز والإذلال.

فهو سبحانه وصف الله فيمن أعزهم ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون: ٨].

فهو سبحانه يعز أولياءه بطاعته ويذل أعدائه بمعصيته قال تعالي بعد أن ذكر سجود الكائنات وذكر سجود بعض الناس ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ

ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾

[الحج: ١٨].

فالذين أهانهم الله وأذلهم هم الذين لم يسجدوا له سبحانه وتعالي وذلك أن الذل لله كمال العز ومن لم يذل لله سبحانه وتعالي ذلك لغيره من الشياطين والأهواء والشهوات أو ذل للمال أو ذل للقطيفة والخميصة أو ذل للرياسة ومن يعينه علي تحصيلها وهو يظن أنه عزيز.. وهو يظن أنه قد أعزه الله بذلك.. لا، إنما العز في طاعة الله.

قال تعالي ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ ﴾[فاطر: ١٠].

فالله العزة، ملك له سبحانه فإنما يعز الإنسان بالكلم الطيب والعمل الصالح، أما مكر السوء الذي يريد الكفرة به أن يعزوا وأن يذلوا المؤمنين، قال تعالي﴿ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾[فاطر: ١٠].

لذلك الله عز وجل جعل العز في الدنيا والآخرة لأوليائه المؤمنين.. نعم أكرمهم سبحانه فلم يذلهم لغيره ولم يهنهم ولم يخضعهم لسواه حتى وإن كانوا بلا سلطان أو بلا تمكين مستضعفين ولكنهم أقوياء بإيمانهم بالله عز وجل.

والذل الحقيقي في التبعية في أن تكون القلوب خاضعة لعدوها.. ذليلة مأسورة لهذا العدو اللدود وهذا أقبح ما يكون عليه والإنسان أن يتخذ عدوه وليتبعه ويرضي بفعله ويلتزم أوامره ولو كانت في هلاكه نعوذ بالله لذلك أهل الإيمان كانوا أعزة ولو كانوا مستضعفين .

كان بلال عزيزاً حين ضربه المشركين ويعذبونه ويقول أحد.. أحد، غلبهم والله وإن كانوا يضحكون منه ساعة تعذيبه فأعزه الله عز وجل وجعل ما أصابه في سبيل الله سبباً لعزته في الدنيا والآخرة فهذا الذي نراه إلى يومنا هذا و نسمعه من الثناء علي بلال بما تحمل في سبيل الله ماذا بقي لأمية بن خلف إلا الذل والهوان الشتم والإبعاد والبغض في قلوب عباد الله إلى يوم القيامة فضلاً عما ينتظره في الآخرة بل قل فضلاً عما يحصل له الآن في برزخه والعياذ بالله: و أما بلال فيكفيه شرفاً أن رسول الله ﷺ سمع خشخشة نعليه أمامه في الجنة رضي الله عنه، فانظر إلى هذا المقام الذي يفر كثير من الناس منه مع أنه مقام عز .

كان خبيب رضي الله عنه أعز شيء وهو علي الصليب الذي صلبه عليه المشركون حين يقول له أبو سفيان:" أيسرك أن تكون في أهلك ومُحَمَّد ﷺ مكانك؟ فقال:" ما يسرني أن في أهلي ومُحَمَّد ﷺ تصيبه شوكة فما فوقها".

أو كما قال رضي الله عنه، انظر إلى عزته وقد حاول المشركون قهره وإذلاله فيقول :

ولست أبالي حين أقتل مسلماً علي أي جنبٍ كان في الله مصرعي

وذلك في ذات الإلهة وإن يشاء يبارك علي أوصال شلو ممزع

ويقول: اللهم أحصهم عدد اً وأقتلهم بدداً ولا تبقي منهم أحداً"

هذا أمر عظيم هم قد ذلوا وخابوا وخسروا يوضح لنا مثل هذا الأمر مقام الإعزاز والإذلال، أعز الله من ثبت على طاعته وأذل من أهانه بأن جعله أسيراً لهواه عبداً لشيطانه.. عبداً لشهواته.

لذلك كثير من الناس يفر من ذل الدنيا الوهم ويبحث عن عزها أيضاً المؤمن الصادق

كما يقول الحسن:" لا ينافس في عزها ولا يجزع في ذلها لأنه علم أن عزها ليس بعز وذلها ليس بذل وإنما الذليل من عصى الله، ولذا قال الحسن رحمه الله أيضاً:" هم والله لإن طقطقت بهم البغال وهملجت بهم البراذين إن ذل المعصية لفي رقابهم أبي الله إلا أن يذل من عصاه".

وشرعاً سبحانه وتعالي جعل الذل والصغار على من خالف أمره وأمر رسوله

قال تعالي﴿ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَـٰغِرُونَ ﴾ [التوبة: ٢٩].

قال النبي ﷺ :" بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذل والصغار علي من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم:.

فشرعاً وقدراً.. شرعاً : أوجب الله أن يعز المؤمنين وأن يكرموا وأن تحترم حقوقهم ودمائهم وأموالهم وأعراضهم عظم الله عز وجل حرمتهم ومن أهانهم في شيء من ذلك أهانه الله وإن ظن أنه يتعزز عليهم، أو يهينهم أو أنه يحقرهم الله عز وجل يحقره والله عز وجل يصغره والله عز وجل يذله بأنواع الهوان ويكفيه ذلاً بأنه كان منفذاً لأوامر أعداء الله.. لأوامر الشيطان والكفرة والمنافقين وأمثالهم ممن يريد إذلال المؤمنين وليس ذلك بواقع، والحقيقة أن الذل الحقيقي في هذا المقام هو أن يستجيب العبد لداعي معصية الله فهذا هو الذل الحقيقي.

يوسف عليه السلام كان عزيزاً وهو السجن ولم يذلك لرغبات امرأة العزيز وامرأة العزيز هي الذليلة لما أرادت إذلال يوسف أذلها الله وإن تعززت مدة في الحقيقة كان يوف أعز ما كان فنصره الله وأذلها، وأنظر إلى تكبرها وهي تقول ﴿ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾[يوسف: ٣٢]، وعزة في الحقيقة لمن يري بقوله ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [يوسف: ٣٣].

فانظر كيف بالفعل صار عزيزاً ولو أنه استجاب لها لصار عبداً ذليلاً لديها، لكن أعزه الله سبحانه وتعالي وصر ف عنه السوء والفحشاء ودخل السجن عزيزاً كريماً وانظر إلى عزه وهو يطلب للخروج فيقال له الملك يدعوك للخروج فيقول للرسول ﴿ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴾[يوسف: ٥٠].

يتعزز في الخروج من السجن لأن السجن أمر ليس بالضيق الذي يشغله قد تعود عليه وصار يأنس بالله سبحانه وتعالي فلا يصيبه ضرر كبير فيه فلا فرق بين أن يخرج للقاء الملك وبين أن يبقي فأعزه الله عزاً أكمل مما كان يريده لنفسه فإنه أول ما دخل في أمره كن يريد أن يذكر عند الملك فإذا بالملك يطلبه فلا يخرج هو ويتعزز في الخروج فيخرج أعز بالفعل، المرة الثانية يأتي الرسول وفرق بين قوله ائتوني به وأن يقول ﴿ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ﴾[يوسف: ٥٤] فلا شك في الفرق بين الطلبين ولا شك في الفرق بين أن يتكلم فيقال في شأنه أفرجوا عنه وبين أن يقول له ﴿ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾[يوسف: ٥٤].

عز والله عز عظيم بطاعة الله لذلك الإنسان إنما يذل إذا خضع لعدوه وإذا صار عبداً لشهواته ورغباته فالمأسور من أسره هواه والمحبوس من حبس قلبه عن الله عز وجل فهذا هو الذل، والله سبحانه وتعالي جعل الذل شرعاً علي الكفرة والمنافقين فمن أراد أن يضع الأشياء في غير موضعها فإن الله هو الذي يذله ويهينه.

فالله سبحانه وتعالي يعز ع باده المؤمنين شرعاً وقدراً ويذل الكفرة شرعاً وقدراً فهو متفرد بالإعزاز والإذلال والإماته والإحياء، أعز أولياءه المؤمنين في الدنيا والآخرة، أما من عز الآخرة فعز لا تدركه العقول ولا يتصوره الناس في هذه الدنيا كيف وأدني أهل الجنة ملك من الملوك فكيف بأعلاهم منزلة..؟!!

أعزهم الله في الدنيا والآخرة وأيدهم بنصره المبين وهذا الإعزاز هو الإعزاز في الحجة والنصرة في البيان والقوة في البرهان ولذلك كان موسى‏عليه السلام قاهر لفرعون بحجته ومعجزاته الباهرة البينة وكان فرعون مغلوباً مهزوماً ذليلاً وهو يقول ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾[الشعراء: ٢٩].

ليس عنده شيء يفعله غير ذلك لذلك العزة والنصرة والظهور يكون بالحجة والبيان كما يتلوه بعد حين بالقوة والسنام والتمكين والعز الظاهر في الدنيا كما يراه الناس، ولذلك كما يقول عتبة بن غزوان رضي الله عنه لما خطب الناس" إن الدنيا قد آذنت بصرم وولت حزاء..إلى أن قال ولقد رأيتني سابع سبعة في الإسلام وما لأحدنا طعام إلا ورق الشجرة ولقد التقطت بردة فاتزرت بنصفها وأتزر سعد بن مالك بنصفها فما أصبح أحد منا اليوم إلا أمير علي مصر من هذه الأمصار وإني أعوذ بالله أن أكون في نفس عظيماً وعند الله حقيراً أو عند الناس عظيماً وعند الله حقيراً.

فانظر إلى فهمهم لقضية الإعزاز والإذلال وأنه يخشى أن يكون عند الله حقيراً ولو كان هو الأمير.. يتذكر تلك اللحظات وكانوا فيها أعزة وإن لم يكن لهم طعام إلا ورق

الشجر وإن لم يكن لهم ثياب يلبسونها إلا بردة لا تكفي في الأصل إلا لواحد فيجعلونها نصفين لأنهم ليس عندهم من الثياب ما يسترون به نصفهم الأسفل.. يتزر يعني يلبسها بنصفه الأسفل، فسبحان الله كل و احد منهم يصبح أميراً علي مصر من الأمصار سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان ﵁، فهكذا كان إعزاز الله لهم بعد أن أعزهم بالحجة والبيان، أعزهم سبحانه وتعالي بالنصرة والتأييد والتمكين.

وأذل أعداءه في الدارين وضرب عليهم الذلة والصغار شرعاً وقدراً وضرب عليهم الذلة والصغار في أنهم مغلوبون في حجهم وأنهم مقهورون فيها لا يعرفون أن يقفوا بحجة في وجه أهل الإيمان وبعد ذلك جعل عليهم الدائرة سبحانه وتعالي فأذلهم غاية الذل في د نياهم فضلاً عما ينتظرهم في أخراهم فما لمن ولاه وأعزه من مذل ولا لمن عداه وأذله من ولي ولا نصير سبحانه وتعالي .

السميع – البصير

لا كسمع وبصر أحد من الورى، القائل لموسى وهارون ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾[طه: ٤٦]، فمن نفي عن الله ما وصف به نفسه أو شبه صفاته بصفات خلق فقد افترى علي الله كذباً وقد خاب من افتري،﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ ﴾[الأنعام: ١٠٣].

هذان الاسمان وردا كثيراً في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وورد في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قرأ

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴾ [النساء: ٥٨]، ووضع إبهامه وسبابته علي أذنه وعينه عليه الصلاة والسـلام إثباتاً لحقيقة المعنى وأن الله متصف حقيقة بمعني السمع والبصر علي ما نفهمه من معني السمع والبصر وليس مجرد العلم فإنه قد يعلم المخلوق

بلا سمع ولا بصر والله عز وجل سميع بصير عليم وقد وصف نفسه فقال﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾[الشورى: ١١].

وهذا هو الأصل العظيم الذي استنبط منه أهل السنة طريقتهم في إثبات صفات الرب عز وجل بلا تشبيه ولا تكيف وتنزيه الرب عز وجل بلا تعطيل ولا تحريف فهم يثبتون ما أثبته الله لنفسه من صفات الكمال من غير أن يعتقدوا في ذلك كيفية معينه ولا يمثلوا الله عز وجل بخلقه، وتعلموا كذلك من خلال هذا الآيات الكريمة أنهم إذا نفوا من الله عز وجل ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾[الشورى: ١١].

فإنهم لا ينفون في ذلك صفة الرب ولا يحرفون الكلم عن مواضعه كما يفعل أهل البدع، فكما أن إثبات الرب إثبات وجود لا إثبات تكييف فكذلك إثبات صفات الرب عز وجل إثبات وجود لا إثبات تكييف وكذلك في كل الصفات فليس بعض الصفات تختلف عن البعض فكما أن إثبات بعض صفات الرب عز وجل لا تقتضي تشبيهاً ولا تمثيلاً ولا تكييفاً فكذلك إثبات باقي صفات الرب عز وجل لا تقتضي تشبيهاً ولا تمثيلاً ولا تكييفا.

وسمعه سبحانه وتعالي قد وسع الأصوات كما تقول عائشة ﵂ " سبحان الذي وسع سمعه الأصوات إني لفي ناحية البيت وإن المرأة التي تشتكي إلى الله عز وجل وتحدث رسول الله ﷺ في زوجها وإني لفي ناحية البيت يخفي علي بعض حديثها وقد أنزل الله عز وجل قوله تعالي ﴿ قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[المجادلة: ١]، أو كما قالت ﵂.

وهو عز وجل بصره يدرك كل الأبصار ويدرك خلقه كما قال النبي ﷺ :" حجابه النور لو كشفه لأحرف سبحات وجه ما انتهي إليه بصره من خلقه" أي خلقه جميعاً فإن

بصر الرب لا ينتهي حتى يحيط بالخلق جميعاً فبصر الرب محيط بالخلق ولذا قال ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

فإذا أدرك الأبصار فقد أدرك أصحابها بالأولى فبصره عز وجل محيط بالخلق جميعاً.

يقول:" لا كسمع ولا بصر أحد من الوري " من الخلق لأن كيفية صفات الرب مجهولة كما قال الإمام مالك رحمه الله في الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة" فالكيف مجهول، لها كيفية نجهلها ولا نعلمها وإن كنا نعلم المعنى نعلم معاني صفات الرب عز وجل ولا نعلم كيفيتها. ندرك الفرق بين السمع والبصر ولا نحتاج إلي تعريفات في معاني هذه الكلمات فإن سبحانه وتعالي أخبرنا بما نفهمه ويفهمه كل أحد من هذه الكلمات العربية القابلة للترجمة إلى أي لغة بمعني السمع والبصر ولم يخبرنا بالكيفية فنقف عندما أوقفنا الكتاب والسنة.

أثر الإيمان بهذين الاسمين

القائل لموسى وهارون ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾[طه: ٤٦]، وذلك يقتضي من العبد المؤمن.. أن يراقب الله سبحانه وتعال ي ويخافه ويرجوه وحده ولا ينشغل بما حوله من الناس ولذلك ذكر السمع والبصر من الرب سبحانه وتعالي في مثل هذا المقام ترغيب وترهيب ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾[طه: ٤٦]. ترغيب في نصرة الله عز وجل لهما وإطلاعه سبحانه وتعالي علي ما يقول فرعون وما يفعله وهو سبحانه وتعالي يسمعه ويبصره وسوف يؤيد موسى وهارون لأنه معهما، كما قال تعالي ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾ [هود: ١١٢]. فهذا ترهيب كما أنه ترغيب ومن علم أن الله يسمع كلامه فماذا يبتغي بعد ذلك

من سُمعه في الناس فالتسميع أن يطلب سمع الناس لو استحضر العبد أن الله يسمع كلامه فماذا يريد بعد ذلك؟!! الله يسمع كلامه ويعلمه وهو عز وجل يجازيه علي ذلك فلماذا يطلب سمع الناس..؟!! الله يري أعماله ويبصرها سبحانه وتعالي فلماذا يطلب رؤية الناس؟!! وهو الرياء فإذا استحضر العبد أن الله سميع بصير رجا الله وحده وعمل لله وحده سبحانه وتعالي السميع البصير الذي يراه في السر والعلن ويسمع ما قاله أمام

الناس وما قاله بعيداً عنهم الذي يراه في السر والعلن ويسمع ما قاله أمام الناس وما

قاله بعيداً عنهم لذلك العبد يراقب الله أعظم المراقبة ويعبد الله كأنه يراه إذا استحضر أن الله يراه وهذه هي مرتبة الإحسان كما قال النبي ﷺ :" الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك " فكيف يصل العبد إلى هذا المقام.. مقام المراقبة والإخلاص ؟!! أن يستحضر أن الله يسمعه ويراه ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾[طه: ٤٦]. هذا من أعظم آثار الإيمان بهذين الاسمين الكريمين

- الترغيب والترهيب
- والإخلاص والمراقبة

أن يحصل للعبد رغبة ورهبة لله عز وجل ويكتفي بالله سبحانه وتعالي وبرؤيته وسمعه عز وجل، وإنما إذا استحضر الإنسان أن الناس هم الذين يرونه ولم يستحضر رؤية الله عز وجل عمل للناس وعمل للرياء.. طلب رؤية الخلق فالرياء: طلب الرؤية، والتسميع: طلب السمعة.. طلب سمع الناس وهذا أخوف ما يخاف علي الصالحين لو الإنسان تعبد لله بمقتضى اسمه السميع البصير سبحانه وتعالي لهان عليه أمر الناس.. لرجا الله وخافه وعمل له وراقبه وأخلص له سبحانه وتعالي وأحسن فيما بينه وبينه عز وجل وأما نفي ما وصف به نفسه من السمع والبصر كما يقوله المعتزلة والجهمية المبتدعون الذين أنكروا هذه الصفات لله سبحانه وتعالي فهذا هو الضلال المبين

وتكذيب رب العالمين وتكذيب سيد المرسلين ﷺ الذي وضع يده علي أذنه وعينه لإثبات المعنى دون الكيفية كما ذكرنا وما قاله النبي ﷺ أمام الصحابة الذين يجل فهمهم عن أن يتصوروا أن الرسول ﷺ يشبه ربه بنفسه أو بخلقه سبحانه وتعالي وإنما أراد الحقيقة لا المجاز في مثل ذلك لكي يؤكد لهم أن سميع بصير علي ما تعلمون من المعنى وهناك فيق بين المعنى والكيفية فالكيفية الحقيقة الكاملة لا يحيط أحد بها إلا الله سبحانه وتعالي وأما المعني فهو ثابت في الكتاب والسنة كما ذكرنا.

الحكم – العدل

الحكم العدل في قضائه وقدره وشرعه وأحكامه قولاً وفعلاً، فلا يحيف في حكمه ولا يجور ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[فصلت: ٤٦]، الذي حرم الظلم علي نفسه وجعله بين عباده محرما ووعد الظالمين الوعيد الأكيد، وفي الحديث :" إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ". ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾[هود: ١٠٢]، وهو الذي يضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفي شيئاً بل يحصي عليهم الخردلة والذرة والفتيل والقطمير.

من أسماء الله سبحانه وتعالي الحكم الله سبحانه وتعالي الحكم أي الحاكم سبحانه وتعالي الذي يحكم بين عباده وفيهم بما شاء وأراد.

هناك أنواع من الحكم، يتفرد الري سبحانه وتعالي كما قال تعالي ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴾ [الأنعام: ٦٢] وقال سبحانه وتعالي ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ [المائدة: ١] ، وقال سبحانه وتعالي ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [يوسف: ٤٠]، فالنوع الأول من أنواع الحكم الذي هو لله عز وجل.

١- الحكم القدري الكوني

أن يحكم الله سبحانه وتعالي بما يريد أن يكون في عباده وفي خلقه فيكون ذلك الشيء فالله عز وجل يحكم فيهم بما أراد وحكمه نافذ لا معقب لحكمه عز وجل ولا راد لهذا الحكم ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[يس: ٨٢].

فحكم الله سبحانه وتعالي بأن يكون أمر معين وينفذ ما قدره عز وجل هذا معنى الحكم الكوني، لا يوجد من يعقب عليه أو يرده أو يستطيع عدم إنفاذ هذا الحكم وكما و كما ذكرنا قوله ﴿ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ﴾[الأنعام: ٦٢]، يشمل هذا النوع وكذلك قوله عز وجل علي لسان يعقوب عندما أمر أبناءه أن يدخلوا من أبواب متفرقة ﴿ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴾[يوسف: ٦٧].

فهذا الحكم الكوني القدري ذلك أنه خاف عليهم فيما يذكرون من العين أو من الحسد أن يقولوا أحد أو عشرة رجال أبناء لرجل واحد فأمرهم بالتفرق، هذا الأمر وهو الحسد أو العين أمر قدري كوني وما يصيبهم من ضرر أمر قدري كوني فقال ﴿ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴾[يوسف: ٦٧].

فإذا حكم الله بضركم وقع وإذا حكم بنجاكم نجوتم فهذا الحكم الكوني القدري والله تعالي أعلي وأعلم .

وكذلك قوله تعالي ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴾[الأنعام: ٥٧].

فهو عز وجل ينصر من يشاء ويخزي من يشاء ويؤيد من يشاء ويجعل العاقبة لمن شاء والهزيمة علي من شاء فهذا أمر قدري كوني، والواجب علي العباد في هذا النوع من الحكم القدري الكوني علي أنواع منه فإنه يشمل .

* ما للعباد فيه من إرادة.

* ما ليس للعباد فيه إرادة.

* ما يمكنهم الأخذ ببعض الأسباب في دفعه.

* ما لا يمكنهم ذلك .

فما حكم الله عز وجل مما للعباد فيه إرادة نعني بذل أحكامه علي عباده بالطاعة والمعصية، فإن ذلك بلا شك من أحكامه وداخل تحت قضاءه وقدره، حكم الله بوجود الطاعة من أهل طاعته وحكم سبحانه وتعالي بوجود المعصية وذلك أن الطاعة والمعصية والإيمان والكفر أشياء داخلة في قوله عز وجل ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[يس: ٨٢].

فواجب العباد.. تجاه هذا النوع من الأحكام فيما يتعلق بالمعصية أن يفروا من هذا الحكم إلى حكم آخر.. أن يدافعوا هذا الحكم بحكم بحكم آخر فإذا وقع عليهم حكم من الله عز وجل بالمعصية بادروا إلى دفعه بحكم من الله بالتوبة استعانوا بالله عز وجل أن يتوبوا إلى الله وأن يرجعوا وأن يتركوا المعصية وأن يفعلوا الطاعة حتى تبدل السيئات حسنات في أفعالهم فهذا الحكم يدفع ويفر منه كما أشار إلى ذلك عمر رضي الله عنه

ولكن في أمر من الأمور التي للعباد فيها قدرة علي الأسباب وإن كانت تجري بغير إرادة منهم في الأصل فهذا الحكم إذا وقع عليهم بالمعصية اعترفوا علي أنفسهم بالذنب وقابلوا هذا الحكم بمداواة ما جري منهم بالتوبة إلى الله وبإتباع السيئة الحسنة كما قال النبي ﷺ:" واتبع السيئة الحسنة تمحها".

فهذا هو الواجب ولهم في ذلك عبوديات أخر بالإضافة إلى المدافعة.. أن يدافعوا هذا الأمر كما ذكرنا بالتوبة، وعبودية شهود عدل الله فيهم وإن ما أصابهم كان منهم أي بسببهم وأن لم يظلمهم، وعبودية الانكسار و الذل لله عز وجل، فإن العبد ينكسر له بالمعصية فإن ا لمعصية تكسر القلب بلا شك فيشعر العبد بأنه لا جابر له إلا الله عز وجل وأنه حكم عدل قدر عليه ذلك بعلمه وحكمته ووضع الأشياء في مواضعها فيدعو الله أن يصلحه ويجبره ويعالج ما أصابه من ذلك فيوفقه لطاعته سبحانه وتعالي.

وأما حكم الله عليهم بالطاعة.. فعليهم أن يشهدوا ذلك منه تفضيلاً سبحانه وتعالي ومنه ورحمة ويقبلوا ذلك بالشكر له عز وجل والاعتراف بفضله ونعمته وعدم نسبة ذلك إلى النفس التي هي مصدر السوء والشر والجهل والظلم لو تُركت وشأنها فما بها من خير فمن الله ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

فإذا شهد العبد حكم الله تعالي بالطاعة وقعت منه قابل بالافتقار إلى الله الحمد له والشكر لنعمه والاعتراف بفضله والثناء بها عليه وعدم الاغترار بالنفس ونسبة الفضل إليها أو أن يقول هذا لي أو غير ذلك ما يقع من بعض الناس أو كثير من الناس ممن يفسد الشيطان عليهم طاعاتهم بسبب ذلك ويزداد هدى بتوفيق الله سبحانه وتعالي له في النوع من الحكم .

فهذا النوع الأول منه وهو المتعلق بأفعال العباد الاختيارية التي تجري بمشيئتهم وقدرتهم حكم الله بذلك حكم الله تعالي أن تقع هذه الأفعال باختيار العباد.. بإرادة

العباد وقدرتهم ولو حكم بغير ذلك لكان ولو أراد عز وجل أن يكرهم علي الإيمان لفعل أو أن يجري الإيمان مهم بغير إرادة.. منهم كما يحدث فيهم الجوع والعطش ونحو ذلك لفعل ولكنه قدر سبحانه أن توجد الطاعات والمعاصي بإرادة من العباد لوه الحكم في ذلك عز وجل.

*وأما النوع الثاني من الأحكام القدرية الكونية.. فما يجري على العباد بغير إرادة منهم، ولكن هو نوعان:

* نوع قدر الله للأمر فيه أسباباً.

يقدر العباد علي الأخذ بها لدفع حكم الله بالمؤلم وطلب ما فيه النفع والبحث عن حكم الله عز وجل الذي فيه نفع ولذة ومصلحة للعباد فهدى الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه في هذا النوع الأخذ بالأسباب المشروعة الحلال فإن فيه نوعان من الأسباب :

- حلال .
- حرام.

فما أحل الله من الأسباب أخذ به كما أن الإنسان يجد نفسه بعد مدة من عدم تناوله الطعام والشراب جوعاً وعطشاً ويجد في نفسه يخلق هذا فيه من غير إرادة منه رغبة في الجنس الآخر ورغبة في تنفس الهواء.. يجد العبد نفسه تتدفع إلى ذلك تلقائياً فماذا شرع الأنبياء..؟!! البعض من الناس يظن أن الاستسلام لهذا الحكم مشروع ومعناه أن لا يأخذ بالأسباب فيتوقف عن الأخذ بها في بعض الأمور في الحقيقة وإلا فعند التأمل يستحيل أن تستمر حياة إنسان بدون الأخذ بهذه الأسباب من طعام وشراب وكذا من أخذ نفس وأما في أمور شهو ة الجنس وكذا أمر التداوي مثلاً فإن هذه أمور تجري في العبد من غير إرادة منه أصلاً.. يمرض فهل يأخذ بأسباب الشفاء إذا قدر

علي ذلك ويجد الذكر رغبة في الأنثى ونحو ذلك فهل يأخذ من ذلك بالأسباب أم يمتنع منها.؟!!

نقول أن الذي جعله يأخذ بالأسباب وشرع له الأخذ بالأسباب في الطعام والشراب والنفس كذلك شرع له الأخذ بالأسباب الحلال المباحة والمستحبة والواجبة أحياناً فيما هو من جنس هذه الأمور كالنكاح وكالتداوي ونحو ذلك ولكن مبدأه يقع بغير إرادة من الإنسان لكن له قدرة علي دفع أو رفع ما وقع منه فهذا يشرع فيه الأخذ بالمباح وترك المحرم فلو أن الإنسان جاع أو اشتهى شيئاً من الطعام يجد لذة في نفسه إذا كل ويجد رغبة شديدة في تناوله إذا تركه ويمكن أن يتناوله من حرام يمكن أن يأكل أو يشرب الشراب المباح ويمكن أن يشرب الخمر ويمكن أن يأكل اللحم الطيب ويمكن أن يأكل الميتة أو الخنزير ليسد جوعه، فعليه أن يتناول الحلال وأن يتجنب الحرام وكذا وجد في نفسه رغبة في الجنس الآخر فيتزوج ويتسرى ولا يزني ولا يفعل الفاحشة، وهكذا لا يتناول مثلاً ما حرمه الله من أمر الدواء فهذا الحكم القدري الكوني الذي يجري علي العباد من غير إرادة منهم ولكن لهم قدرة علي أخذ الأسباب الجالبة للنفع والدافعة للضر، فالمشروع من ذلك أن يأخذ الإنسان الأسباب ولا يعطلها ولكن يأخذ ما حل ويدع ما حرم فيطلب الطلب الجميل.. لا يترك الطلب بالكلية ولا يعطل الأسباب ولكنه يطلب الطلب الجميل.

وهو في أخذه لذلك له عبوديات فيما يتعلق بهذا الاسم فهو يشهد نعمة الله سبحانه وتعالي عليه فيما يسر له من أسباب حياته من طعامه وشرابه قال النبي ﷺ :" إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها".

وقال إبراهيم عليه السلام ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ۝٨١ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء: ٧٨ – ٨٢].

فيشهد وحدانية الله سبحانه وتعالي في ذلك ويشهد فضله وإحسانه إلى عبده فيما يسر له من تلك الأسباب.

كما يشهد حاجته وفقره ويتضرع إلى الله فجوعه وعطشه علامة علي فقره وعجزه وأن بدنه خلق خلقاً لا يتمالك خلق خلقاً ضعيفاً.. خَلق لا يقوم بنفسه لا يقيمه إلى الحي القيوم سبحانه وتعالي فإذا شهد ذلك لم يتكبر ولم يتعاظم في نفسه ولم يظن بنفسه الكمال أبداً بل عرف نقصها وعجزها وضعفها فيتواضع لله ولا يتكبر علي خلق الله فهو مثلهم كلهم جائع إلا أن يطعمه الله.. عطشان إلا أن يرويه الله.. ضال إلا أن يهديه الله سبحانه وتعالي.

وأما النوع الثاني من الأحكام القدرية الكونية التي تجري العباد بغير إرادة منهم فهو.

●الذي لا قدرة للعباد علي دفعه ولا علي أخذ أسباب تتعلق به.

كموت قريب أو مرض لا شفاء منه أو مصيبة وقعت فهذا الحكم عبوديته التسليم المسالمة والرضا والصبر علي الألم الذي يصيب في ذلك.

يرضى ويسلم ويفوض أمره إلى الله ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطاؤه لم يكن ليصيبه فهذا المشروع فيه المسالمة للحكم.. يسالم حكم الله عز وجل ولا يعارضه كما ذكرنا لأنه لا سبيل إلى معارضته ويجري علي العبد شاء أم أبى.. يجري على المؤمن والكافر والبار والفاجر فهذا النوع من الحكم لا ينال العبد بالتسخط عليه إلا غضب

الرب عز وجل ولا يجلب عليه إلا ضرره في الدنيا والآخرة إذا سخط هذا الحكم ولم يستسلم له كما ذكر النبي ﷺ :" إن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط".

وقال عز وجل ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ [التغابن: ١١].

قال علقمة:" هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضي ويسلم ".

فهذا هو الواجب في هذا الحكم القدري الكوني الذي لا قدرة للعبد لعي أخذ شيء من أسبابه لا أسباب رافعة ولا دافعة ولا جالبة ولا مانعة لابد أن يستسلم ورضي والصبر بداية ذلك وهو الواجب والرضا تتمة ذلك وهو المستحب وهو أن لا يتمنى خلاف ما وقع بل نفسه لا تحدثه بخلاف ما وق وجري وذلك لأن استغراقه في شهود حكمة الله وقدرته وعدله والفضل الذي يترتب علي هذا الصبر والثواب والأجر اذهب عنه ألم المصيبة ما لا قدرة له علي دفعه كما ذكرنا.

وقد أطلق بعض من يتكلم في أعمال القلوب أن الواجب مطلقاً علي العبد المسالمة للحكم ولم يفصل هذا التفصيل الواجب وظن أتباعهم أو كثير مهم أن من ضمن المسالمة للحكم أن يستسلم وأن لا يعترض علي الحكم المتعلق بالطاعة والمعصية فظن الطاعة والمعصية سواء من العباد لأن حكم الله القدري الكوني كان بكل منهما فقال إن مشاهدة العبد للحكم " لم تدع له استحسان حسنة ولا استقباح سيئة".

وهذا ضلال مبين بل كفر والعياذ بالله وإن صدر ممن صدر منه أحسن أحواله أن يكون مثل المجانين حين تكلم هذا الكلام فلا يؤاخذ لغفلته وذهاب علقه حين ذلك.

فإن مشاهدة العبد للحكم كما ذكرنا علي الأنواع المختلفة وهو يشاهد حكم الله بالطاعة فيري فضل الله وبالمعصية فيرى عدله وحكمته ولابد أن يفر ويدفع حكم الله القدري بالمعصية إلى حكمه بالطاعة وهكذا كما ذكرنا .

وهناك أيضاً خطأ في هذا الإطلاق المسالمة للحكم حتى في الأحكام القدرية التى للعبد فيها مأخذ بالأسباب فمثل هذا لا يجوز لعبد أن يقول أنا لا أكل ولا أشرب لأن حكم الله علي بالجوع والعطش نافذ وكذا إن حكم علي بالشبع أو الري نافذ فيقول لا فائدة من الطعام والشراب، وهذا لا يستطيع لاحياة به إذا طبقه وإن كان يطبقه في غير ذلك كالتداوي كما ذكرنا أو النكاح أو الأخذ بالأسباب في الجملة كالاكتساب.. طلب أسباب الرزق ونحو هذا، فنقول أن الواجب أن يأخذ الإنسان ما حل ويدع منا حرم.

فأما النوع الذي ذكرنا فهو الحكم القدري الكوني بما لا قدرة له عليه فيقابله بالاستسلام وكذا منه ما إذا أخذ بالأسباب فيما يقدر عليه فلم تثمر هذا الأسباب نتائجها كان يطلب مثلاً الرزق الحلال فلا يجد أثراً لذلك كلما طلب فرزقه ضيق مثلاً لا يجد الغني الذي يطلبه فلا يتسخط ويستسلم لقدر الله.. يأخذ بالأسباب المقدورة ولا يقول لماذا يقع علي كذا وأنا في ضيق من كذا، قد أخذ الأسباب ولم تثمر الأسباب نتائجه هذا صار من النوع الثالث مع أن أصله من النوع الثاني وهو الذي يقدر علي أسبابه لكنه طالما أخذ بالأسباب فلم يجد لها نتيجة ولم يجد لها أثر أخذ الدواء ولم يشفى فهذا واجنه التسليم ومن ضمن مشاهد العبودية في ذلك أن لا يعتقد في الأسباب بل يعلم أن الله هو الذي يقدر الأسباب كما يقد كل أنواع الحكم سبحانه وتعالي فربما أوجد الله بالأسباب نتائجها وربما منع هذه النتائج فلابد أن يعتقد في الله سبحانه وتعالي، لذا قال أهل العلم" الأخذ بالأسباب واجب والاعتقاد في الأسباب شرك" .

فهذا الحكم القدري الكوني بأنواعه.

أما الحكم الثاني...

٢- فهو الحكم الشرعي الديني

ولله الحكم في هذا النوع بلا منازع لا ينازعه فيه أحد ولا يحكم معه أحد سبحانه وتعالي كما قال ﴿وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ﴾ [الكهف: ٢٦].

وهذا شامل للأول والثاني معاً وأما القراءة الثانية ﴿ وَلَا يُشۡرِكۡ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ﴾ فلا يحتمل غير الحكم الشرعي ويكون النهي متوجهاً إلى المكلف بأن لا يطلب الحكم إلا من الله عز وجل وهي مسألة عظيمة الأهمية في حياة كل مسلم ولذا قال يوسف عليه السلام ﴿ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ﴾ [يوسف: ٤٠].

فمن جعل الحكم لغير الله فهو والعياذ بالله قد عبد غير الله.. من اعتقد أن غير الله له أن يشرع من قبل نفسه من دون الله أو مع الله أو له أن يعدل قد أشرك بالله كما قال النبي ﷺ لعدي بن حاتم عندما قرأ قوله عز وجل ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ ﴾ [التوبة: ٣١].

"قال: إنا لسنا نعبدهم، قال النبي ﷺ: ألم يحرموا الحلال ويحللوا الحرام فاتبعتموهم؟ قال: بلي، قال فتلك عبادتهم" فهذا دليل علي أن من جعل الحكم لغير شرعاً في التحليل والتحريم.. في المدح و الذم.. في الجواز والمنع وغير ذلك من الأحكام الاستحباب أو الإباحة أو الكراهة أو التحريم أو الإيجاب أو غير ذلك إذا جعله لغير الله إذا جعل الثواب والعقاب بناء علي أمر فلان أو نهي دون شرع الله فهذا كله داخل في هذا النوع من الشرك وهو من أكثر الشرك انتشارا وهو قديم وحديث في نفس الوقت، أعني أنه ليس فقد في الأزمنة المعاصرة بل هذا النوع من الشرك هو شرك إبليس، عندما رد أمر الله ووجد أن ما تأمره به نفسه أولي بالإتباع وأنه أصح من أمر الله عز وجل وأن

ما رآه بعقله الفاسد هو أولى مما شرعه الله له من السجود لآدم فقال ﴿ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ [الأعراف: ١٢]،

وقد انتشر في الأمم قبل ذلك أيضاً هذا النوع وهو أن يردوا شرع الله سبحانه وتعالي لأجل كبر أو لأجل شهوة أو لأجل غير ذلك كما في قوم لوط فإنهم ردوا شرع الله بتحريم الفاحشة التي كانوا يفعلونها فكفروا بذلك وإن لم ينقل في الكتاب وفي السنة أنهم سموا آلهة كأصنام أو شمس أو قمر يعبدونها مع الله أو من دون الله ومع ذلك كفروا وأشركوا بإجماع المسلمين بعد نص القرآن الكريم فدل ذلك علي أن هذا النوع من الشرك وهو رد حكم الله سبحانه وتعالي وجعل الأهواء هي الحاكمة أو أقوال الكبراء أو الأخبار والرهبان فضلاً من دونهم من ليس علي علم ولا عبادة من المجرمين والزنادقة والكفرة والعياذ بالله فكل هذا قد انتشر في الزمان الماضي والحاضر عبر أنواع من الضلالات والمنكرات ينازعون الله عز وجل في حكمه، بل من جعل مع الله من يشرع مع الله أي جعل لله أشياء ولغيره أشياء يشرع الله في أحكام ويشرع غيره في أحكام فهو مشرك فكيف من جعل الحكم كله لغير الله نعوذ بالله، بل جعل حكم الله لا ينفذ ولا يتم بين العباد الأحكام الشرعية الدينية إلا بأن تعرض علي العباد وآرائهم وأهوائهم فهذا عبد الهوى ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ [الفرقان: ٤٣].

فهذا نوع من البشر يعرض أحكام الله علي هواه أو علي هوي غيره وهذا أقبح فهذا عبد لذلك الغير، يعرضها علي الهوي فإن وافق الحكم الشرعي الهوي اتبعه وإن لم يوافقه ابتع الهوي وترك شرع الله سبحانه وتعالي فمن يقرر ذلك ويصححه فهذا قد أشرك بالله أما من يقول أن الحكم لله ويقرر صحة ذلك، لكنه يخلف ويتبع فهذا فيه نوع من الشرك الأصغر لا الأكبر ذلك أنه أقر بأن الحكم لله ولم يرد شرع الله سبحانه وتعالي

فهذا الحكم الشرعي الديني ولابد أن ننبه هنا أن الرسل الكرام وخاتمهم محمد عليه الصلاة والسلام لا شيء لهم في هذا الحكم وإنما هم مبلغون عن الله فإن نسب الحكم إليهم كما دلت علي ذلك أدلة الكتاب والسنة ﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ [المائدة: ٤٩].

وقال عز وجل ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ﴾ [النساء: ٦٥].

فعلي سبيل التبليغ لا علي التشريح والاستقلال فيه فإنه ﷺ لا يشرع من قبل نفسه ولا يحكم من قبل نفسه ولا يبدل من قبل نفسه كما دل على ذلك نص القرآن ﴿ قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ ﴾ [يونس: ١٥].

وقال عز وجل ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ﴾[النساء: ١٠٥].

فالله عز وجل أمر نبيه عليه الصلاة والسلام بأن يحكم بين الناس بشرعه وأمر كل حاكم يحكم بذلك وأما أن يظن أن الأنبياء أو الرسل أو غيرهم لهم أن يشرعوا أو هم يشرعون ويحكمون من قبل أنفسهم فهذا ظن فاسد من أسوأ الظن ويدل علي جهل صاحبه بأسماء الله وصفاته سبحانه وتعالي فالحكم لله العلي الكبير ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ﴾ [الشورى: ١٠].

قال عز وجل ﴿ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ﴾ [يوسف: ٤٠].

وغير ذلك كثير من آيات القرآن تثبت أن اعتقاد أن الحكم لله والتزام شرع الله عبودية لله عز وجل فإذا جعل هذا لغيره كان شرك نعوذ بالله من ذلك، ومن هذا الشرك إيجاب شرع غير شرع الله علي الخلق باللسان تصريحاً أو بالإلزام العملي بذلك فإن من يلزم في التشريع العام بخلاف شرع الله من جعل الحكم لغير الله سبحانه وتعالي ورد أو أشرك بالله عز وجل في هذا الاسم، هذا إذا كنا قد قررنا أن ما يخبر به الأنبياء والمرسلون ليس حكماً من قبل أنفسهم فبالأولى والأولى اجتهاد المجتهدين فإنما يجتهدون لإصابة حكم الله يبذلون جهدهم لمعرفة هذا الحكم فإن أصابوه فلهم أجران اخطأ فلهم أجر إذا أوفوا الاجتهاد حقه.

مقتضي هذا الاسم

فنقول أن الواجب علي العباد في التعبد لله بهذا الاسم في هذا النوع من الحكم هو أن يستسلموا لهذا الحكم استسلاماً تاماً ويرضوه ويطبقوه فالاستسلام للحكم الشرعي الديني بأن يعمل به العبد ويعرف فضل الله عز وجل بهذه الشريعة ويطبقها في حياته وفيمن ولي أمرهم من الخلق فيحكم بشرع الله ويتحاكم إليه ولا يعارض بعقل أو قياس أو مصلحة أو سياسة أو وجد وذوق أو غير ذلك مما يعارض به المعارضون لشرع الله فمنهم من يعارض أحكامه الشرعية بما يظنون أموراً عقلية أو فلسفة أو حكمة أو علم كلام أو غير ذلك ومنهم من يعارض ذلك بآراء فقيهة وقياسات يظنها شرعية أو يعارض ذلك بما يجد في نفسه من أذواق ومواجيد يظن أن الذوق حاكم علي شرع الله أو يرد ذلك الشرع لأمور من السياسة وما يظنه مصلحة له أو لغيره في دنيا الناس، كل ذلك مما يفسد به الدين كما قال عبد الله بن المبارك في هذه الأنواع التي يرد بها الشرع وينحرف الناس بها عن الشرع

قال عبد الله بن المبارك

وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها

رأيت الذنوب تميت القلوب وقد يورث الذل إدمانها

وترك الذنوب حياة القلوب وخير لنفسك عصيانها

فهل أفسد الدين إلا الملوك: هؤلاء الذين يعارضون الأوامر الشرعية بالسياسة أو غيرها، وأخبار سوء: فهؤلاء الذين يردون الشرع بالرأي المجرد والقياس الباطل والتقليد العمي وآراء من سبقهم من المجتهدين الذين لابد أن يعلم بأنهم ليسوا بحكام وإنما الحكم لله عز وجل – ورهبانها: فهذا يعني به عباد السوء الذين يعارضون الشرع بالأذواق الوهمية والمواجيد الخيالية التي يظنون بها أنهم في تهذيب نفوسهم وفي إصلاح قلوبهم مجتهدين ساعين وما حصلوا ذلك لأن شرع الله عز وجل هو الواجب وحكم الله عز وجل هو النافذ ولا يجوز لعبد أن يرى لأحد من الخلق تعقيباً علي حكم الله الشرعي كما أنه ليس في الحقيقة ولا في الوجود من يعقب علي حكم الله الكوني فكذلك لا يجوز لمؤمن أن يرى حقاً لأحد في تعديل أو اقتراح أو تغيير أو تعقيب علي حكم الله الشرعي ﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾[الأنعام: ٦٢].

وأما النوع الثالث من الأحكام التي لله عز وجل فهو..

٣- الأحكام الجزائية يوم القيامة

كما قال الله سبحانه وتعالي عن ذكر المستضعفين والكبراء..

﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ﴾

[غافر: ٤٧ – ٤٨].

وسمى يوم القيامة يوم الفصل لأجل أن الله يحكم فيه بين الناس ويحكم ف يه بين الخلائق يقضي سبحانه وتعالي بحكمه وهو العزيز العليم ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [يونس: ٩٣].

فالله عز وجل يحكم يوم القيامة بالأحكام الجزائية التي ينطبق فيها الأمر الشرعي علي الأمر الكوني، في الدنيا قد تختلف هذه الأحكام تفترق بمعنى أن يحكم الله بأمر شرعاً ولا يطبقه القيامة فيجتمعان كما ذكرنا، فإنما يحكم الله بين عبادة يوم القيامة بمقتضى شرعه فمن أطاع الله أكرمه ومن عصى الله أهانه وعذبه ومن كفر به في النار خلده ومن آمن به وبرسله أعلى في الجنة منزلته ودرجته فهو سبحانه وتعالي حكم بين العباد بحكمه العدل يوم القيامة لا تظلم نفس شيئاً في هذا اليوم تعتدل الموازيين ويزول الظلم الذي وجد في الدنيا وإن كان بحكم الله القدري الكوني لحكم عظيمة بديعة ولم يكن ظلماً منه عز وجل لعباده بل ظلم لأنفسهم كما بين عز وجل ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [يونس: ٤٤].

فالظلم الذي وجد في الدنيا يزول يوم القيامة قال الله عز وجل ﴿ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ ﴾ [غافر: ١٧].

قال عز وجل ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٠].

فأحكامه الجزائية يوم القيامة يجتمع فيها الحكم القدري الكوني مع الحكم الشرعي فهو يحكم بينهم بحكمه بمقتضي الأحكام الشرعية وهو سبحانه وتعالي ينفذ ذلك يدخل من حكم له بالجنة الجنة ومن حكم له بالنار النار وإن كان في الدنيا قد حكم بإعزاز أهل

طاعته شرعاً ولكن قد يأتي عليهم زمان يستضعفون ويهانون وقد أعزهم الله بطاعته واقعاً أي في العاقبة وشرع سبحانه إعزازهم سبحانه وتعالي لكن قد يأتي كما ذكرنا زمن يستضعفون فيه ويصيبهم من أنواع الامتحان والابتلاء ما الله سبحانه وتعالي قدره وحكم بوجوده و الله تعالي أعلي وأعلم .

وهو سبحانه وتعالي حكم عدل في هذه الأحكام كلها كما ذكرنا أنواع الأحكام، فالأحكام القدرية الكونية فالله عز وجل فيها حكم عدل لم يظلم الناس حين قدر عليهم المعاصي ولم يظلمهم حين قدر عليهم أنواع البلايا من جوع أو عطش أو مرض ولم يظلمهم حين قدر عليهم ما لا طاقة لهم علي الأخذ بالأسباب تدفعه أو ترفعه.. في الأنواع الثلاثة من الأحكام القدرية الكونية لم يظلم فيها أحداً من العباد حتى من قدر عليهم المعصية والكفر والنفاق.

كيف ذلك وقد وقع كثير من الناس في الضلال بسبب عدم فهمهم لهذه المسألة، وهو أن الله لم يظلم الناس فبعض الناس أخرج أفعال العباد الاختيارية عن حكم الله وقال ليست داخلة في أحكامه ليس هناك إلا الأحكام الشرعية لكي لا يصف الرب بالظلم فيما توهم أن الله إذا قدر علي عبد معصية أو كفراً فقد ظلمه فقالوا لم يقدر ذلك ولم يحكم بوجود شيء من ذلك قدر اً وجعل الأحكام كلها شرعية فقط .

وصنف آخر من الناس وصف الله بالظلم لأجل أن يثبت الحكم القدري الكوني فقالوا قدر عليهم الكفر والفسوق والعصيان وظلمهم بذلك.

وطائفة أخرى ضلت للجمع بين المنافقين قدر عليهم ولم يظلمهم لأنه يحسن منه أن يعاقب البرئ وأن يثيب المسيء و أن ينعم الكافر وأن يعذب المؤمن فذلك حسن منه لا يرد شيء من ذلك فحصلت هذه المذاهب للجهل بوصف الله عز وجل أنه الحكم العدل، وأنه عدل في أحكامه القدرية الكونية حتى فيما يصيب الناس من الطاعات والمعاصي وذلك أن ما نفهمه من مذهب أهل الحق وهو ليس من المذاهب التي ذكرنا.

أما مذهب أهل الحق فهم لا يخالفون شرع الله عز وجل الذي بين سبحانه وتعالي أنه لا يظلم الناس شيئاً وأنه لا يظلم الناس شيئاً وأنه عدل في أحكامه ويثبتون قدره عز وجل ولا يخالفون ما فطر الله القلوب عليه من أن العدل ينافيه إثابة المسيء وتنعيم الكافر وتعذيب المؤمن وعقاب المحسن فغن الله فطر العباد علي غير ذلك هو حكم عدل يضع الأشياء في مواضعها.

نقول لم يظلم الله سبحانه وتعالي العاصي حين قدر عليه المعصية لأنه قدرها عليه كما ذكرنا بإرادته وقدرته وبلغة شرعه علي ألسنة رسله وآتته النذارة وبلغته الكتب فقامت حجة الله ع لي عباده وجعل يفعل ما يفعله بإرادته وقدرته ليس إكراهاً عليه يفعله بل فعل المعصية علي بينة من أمره وعلي إرادة منه كما قال عز وجل ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴾ [التكوير: ٢٨] وقال ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾ [الكهف: ٢٩] هذا إثبات مشيئة العباد وكونها تحت مشيئة الله ولا تكون إلا بمشيئة ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ ﴾ [الإنسان: ٣٠] لا يعنى إلغاء إرادة الإنسان ولا إلغاء قدرته وإن كانت هناك مؤثرات تؤثر عليها.

أول هذه المؤثرات وأول هذه الموجودات.. إرادة الله سبحانه وتعالي لكن ذل لا يلغيها ولا يجعلها معدومة كما أن خلق الله للولد من أبيه وأمه لا يعني إلغاء أبيه وأمه لذلك نقول وضع الله الأشياء في مواضعها وضع البذر الطيب في الأرض الطيبة والبذر الخبيث في الأرض الخبيثة وجعل الخبيثين للخبيثات والخبيثات للخبيثين وجعل سبحانه الطيبين للطيبات والطيبات للطيبين.

جعل الخبيثات من الأقوال والأعمال للخبيثين من الناس وجعل الخبيثين من الناس لهم الخبيثات من الأقوال والأعمال.. وجعل الطيبات من الأعمال والأقوال للطيبين من الناس وجعل الطيبين من الناس للطيبات من الأعمال والأقوال، وضع

الأشياء في مواضعها ولم يظلمهم تفضل علي بعضهم وعدل مع الجميع ففضله سبحانه في مواضعه وعـ ـدله سبحانه لا يخرج أحد عنه أبداً فإن الله حرم الظلم علي نفسه وجعل بين العباد محرماً ولا نقول كما يقول الأشاعرة، أنه يحسن من الله يعاقب المحسن وأن يثيب الكافر الفاجر علي معصيته وكفره لا نقول ذلك بل نقول هذا قد فطر الله العباد علي أنه لا يقع منه عز وجل ولا يكون وأنه قبيح منكر ينزه عز وجل عنه سبحانه وتعالي ما ظلم العباد كما قال النبي ﷺ:" لو أن الله عذب أهل سماواته وأرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم لكانت رحمته خير لهم من عملهم".

وليس معني ذلك كما قد يظن البعض أنه قد يعذب من أفني عمره في طاعته لا إنما معني الحديث كما وصف الله عز وجل أنه إذا أراد أن يعذب ويدمر قوماً جعلهم يفعلون ما يستحقون به التدمير قال عز وجل ﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴾ [الإسراء: ١٦].

فهو الحكم العدل سبحانه وتعالي لا يظلم الناس شيئاً ولا يظلم مثقال ذرة حرم الظلم علي نفسه غناه وكمال قـ ـدرته وجعله بين العباد محرماً وهو عز وجل عدل كذلك في أحكامه الشرعية كما ذكرنا هو عدل عز وجل في الأحكام القدرية حتى فيما قدر من وقوع المعصية فإنه كما ذكرنا وقعت المعاصي بإرادة العباد وقدرتهم وإن كان الله قد قدرها لكن ذلك لا يعني إلغاء مسئولية العبد وإلغاء إرادته وقدرته، أما ما يصيب العباد من أنواع البلايا المؤلة سواء كان منهم مكلفاً أو غير مكلف فهو عدل عز جل في ذلك أيضاً لأن العدل كما ذكرنا – وضع الأشياء في مواضعها –، فقد يقول البعض فما ذنب الأطفال الذين يتألمون وما ذنب البهائم التي يصيبها من أنواع العذاب أليس هذا ظلماً؟!!، تعالي الله عن الظلم لا يظلم الناس شيئاً، الله يضع الأشياء في مواضعها هو سبحان وتعالي جعل من هذا الألم سبباً لأنواع من المصالح والحكم لا تستقيم الحياة بدونها بل والله إن الألم لنعمة، فالله سبحانه وتعالي لو حرم الإنسان من نعمة الألم لهلك،

نقول نعمة الألم عجب نعم والله في الطب أثبتت حالات.. تعطلت مراكز الإحساس بالألم في بدن بعض الأطفال فوضع هؤلاء الأطفال أيديهم في النار وقطعوا أجزائهم ومشوا علي الأشواك والأشياء المؤذية المفسدة وتدمير للبدن من حيث عدم معرفة الأخطار إلا أن تكون نهاية هذا الإنسان، لو الإنسان حرم من الألم لآتاه الهلاك من كل جهة.. الألم مصدر للتنبيه والخطر والألم بعد ذلك سبب لمعرفة نعمة الله بالراحة واللذة حتى للأطفال فإن ألمهم ذلك سبب لراحتهم بعد حتى فيمن مات منهم صغيراً فذلك لكي ينال رحمة الله عز وجل ومع زوال الألم يدرك الإنسان قيمة الرحمة واللذة والراحة التي يكون بعد ذلك فيها.

فالعبد المؤمن يوقن أن الله تعالي قد وضع الأشياء في مواضعها ولا تستقيم هذه الحياة الدنيا التي جعل الله فيها الموت والحياة والظلمات والنور والخير والشر لا تستقيم ولا تستمر إلا بوجود اللذة والألم لو زال ذلك الألم لتعطلت مصالح الحياة والله عز وجل جعل الحكمة فيما قدره سبحانه فهذا عدله سبحانه وفيما جعل الله مثلاً من الجوع والعطش ما جعله سبباً لحياة الإنسان فلو أن الطفل فقد شهيته للطعام وفقد رغبته للشراب لمات والرجل الكبير كذلك وإنما جعل الله ألم الجوع سبباً دافعاً وكذلك ألم العطش سبباً دافعاً لاستمرار الحياة فسبحان الله، الله عز وجل هو الرب حكم بما شاء وعدل فيما حكم ولم يظلم الناس شيئاً.

وأما فيما قضي عليهم بالموت أو المرض الذي لا علاج منه فهذا أيضاً من أسباب استمرار الحياة وبقائها تجد الحكمة في ذلك فلو أن البشر جعل إلى اختيارهم أمر الموت والحياة لما مات أحد ولتعطلت مصالح العباد وما استمرت هذه الحياة علي منوال صحيح فالله سبحانه وتعالي جعل بحكمته الموت والحياة ليبلوا العباد أيهم أحسن عملاً.

فيما قدر عليهم لم يظلمهم جعل شيء بأسبابه والمصائب بأسباب من أفعال العباد بالإضافة إلى أنها بقدر الله كما قال ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ ﴾[الشورى: ٣٠] وقال ﴿ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ ﴾[النساء: ٧٨].

فهو من العباد تسبباً ومن الله خلقاً وإيجاداً وهو لا يظلم الناس شيئاً، فمن رضي جعل الله من هذه المصيبة وهذا الألم سبباً لرفع درجاته فأي عدل بعد هذا بل قل أي فضل فإنها نعمة في صورة بلية وإن كان البعض يظنها ظلماً فهذا لجهله بل المؤمن يري في المصائب التي لا يقدر علي دفعها سبباً لراحته وسكون وسعادته للثواب الذي يحصل عليه قال النبي ﷺ :" عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذل لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له ".

وهو عدل عز وجل في أحكامه الشرعية فالشرع هو العدل ما حكم الله به من أنواع العبادات والمعاملات والعقوبات وسائر أحكام الديانة فهذا هو العدل عند كل من تأمله لا يجد ما خالفه إلا ظلماً لكل عاقل، فأحكام الشرع الإسلامي هي أعدل الأحكام بل لا عدل سواها لا عدل فيما شرعه الله سبحانه وتعالي، فالعبادات التي شرعها الله عز وجل بل قل أصلاً العقائد التي أمر الله عز وجل به وأخبر وزنتها العقول لوجدت أن هذا هو العدل الذي لا عدل سواه.. توحيد الله عز وجل هو العدل و الشرك بالله هو الظلم.. معرفة أسماء الله عز وجل وصفاته هو العدل وتعطيل أسماء الله عز وجل وصفاته هو الظلم.. التوحيد عدل والتثليث ظلم لأنه وضع الأشياء في غير موضعها.. تصديق الأنبياء عدل وتكذيبهم ظلم.. الإيمان بالملائكة عدل وإنكار الملائكة ظلم.. الإيمان باليوم الآخر عدل وإنكار اليوم الآخر ظلم، والله هذا أمر واضح بين وكما ذكرنا العبادات، الصلاة هي التي تعتدل بها موازين العباد وجعل الله فيها غذاء للقلوب وذكراً لله ونهي عن الفحشاء والمنكر ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ

ﭐلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ﴾
[العنكبوت: ٤٥]

الصوم عدل لأنه يعتدل به حياة الإنسان بين شهوته وبين إرادته وقوته فيستطيع أن يتحكم في نفسه ويمسك نفسه ويكفها ولا تركبه شهواته وهواه فيصير عبداً لهذه الشهوات إلى ما فيه من المصالح والحكم التي تعرف بها عدل عز وجل .

وكذا الحياة عدل من الله ومنعها ظلم وهكذا.. المعاملات – تحريم الربا هو العدل ووقوع الربا هو الظلم.. تحريم الميسر هو العدل وفعل الميسر وتشريعه هو الظلم وهكذا في سائر المعاملات، كل من تأمل أحكام الشرع هي بذاتها هذه الأحكام هي دليل علي بعثة النبي ﷺ دون النظر إلى المعجزات الحسية ولا حتى غير ذلك من البلاغة والمعجزات القرآنية.

أحكام الشريعة التي تضمنها القرآن العدالة التي فيها دليل علي صدق النبي ﷺ كل حكم إذا تأملته عرفت أنه العدل الذي لا عدل سواه وأن ما خالفه ظلم في كل الأمور حتى فيما يتعلق بأعمال القلوب ووجدت أن الشرع جاء بالعدل في ذلك فهو يوازن بين ما للقلب وما للبدن فلا يلغي أحد الأمرين علي حساب الآخر بل أتي بالعدل فأتي الشرع من عند الله سبحانه وتعالي بأن الإنسان يؤتي نفسه حقها وحظها ولا يهمل نصيب قلبه فمثلاً الذين حرموا علي أنفسهم الطيبات حرموا ما أحل الله عز وجل لهم كالرهبان مثلاً

الذين يعيشون حياتهم لا يستمتعون بما أحل الله عز وجل ويظنون ذلك إصلاحاً للقلوب، فسدت قلوبهم وفسدت أبدانهم ولم يستمروا في الحياة، والذين غلبوا جانب الشهوات فماتت قلوبهم وتعسوا في الحياة واحتاجوا إلى المسكر لكي تغيب عقولهم عن الواقع المؤلم، وأتي الشرع الإسلامي بالعدل في ذلك أعطى النفس حقها وحظها فأخذت من الشهوات ما تستقيم به وما يعيش به البدن ولم تحرم منها بالكلية ولم تفتح لها

الأبواب بالكلية شرع الله الحلال والحرام وشرع سبحانه وتعالي إصلاح القلوب من غير تحريم الطيبات ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأٓيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٢].

وتجد التوازن والعدل في كل هذه الأعمال القلبية لا تجد إفراطاً ولا تفريطاً لا تجد مثلاً منعاً للخوف أو منعاً للرجاء بل توجيه لهذا الخوف لكي يكون في موضعه يخاف من الله وحده ولا يخاف أحداً سواه، يرجوا الله ولا يرجو سواه.. يخلص لله سبحانه وتعالي ولا يرائي ولا يسمع هذا هو العدل الذي لا شك فيه من تأمل أحكام الشريعة في كل الأمور وجد أن شرع الله هو العدل وأن ما خالفه هو الظلم لأن الله هو الحكم العدل سبحانه وتعالي.

وأما العدل في أحكام الله الجزائية فهو يوم القيامة ميزان حساس أشد حساسية من كل ما يعرفه العباد من أنواع الموازين قال تعالي ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔاۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾[الأنبياء: ٤٧].

سبحان الله لا يظلم الناس مثاقيل الذر قال عز وجل ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾[الزلزلة: ٧ – ٨].

فهذا كمال العدل، وقبل ذلك لم يظلم الناس شيئاً في الدنيا لا يظلمهم وفي الآخرة لا يظلمهم وإن كان في الدنيا هناك من يتهمه بالباطل والظلم بالظلم فيظهر يوم

القيامة عدله للجميع حتى أهل النار يدخلون النار وهم يرون عدله كما قال الحسن:" إن أهل النار دخلوا النار وإن حمد الله لفي قلوبهم لا يجدون ولا يستطيعون غير ذلك".

يروا أن هذا الذي جرى حتى دخولهم النار عدل منه عز وجل أيقنوا أن الله لم يظلمهم وأن الله وضع الأشياء في مواضعها وأنه يستحق الحمد علي ذلك حتى وهم متألون لكن لا يجدون غير ذلك لا يستطيعون أن نقول نفوسهم ظلمنا وأن تقول نفوسهم كان ينبغي غير ذلك أو كان الأجدر أن يقع الأمر بخلاف ما جرى أو أن نرد مرة ثانية مع أنهم يتمنون ذلك لكنهم لا يجدون أن الله قد ظلمهم علموا وأيقنوا أن الله هو الحكم العدل سبحانه وتعالي .

أما قوله :" إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته " ليملي: يعني يمهله.

حتى إذا أخذه لم يفلته: يعني لم يفلت منه الظالم، لا يفلت بظلمه أبداً فلابد أن ينال جزائه عند الله.

أما قول المصنف: بل يحصي عليهم الخردلة: مثقال حبة خردل تضرب بها العرب المثال في الصغر والقلة ويقصدون أن الخردلة هذه حبات اللقاح أو نحو ذلك.

الذرة: الهباء الذي يكون في الغبار الذي يري في ضوء الشمس أو النملة الصغيرة.

وأما الفتيل: فهو الفتلة الصغيرة التي تكون في نواة البلحة في وسط النواة فتلة ترتبط برأس التمرة أو البلحة فهذا الفتيل.

وأما القطمير: فهو الغلافة الرقيقة التي تكون علي نواة فلا يظلم الله عز وجل نفساً شيئاً فيحصي الله الخردلة والذرة والفتيلة والقطمير.

اللطيف

قال المصنف رحمه الله :" اللطيف بعباده معافاة وإعانة وعفواً ورحمة وفضلاً وإحسانا ومن معاني لطفه إدراك أسرار الأمور حيث أحاط بها خبرة تفصيلاً وإجمالاً وسراً وإعلانا.. الخبير بأحوال مخلوقاته وأقوالهم ماذا عملوا؟!.. وكيف عملوا؟! وأين عملوا؟! ومتى عملوا حقيقة وكيفية ومكاناً وزماناً؟!﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ﴾ [لقمان: ١٦].

اللطيف من أسمائه عز وجل في القرآن العظيم وهو بمعني إيصال الخير إلى عباده من حيث لا يشعرون وبطريقة خفيه وكذلك أنه يعلم الخفي من الأمور، فإن معني اللطف الخفة – شيء خفي – فمعنى اللطف فيه معنى الخفاء فالله يوصل إلى عباده الخير والرزق من حيث يشعرون ومن حيث لا يشعرون، لذا قال في الشرح" اللطيف بعباده معافاة وإعانة وعفوا" ورحمة وفضلاً وإحساناً فهو عز وجل يلطف بهم فيعافيهم مما يعلمون ومما لا يعلمون فكم من مريد لضرك عافاك الله عز وجل منه وصرفه عنك وأنت لا تشعر فالإنسان يغيب عن حسه وسمعه وبصره ووعيه بالكلية أثناء نومه لو أولي من طريق لا يدري عنها شيئاً وهو مستيقظ كذل لا يرى أكثر الأشياء ولا يسمع أكثر الأصوات ولا يعرف من أين يأتيه الخطر وقد خلق خلقاً ضعيفاً لو آتاه الشر من أي مكان ما استطاع أن يدفع عن نفسه فمن حيث لا يشعر العبد لطف الله سبحانه وتعالي به وصرف عنه المؤذيات فهذه الوحوش الكاسرة في غاياتها والحشرات السامة القاتلة في مخابئها لو أمرها الله عز وجل أن تخرج علي العباد ما استطاعوا أن يدفعوها فهذه مخلوقات ضعيفة، الضفادع حين أخرجها الله عز وجل علي آل فرعون عذبهم بها وجعلها آية من آياته سبحانه وتعالي فتأمل لو خرجت وجحورها ماذا تصنع فيهم ومن الذي عافاهم ولطف بهم فمنع عنهم هذا الشر وهم لا يدرون عنه شيئاً ولا يفكرون فيه بل لو تأمل الإنسان

في نفسه في لطف الله سبحانه وتعالي به من حيث لا يشعر مرض بسيط لو تفكر الإنسان في مقاومة جسمه له وكيف أن الجنود تأتني من كل مكان لهذا الطارئ الغريب الذي طرأ علي الجسم الميكروب مثلاً ذلك المخلوق الضعيف القوي في نفس الوقت الذي يريد إفساد جزء من الجسم فتأتي وسائل الدفاع من كل مكان وأنت نائم وأنت مستيقظ لا تشعر بها تأتي كرات الدم البيضاء وتأتي أجسام مضادة وتأتي من كل مكان تحيط بهذا المهاجم الغريب وتكون حرب شديدة يقتل فيها من يقتل وينجو فيها من ينجو معركة بالفعل توجد آثارها وتُشهد تحت المجهر آثار هذه الحرب وهذا من لطف الله سبحانه و تعالي بعباده وإيصاله العفو والخير والإعانة والرحمة والفضل والإحسان من حيث لا يشعرون، ولو أن الإنسان شُغل بأن يفكر في هذا وأن يعد له عدته أعني لو كان من تكلفاته أنه إذا طرأ عليه طارئ من مرض أو غيره في جسمه لكان هو الذي يحارب كما يحارب في دنياه مع أعداءه لما استطاع أن يعيش، بل وأنت مستيقظ هذه الأمور تتم من حيث لا تشعر وبلا أوامر منك ولا من غيرك، الله قد فطر الجسم وفطر المخلوقات علي ذلك.

كذلك ويوصل الرزق إلى عباده بلطفه سبحانه ورحمته من حيث لا يشعرون ومن حيث لا يدرون ولو كلفوا أن يأتوا هم بالأرزاق أو يفكروا حتى في طريقة خروجها لكلفوا عسراً ما استقامت به حياتهم.

ومن معاني لطفه سبحانه وتعالي علمه بخفايا الأمور فإن الله عز وجل يعلم حقائق الأشياء الخفية والظاهرة، ومن معاني إدراك أسرار الأمور حيث أحاط بها خبرة تفصيلاً وإجمالاً وسراً وإعلاناً.

الخبير

الله اللطيف الخبير

هذا الاقتران بين اسم اللطيف وبين اسم الخبير يدلنا علي هذا المعنى كما قال لقمان لأنبه وهو يعظه ويعلمه أسماء الله الحسنى ويعلمه آثارها ليتربى علي مراقبة الله عز وجل ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴾ [لقمان: ١٦].

﴿ إِن تَكُ ﴾[لقمان: ١٦].

الفعلة – الخطيئة أو المعطية أو غيرها وجل ﴿فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ ﴾ [لقمان: ١٦].

مغلقة ﴿أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ [لقمان: ١٦].

حيث لا يطلع عليها الناس ﴿ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُ ﴾ [لقمان: ١٦]. يأتي بها يوم القيامة فيحاسبك عليها.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴾ فمهما خفي من الأمور فالله بلطفه علمه وله الخبرة التامة به سبحانه وتعالي، واسم الخبير قريب من اسم العليم إلا أنه العلم المتقن والذي لا يأتيه نقص بأي وجه من الوجوه والمستمر والقديم.. هو إتقان العلم بأنواعه

واستمراره كما ذكرنا، فالله عز وجل بلطفه أحاط علماً بالجلي والخفي ﴿ وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ ﴾[التغابن: ٤] هذا بلا شك يدفع لعبد إلى مراقبة الله سبحانه وتعالي في سره وعلنه وأن يعمل الله عز وجل بمقتضى ذلك من إصلاح السريرة لأنها علانية.. من إصلاح عيبه لأنه عند الله شهادة وأن الله عز وجل خبير بأعماله فليجتهد وليبادر بالتوبة إلى الله سبحانه وتعالي من ذنوبه ومعاصيه.

وكذا شهود معنى لطفه سبحانه يجعل العبد يتضرع إليه ويحسن تفويض الأمور إليه فالله بلطفه يرزقك من حيث تشعر ومن حيث لا تشعر ويصرف عنك السوء من حيث تشعر ومكن حيث لا تشعر فتوكل عليه وفوض الأمر إليه يصرف عنك السوء ويرزقك من حيث لا تحتسب ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾[الطلاق: ٣] وشهود هذا المعني يظهر للعبد عجزه وفقره فلا يتكبر ولا يظن أنه يدبر و حسن التدبير بكل ذلك إلى الله سبحانه وتعالي ويقر علي نفسه بالضعف والعجز وقلة الحيلة إلا أن يوفقه الله ويلطف به سبحانه وتعالي .

الحليم

قال: الحليم فل يعاجل أهل معصية بالعقاب بل يعافيهم ويمهلهم ليتوبوا فيتوب عليهم إنه هو التواب"

اسم الحليم حلم الله سبحانه وتعالي كما فسره رحمه الله:" لا يعاجل بالعقوبة " يحلم سبحانه وتعالي لا يعاقب عباده بأول ذنب يذنبونه بل يمهلهم ويعافيهم عساهم أن يتوبوا يدعون له الصاحبة والولد وهو يرزقهم ويعافيهم، وهو قريب من معنى اسم الصبور أيضاً كما قال النبي ﷺ:" لا أحد أصبر علي أذى سمعه من الله يدعون له الصاحبة والولد وهو يرزقهم ويعافيهم" فهو سبحانه وتعالي حليم عظيم.. حليم لا لعجز عن إنزال العقوبة بهم ولا لمضرة يخشاها ويخاف عاقبة إنزال العقاب بهم بل هو عز وجل لا يخاف عقبي عذاب قوم إن عذبهم مع كمال قدرته سبحانه وتعالي كما قال عز وجل ﴿ فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴾ [الشمس: ١٤] لا يخاف عاقبة عذاب هؤلاء وهو سبحانه قادر عليهم لا يعجزه شيء، قد يحلم الواحد منا لأنه لا يجد بديلاً عن الصبر والحلم والله سبحانه وتعالي يحلم مع كمال قدرته لأنه الحليم سبحانه ويمهل العباد ليرجعوا فمن تاب الله عليه ولم يعاقبه عز وجل لحلمه وعفوه ورحمته سبحانه وتعالي.

العظيم

الذي اتصف بكل معناً يوجب التعظيم وهل تبغي العظمة إلا لرب الأرباب خضعت لعظمته وجبروته جميع العظماء وذل لعزته وكبريائه" اسم العظيم من أسماء الحسنى التي كان النبي ﷺ يذكره كثيراً في الكرب والغم فكان يقول:" لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السماوات السبع ورب الأرض ورب العرش الكريم ".

فاسم العظيم الذي لا تنبغي العظمة إلا له فهو سبحانه وتعالي تفرد بهذا كما قال عز وجل في الحديث القدسي:" الكبرياء ردائي والعظمة إزاري من نازعني فيهما القيته في النار ولا أبالي".

فالعبد يجب أن يكون حظه من هذا الاسم الانكسار والذل ومن تعاظم صغره الله سبحانه وتعالي ومن تكبر صغره الله عز وجل كما فعل عز جل بإبليس حين تكبر وتعاظم فقال ﴿ فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣] فصغره الله عز وجل وأهبطه لما تعالي وتعظم ونسب نفسه إلى العظمة والله عز وجل هو العظيم وقال النبي ﷺ في الركوع :" وأما الركوع فعظموا فيه الرب". وقال عز وجل ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الواقعة: ٧٤] فتسبيح الرب عز وجل ذاكراً اسمه العظيم مما يفرج الكرب مع اسم الحليم ولذلك كان يقرن بينهما النبي ﷺ لأن الانكسار لعظمته تحقيق للعبودية وإظهار الافتقار وهذا يوجب تفريج الكروب والتوسل إليه سبحانه وتعالي بحلمه وأن العباد محتاجون إلى عفوه ومغفرته ويفرون من عقابه وغضبه وسخطه وهذا أيضاً مما يستوجب لهم تفريج الكربات فهو العظيم الحليم سبحانه وتعالي.

أما قول المصنف:" وهل تبغي العظمة إلا لرب الأرباب " فمثل هذا اللفظ رب الأرباب لم يرد في كتاب ولا سنة ولا من قول الصحابة وهو رب العالمين سبحانه وتعالي

وليس هناك أرباب في الحقيقة الله ربهم إلا علي المعنى اللغوي لا ينبغي إطلاق الرب وتترك. أعني بذلك يمكن أن يقال رب الإبل ورب الغنم ورب العبد يقصد به سيده فلابد من الإضافة.. كما يقال في المضاربة رب المال لا يطلق ويقال الرب فإن ذلك لا يجوز فلا يقال هناك أرباب بل هذا إنما هو من اعتقاد أهل الجاهلية وقد يقولون بأن هذه الأرباب لها رب فتعالي الله عن ذلك قد ذم الله عز وجل من اتخذ وسمى من دونه أرباباً وعاملهم معاملة الأرباب فقال عز وجل فيما ذكر عن يوسف عليه السلام ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴾ [يوسف: ٣٩].

فدل ذلك علي أن هذه الأرباب ليس لها حقيقة من الربوبية قال ﴿ إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍ ﴾ [النجم: ٢٣].

وقال سبحانه وتعالي عن اليهود والنصارى ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ﴾[التوبة: ٣١].

وذلك بأنهم اتبعوهم في تبديل الشرع وعبدوا المسيح من دون الله، قال تعالي ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾[التوبة: ٣١].

وهذا من الشرك أن يعتقد أو يسمى أو يظن أن للكون أرباباً ولو عظم الرب فقال هو ربهم، وإن كنا نظن أن الشيخ أراد المعنى اللغوى كما ذكرنا المضاف الذي لابد فيه من الإضافة بمعنى المالكين فالله رب المالكين للأشياء والحقيقة أن لفظ الرب يجب أن يفرد به الرب سبحانه وتعالي إذا أطلق ولا يقال لغيره إلا مقيداً ولذلك الصحيح أن

نقول" وهل تنبغي العظمة إلا لرب العالمين سبحانه وتعالي" وهو كل معاني التعظيم فيما يتعلق بالملك ويتعلق بالعلم ويتعلق بالتصرف والتدبير والقيومية هو سبحانه و تعالي عظيم في كل ذلك هو العظيم الحليم سبحانه وتعالي .

الغفور- الشكور

" الذي يغفر الكثير من الزلل ويقبل اليسير منه صالح العمل فيضاعفه أضعاف كثيرة ويثيب عليه الثواب الجلل وكل هذا لأهل التوحيد، أما الشرك فلا يغفر ولا يقبل معه من العمل من قليل ولا جلل.

كما ذكرنا من قبل الغفار معنى الغفور صيغة مبالغة من الغفر والغفر يتضمن معنى الستر والوقاية، فالله عز وجل يستر علي عباده ذنوبهم فلا يفضحهم بها.. يغفر لأهل التوحيد والإخلاص ما شاء من الذنوب كما قال تعالي عز وجل ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨].

أي لمن وافاه بذلك ومات علي ذلك وإلا فلو تاب العبد من شركه غفر له.. لو تاب قبل أن يغرغر إلى التوحيد من الشرك تاب إلى الله عز وجل ورجع فإن الله يغفر له ذلك وأما من مات علي الشرك فهذا الذي لا يغفره الله، وكما ذكرنا بقية أثر ذلك الذنب إذا غفر له ذنبه ستره عليه فلم يفضحه ووقاه عاقبته وعقوبته، ومعنى الستر والوقاية كلاهما مطلوب للعبد فالعباد إذا فضحوا كان ذلك لهم عذاباً وإذا نالهم ألم العذاب الحقيقي علي ذنوبهم كان أيضاً لهم عذاباً، فالله عز وجل إذا غفر لعبد يستر ذنوبه ولا يعاقبه عليها ومن هذا اللفظ اللغوي في اللغة (لفظ المغفر) يقال لآلة الحرب مغفر لأنه يستر الوجه ويقيه الضربات ولا يقال للحجاب والخمار مثلاً مغفر لأنه وإن كان يستر إلا أنه لا يقي، فالله عز وجل غفور يغفر الكثير من الذلل مهما كان من ذنوب عباده كما قال سبحانه وتعالي فيما روي عنه النبي ﷺ:" يا عبادي إنكم تذنبون

بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغروني أغفر لكم " وقال أيضاً فيما رواه عنه النبي ﷺ كما رواه الترمذي عن أنس وحسنه أنه سبحانه قل:" يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك علي ما كان منك ولا أبالي.. يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي.. يا ابن آدم لو اتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة " وذلك لسعة مغفرته ع ز وجل لو أن العبد بلغت ذنوبه سحاب السماء لو جعلت أجساماً وضع بعضها فوق بعض حتى بلغت السحاب غفر الله عز وجل له إذا استغفره العبد.. لا يتعاظمه ذنب استغفره العبد منه ولو أتي العبد منه ولو أتي العبد حين يلقاه بالتوحيد الكامل وكان قبل ذلك قد آتي من الذنوب بملء الأرض خطايا لآتاه الله بما يماثل ملئها كذلك مغفرة لأتيتك بقرابها مغفرة من رحمته عز وجل.

والاستغفار طلب المغفرة من الغفور.. الغفار سبحانه وتعالي والاستغفار فرج للعبد ورحمة كما ورد في الحديث وإن كان فيه مقال إلا أن معناه صحيح:" من لزم الاستغفار جعل له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب".

قال الله سبحانه وتعالي ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴾ [نوح: ١٠ – ١٢].

فالعبد إذا طلب أياه من هذه فعليه بالاستغفار إذا طلب الجزاء الأخروي والستر بين يدي الله يوم القيامة وعلي رءوس الأشهاد فليستغفر الله عز وجل وتعالي ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴾ .

إذا قل المطر فليستغفروا الله.. ﴿ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴾ [نوح: ١١].

إذا قل المال.. إذا قل الولد فليستغفروا الله عز وجل.. ﴿ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ ﴾

إذا قل النبات وحصل جدب فليستغفروا الله ﴿ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ ﴾

إذا حصل قحط وقلة في مياه الأنهار فيستغفروا الله .. ﴿ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ﴾

فهذا يدل علي الله يحب من يستغفره ويدعوه ويتوسل إليه بأسمائه الدالة علي سعة مغفرته سبحانه وتعالي، وهو سبحانه وتعالي جعل ملائكته يستغفرون للمؤمنين وذلك لأجل أنه يجب الاستغفار ويحب أن تطلب منه المغفرة قال سبحانه وتعالي ﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ [غافر: ٧].

وأخبر النبي ﷺ عن من حب الله عز وجل لمغفرته لذنوب عباده قال:" لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وأتي بعباد يذنبون فيستغفرون فيفغر الله لهم" وهو سبحانه وتعالي مع كونه الغفور فهو شكور.. يشكر القليل من العمل كما أنه يغفر الكثير من الزلل، والشكر يتضمن معنى الزيادة والنماء.

قد تجد من صفات البشر من يكون شاكراً لكن لا يكون شكره في قبول القليل مع مغفرة الخطأ الكثير بل إنما ربما يقبل القليل لمن لا يخطئ أما الله سبحانه وتعالي فيقبل القليل اليسير ممن يكثر من الخطأ و يكثر من الزلل لسعة مغفرته وشكره عز وجل، ذكرنا أن الشكر يتضمن معنى النماء والزيادة، يقال دابة شكور إذا كان يظهر عليها من

السمن أكثر مما تُعلف فتشكر يعني تنمو نمواً زائداً.. وفي الأثر في ذكر يأجوج ومأجوج حتى أن دواب الأرض لتشكر من لحومهم أو غيرهم الله أعلم، الحديث ليس بصحيح لكن كشاهد لغوي تشكر يعني تنمو وتزيد فالشكر يتضمن معنى الزيادة والنماء.

لذلك الله عز وجل شكور.. القليل من العمل ينميه لصاحبه سبحانه وتعالي يقبله ويثيب عليه الثواب العظيم الجلل وفعل العبد لا يساوي هذا الثواب حتى إن اللقمة إذا أنفقها العبد من كسب طيب في سبيل الله ينمها الله عز وجل حتى تكون مثل جبل أحد وإن الله يقبل الصدقة بيمينه ويربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه أو مهره أو فصيله حتى تتضاعف إلى يوم القيامة وهو سبحانه وتعالي يضاعف الأجر لمن شاء يثب الحسنة بعشر أمثالها لأنه شكور سبحانه وتعالي إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة وهذا من معاني شكره سبحانه وتعالي.. يشكر عباده أي يقبل منهم عملهم .

ومعنى الشكر من العبد.. أنه يشكر الله عز وجل أن يظهر اعترافه بالنعمة وهذا لأن الله غذاه ورباه وأعطاه فيظهر ذلك علي العبد بالاعتراف وبالثناء علي من أنعم عليه هذه النعمة، والله سبحان شكره لعباده بمعنى أنه يقبل منهم أعمالهم ويثني عليهم بها سبحانه وتعالي رغم أنها مستحقه عليهم بالعبودية وأنه سبحانه وتعالي لا يوازي شكره أبداً بمعنى أن العباد مهما عملوا فإنهم لا يستطيعون شكر نعمه عز وجل ومع ذلك فالله يقبل اليسير ويرضى من العبد كما قال ﷺ:" إن الله ليرضى من العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها".

وهذا لأنه شكور عز وجل يقبل هذا الشيء اليسير ويثيب عليه أعظم الثواب وكما في الأثر الإسرائيلي حسن المعنى:" إن داود عليه السلام قال يا رب كيف أشكرك وشكرك نعمة تحتاج إلى شكر فقال يا داود الآن شكرتني ".

الله عز وجل يقبل من عبد اعترافه بعدم إحصائه الثناء عليه ويقبل ذلك وينميه لعبده كما كان النبي ﷺ يقول في معنى الأثر الذي ذكرناه وهو أولى بالاحتجاج :" اللهم لك الحمد كما تقول وخيراً مما نقول لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت علي نفسك".

اللهم لك الحمد كما تقول يعني كما أثني علي نفسه، كما مدح نفسه، وخيراً مما نقول فنحن لا نحصي حمداً وثناء علي الله عز وجل لأننا لا نعلم كيفية صفاته وأسمائه ولا نعلم حصرها ولا يحيط علماً به إلا هو سبحانه وتعالي.. فنحن لا نحصي ثناء عليه فيما علمنا من أسمائه وصفاته فكيف بما لا نعلم؟!!

والله عز وجل يعلم نبيه ﷺ من محامده وحسن الثناء عليه في المقام المحمود.. مقام الشفاعة الكبرى ما لم يفتحه على أحد قبله وهذا يدلك علي أن الله يحب الشكر والحمد لأنه شكور سبحانه وهو يحب الشاكرين ذلك نصيب العباد مما يليق بهم من معاني هذا الاسم أن يشكوا نعم الله عز وجل وأن يثنوا عليه سبحانه وتعالي وهو يقبل منهم ذلك وينميه لهم عز وجل كما أن اسم الغفور ينبغي إذا أراد العبد أن يغفر الله له فليغفر للناس فإن العبد عليه أن يتصف بما يليق بالعباد من معاني الاسم لأن الله عز وجل يحب من يرحم ويغفر ومن يغفر.. يغفر الله له كما قال النبي ﷺ:" الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء ".

كما أن اسم الحليم كذلك .

أما اسم العظيم فلا يجوز للعبد أن يتعاظم بل يتواضع لله عز وجل هناك من أسماء الله عز وجل ما لا يجوز للعبد أن يتصف بمعانيها وإنما يخيب من اتصف أو وصف نفسه بشيء منها، فاسم العظيم ينكسر العبد ويتواضع لله عز وجل، أما اسم الغفور والشكور فالعبد يغفر لعباد الله عسى أن يغفر الله له ويشكر ربه عز وجل غفر له وكما في الحديث في القبول للقليل من العمل:" إن الله عز وجل غفر لرجل نحا شوكاً عن طريق المسلمين فشكر الله فغفر الله فأدخله الجنة".

" وبينما بغى من بغايا بني إسرائيل مرت بكلب يأكل الثرى من العطش فنزلت البئر فملئت موقها فسقته فشكر الله لها فغر لها" فهو سبحانه وتعالي يقبل اليسير من العمل ويثيب عليه الثواب الجلل لذلك لا يحتقرن العبد أي معروف من نفسه ولا من غيره ولا يدري ماذا يقبل الله عز وجل من عباده ويثيبهم علي الأعمال اليسيرة أعظم الثواب.

لذلك قال النبي ﷺ :" لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق" وقال ﷺ " اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة" فالعبد الذي يؤمن بأن الله شكور لا يحتقر شيئاً من المعروف من نفسه فيتركه يحتقر شيئاً من المعروف من الناس فيزدريهم فربما قبل الله هذا الشيء اليسير وضعفه لصاحبه حتى يسبق أضعافاً مضاعفة من غيره كما في الحديث الحسن " سبق درهم مائة ألف درهم " رجل كان له درهما فتصدق بأحدهما ورجل غني له مال كثيراً أخذ من عرضه مائة ألف درهم فتصدق بها فسبق درهم مائة ألف درهم قال عز وجل في ذم المنافقين ﴿ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ ﴾[التوبة: ٧٩].

ولذلك قال النبي ﷺ :" أفضل جهد المقل" ذلك العبد لا يحتقر معروف صنعه للناس يعلم أن الله شكور قد يشكر هذا اليسير الحقير في النظر فيضاعفه له ويثيبه عليه أعظم الثواب، فليس لنا أن ننزل العباد منازل أو نجعل هذا فوق هذا وهذا يقبل وهذا يرد بل علينا أن نتواضع لله ونرجو مضاعفة الثواب منه عز وجل ولا نتدخل فيما ليس لنا في شئون العباد وثوابهم ومنازلهم، الله شكور يشكر القليل من العمل ويغفر الكثير ويغفر الكثير من الزلل.

قول المصنف:" أما الشرك فلا يغفره ولا يقبل معه من العمل من قليل ولا كثير "

هذا لمن مات علي ذلك لأن الشرك محبط للأعمال ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٥ – ٦٦].

ومن مات علي الشرك هو المقصود بذلك لأن الله عز وجل قال ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ [البقرة: ٢١٧].

أما من تاب إلى الله سبحانه وتعالي فقد ذكرنا أن الله يغفر الشرك لمن تاب ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣].

هذا هو وجه الجمع بين ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ ﴾[النساء: ٤٨] **وبين** ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾[الزمر: ٥٣].

فيغفر الذنوب جميعاً لمن تاب من الشرك وما دونه، وأما أن الله لا يغفر أن يشرك به لمن مات مصراً علي الشرك لم يغفر له ولم يقبل منه أي عمل ومن مات مصراً علي ما دون الشرك فهو في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له .

العلي

وكذا الأعلى والمتعالي والظاهر

" الذي تثبت له كل معاني العلو.. علو الشأن وعلو القهر وعلو الذات الذي استوى علي عرشه علي خلقه بائناً من جميع المخلوقات كما أخبر بذلك عن نفسه في كتابه وأخبر عنه رسوله في أصح الروايات وأجمع علي ذلك أهل الحل والعقد بلا نزاع بينهم ولا نكير".

فالعلي والأعلى والمتعال والظاهر كلها معان حقه هذه المعاني الثلاثة التي ذكرها علو الشأن وهو المتعالي من النقائص، التنزه عن النقائص فتعالي في كمال وحدانيته من الشريك والنظير والكفو والمثيل والند والصاحبة والولد وأن يكون معه إله أو رب غيره تعالي في كمال وحدانيته عن ذلك، تعالي في كمال علمه عن أن يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض أو أن يضل فيعلم شيئاً علي خلاف ما هو عليه، أو ينسى هذه آفات علم الإنسان منزه ربنا عز وجل عنها تعالي عن ذلك ﴿ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴾ [طه: ٥٢]﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾[مريم: ٦٤].

ذلك أن صفات البشر مهما كملت يعتريها النقص، فلله تعالي علو الشأن عن هذه النقائص وعن غيرها مما لا نعلمه، فالله منزه عن كل نقص تعالي في كمال قدرته عن العجز والإعياء والتعب ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾[ق: ٣٨] ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾[فاطر: ٤٤]

تعالي سبحانه وتعالي عن أن يعي أي يتعب يصيبه إعياء ومشقة في خلق شيء من خلقه قال تعالي﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأحقاف: ٣٣].

فهو لم يعي بخلق السماوات والأرض فلا يعيه عز وجل إحياء الموتي .

تعالي في كمال عدله عن أن يظلم مثقال ذرة.. أن يظلم أحداً من خلقه مثقال ذرة فما فوقها قال تعالي﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴾[ف صلت: ٤٦] تعالي في كمال غناه عن أن يحتاج إلي أحد أو يفتقر إلى أحد أو يرزق أو يطعم أو يطعم قال تعالي ﴿مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴾[الذاريات: ٥٧ – ٥٨].

تعالي في كمال حياته وقيوميته عن الموت والسنة والنوم قال تعالي ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ ﴾[البقرة: ٢٥٥].

﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦ ﴾[الفرقان: ٥٨].

فهو سبحانه وتعالي يتعالي عن كل نقص، تعالي في كمال ألوهيته واستحقاقه وحده الإلهية والعبادة عن أن يكون معه إله ﴿ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾[النحل: ٣] تعالي في كمال أسمائه وصفاته عما يصفه به المخالفون للرسل من التشبيه أو التمثيل أو التكيف أو التعطيل أو التحريف ﴿ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنعام: ١٠٠].

تعالي الله عز وجل عن كل نقص وهذا المعنى يكرره المسلمون كثيراً حين يقولون سبحانه وتعالي هذا علو الشأن فهذا تعالي عن النقائص.

وأما علو القهر: فهو الغلبة فالله قاهر فوق عباده هو سبحانه وتعالي فوقهم أمره فيهم نافذ وتدبير لهم واقع وحاصل لا يخرجون قيد أنملة عن أمره سبحانه وتعالي وحكمه فيهم فهذا علو القهر.. الغلبة قال تعالي ﴿ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ

﴿ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: ١٨] **فهذا معنى الغلبة** ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٢١].

وأما علو الذات: فاستوائه علي عرشه وعلوه سبحانه وتعالي فوق خلقه حتى قبل خلق العرش فهو العلي الأعلى بكل معنى واعتبار لأن الله استوى علي عرشه بعد خلق السماوات والأرض كما وصف قال تعالي ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[الأعراف: ٥٤].

علوه عز وجل فوق خلقه سابق قبل ذلك فلا يكون الرب عز وجل إلا أعلي ولا يكون شيء من المخلوقين إلا أسفل، ذلك من مقتضيات كماله عز وجل، والله سبحانه وتعالي فوق عرشه الذي هو سقف لجميع المخلوقات.

وهو عز وجل الظاهر الذي ليس فوقه شيء، وهو في السماء أي في العلو فالسماء مصدر في قوله تعالي ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴾ [الملك: ١٦].

فمن في السماء أي من في العلو، سما يسمو سمواً وسماء أي علواً فالسماء العلو فالله في العلو أي له صفة العلو.

أو (في) بمعنى (علي) لكن الأول أظهر، فتكون السماء المخلوقة هذه الله فوقها كما تقول أسير في الأرض أي عليها وهذا المعنى صحيح لكن الأول أظهر لأن العباد إذا قالوا أن الله في السماء لم يستحضروا إلا معنى العلو المطلق دون تفكير في السماوات أو في غيرها وليس معنى أن الله في السماء ما قد يظنه بعض الجهلة من أن السماء قد تظله أو تقله أو أنها تحويه تعالي الله عن ذلك، لذلك أولوا هذا الكلام الثابت في الكتاب

والسنة هذا باطل لا يجوز.. جهلوا معاني الكلام ثم حرفوا الكلم عن مواضعه فالجهل والتأويل سبب هذا الانحراف لكن نقول أن الله عز وجل في السماء أي في العلو ولا يحيط به أحد من خلقه بل هو بكل شيء محيط سبحانه وتعالي السماوات السبع والأرضيين السبع في كفه كخردله في كف أحدكم كما قال تعالي ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

فالله وسع كرسيه السماوات والأرض فأني تحيط به سماوات أو تحيط به أرض الله عز وجل أكبر من ذلك ولذا اقترن اسم العـ لـي باسم العظيم وباس الكبير كثيراً في القرآن قال تعالي﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾[البقرة: ٢٥٥].

وقال ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [سبأ: ٢٣].

الكبير

الكبير الذي كل شيء دونه أصغر الله أكبر هذا معنى التعظيم الواجب الذي افترضه سبحانه وتعالي علي العباد أن يقولوه في صلواتهم مرات ومرات وفي المواضع المختلفة هذه الكلمة الله أكبر من القرآن ومن أعظم ما يتقرب به إلى الله عز وجل بعد القرآن .

هذه الكلمة الله أكبر من القرآن ومن أعظم ما يتقرب به إلى الله عز وجل بعد القرآن.

قال المصنف: " الذي كل شيء دونه والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه كما أخبر بذلك عن نفسه نصاً بيناً محكماً".

الكبير يتضمن معنى الذي له الكبرياء ولم يذكره هنا اكتفاء بما مضى من المتكبر وإن كان اسم الكبير يتضمن ذلك فالكبير الذي له الكبرياء والعظمة والمجد والكبير الذي كل شيء دونه أصغر منه.

فالأرض جميعاً قبضته يوم القيامة أي في قبضته عز وجل يقبض الله السماوات والأرض بيمنه فالله عز وجل يجعل سماواته وأرضه في يمنيه كما وصف النبي ﷺ :" إن السموات والأرض في قبضة الله عز وجل كخردلة في كف أحدكم "كما أخبر بذلك عن نفسه يقصد قول الله عز وجل﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [الزمر: ٦٧].

الحفيظ

" علي كل شيء فلا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، الذي وسع كرسيه السموات والأرض ولا يئود حفظهما ، حفظ أولياءه في الدنيا والآخرة ونجاهم من كل أمر خطير".

الله عز وجل علي كل شيء حفيظ.. اسم الحفيظ له معنيان..

المعني الأول: من الحفظ الذي هو عدم النسيان، فالله سبحانه وتعالي لا ينسى حفيظ علي كل شيء فلا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء هذا هو المعني الأول.

والمعني الثاني: معنى الذي يحفظ من السوء أو من الزوال يعني يمنع غيره أو يمنع الشيء الذي يراد حفظه من الزوال وهذا نوعان..

نوع عام: في السماوات والأرض ومن فيهن فالله عز وجل حفظ مخلوقاته كلها فهي في حفظ الله سبحانه وتعالي هو الذي أبقاها وهو سبحانه وتعالي الذي وهبها الحياة ودفع عنها السوء حتى استمرت حياتها بل الكائنات الأخرى غير الحية حتى الجمادات أوجدها الله عز وجل علي صفاتها وحفظها علي ما أراد سبحانه وتعالي فهو الذي حفظ السماوات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد بعده كما قال عز وجل ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَا ﴾ [فاطر: ٤١] لئلا تزول فهذه المخلوقات محفوظة السماوات حفظت كما قال ربنا عز وجل ﴿ وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا مَّحۡفُوظٗا ﴾[الأنبياء: ٣٢] فلو تركها الله عز وجل لانمحت وأصابها الخلل وكذا كل الكائنات لولا أن الله حفظها لما بقيت ولما استمرت ولأختل نظامها ولاضطراب أمرها بل لانعدمت في لحظتها وهذا المعنى العام أشار إليه المصنف بقوله﴿ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] يعنى لا يثقله ولا يشق عليه حفظ السماوات والأرض، قد وسع كرسيه والصحيح في تفسير الكرسي أنه مخلوق من مخلوقات الله عز وجل كما ثبت عن ابن عباس أنه قال:" الكرسي موضع القدمي، الكرسي وسع السموات والأرض" كما في الحديث الآخر ما السموات السبع والأرضين السبع في الكرسي إلا كحلقة في فلاة فالسماوات والأرض إلي جانب الكرسي كحلقة في صحراء واسعة ولا يثقل علي الله حفظ هذه الكائنات حفظ السماوات والأرض ومن فيها وما فيها والتي حفظها عز وجل علي تلك الحال.

أما المعني الثاني للحفظ: حفظ خاص لأوليائه المؤمنين يحفظهم من كل أمر خطير ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[يوسف: ٦٤].

قالها يعقوب عليه السلام عندما ذكر له أنه مطلوب أن يبعث بنيامين أمر فتذكر أمر يوسف وأنهم كيف ضيعوه ولم يحفظوه فقال ﴿ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ﴾[يوسف: ٦٤] ثم تذكر أن حفظ الله عز وجل أولي من كل من حفظ فقال﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[يوسف: ٦٤].

فالله عز وجل يحفظ عباده المؤمنين وينجيهم سبحانه وتعالي فحفظه لهم أعظم من حفظهم لأنفسهم وأعظم من حفظهم لأولادهم فانظر في هذه القصة العجيبة قصة يوسف.

يعقوب حاول حفظ يوسف وكان لا يدفعه إلى إخوانه ولو كان استمر الأمر علي ذلك لكان حفظه ذلك فيه من المضار ما فيه لكن الله سبحانه وتعالي قدر أن يفوت حفظ يعقوب لأبنه يوسف ولا يستكمله يعقوب لعجزه عن ذلك ببيع إخوته له لكن حفظه الله حفظاً أعظم من حفظ يعقوب لولده بل رفعه الله عز وجل ودفع عنه كل سوء وكل أمر خطير بتدبيره عز وجل وحكمته وعدله وفضله سبحانه وتعالي حتى أوصله بهذا الحفظ إلى المقامات العالية في الدين والدنيا والآخرة ولذلك علي العبد أن يلجأ إلى الله عز وجل في حفظ ما يريد حفظه فالله عز وجل هو خير حافظاً وهو أرحم الراحمين فإذا كنت تريد حفظ نفسك من السوء فالجأ إلى الله عز وجل واعمل بطاعته فإن ذلك يجعلك في حفظ الله سبحانه وتعالي وإذا أردت حفظ أهلك أو ذريتك واستودعهم الله كما قال النبي ﷺ :" إن الله إذا استودع شيء حفظه" لذلك كان يقول ﷺ إذا سافر أحد أصحابه :" استودع الله دينك وأمانتك وخواتم عملك" وكان يقول لأهله إذا سافر:" استودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه" فإن الله عز وجل إذا استودع شيء أي جعل وديعة عند حفظه سبحانه وتعالي وكما قال النبي ﷺ فيمن أراد أن يحفظه الله قال لابن عباس يا غلام إني أعلمك كلمات :" احفظ الله يحفظك.. احفظ الله تجده تجاهك".

احفظ الله بطاعته يحفظ جوارحك عن معصيته بحفظ تقواه بحفظ أوامره واجتناب نواهيه، يُحفظ من كل سوء وأهم ما يسعى إليه المؤمن في الحفظ أن يحفظ دينه وأمانته وأن يموت علي طاعة الله عز وجل وأما أمر الحياة والمال وغير ذلك فهذا يذهب ويجيء وهذا ليس الحفظ النافع في الحقيقة وإنما الحفظ أن يُحفظ للإنسان دينه فتحفظ آخرته فيكون محفوظاً عند الله سبحانه وتعالي وأما المعنى الأول فشهود أن الله لا ينسى شيئاً سبحانه وتعالي فالذنب لا ينسى كما أن البر لا يبلى.

والله سبحانه وتعالي ذم الذين نسوا ذنوبهم فقال عز وجل ﴿ أَحْصَاهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ﴾ [المجادلة: ٦].

لذلك يتذكر ذنوبه ويظل مستغفراً منها ويظل نادماً عليها لأن الله علي كل شيء حفيظ سبحانه وتعالي وفي الأثر الاسرائيلي أن الله أوحى إلى موسى:" يا موسى قل لبني إسرائيل من أخبرهم أني قد غفرت لهم ذنوبهم حتى يتركوا الاستغفار منها".

وذكر أيضاً في الإسرائيليات أن داود حفر خطيئته أو كتب خطيئته علي كفه لكي يتذكرها فيستغفر الله عز وجل منها والصالحون يتذكرون ذنوبهم ويستغفرون منها سنين طوال يقول بعضهم أنه ظل يستغفر الله من ذنب أربعين سنة نحو هذا لأنهم علموا أن الله علي كل شيء حفيظ بخلاف من ينسى ذنوبه لعدم استحضاره لهذا المعنى.

المغيث

" لجميع مخلوقاته فما استغاثه ملهوف إلا نجاه، المغيث الذي يغيث من لجأ إليه"، استغاث طلب الغوث والمغيث الذي يأتي بالغوث وهو النجاة من الكرب والهم والضيق، والله سبحانه وتعالي ذكر إجابته للمضطرين ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾ [النمل: ٦٢]

وقال سبحانه وتعالي ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٦٧].

فالله سبحانه وتعالي ينجي عباده حتى المشركين منهم إذا استغاثوا به فالاستغاثة هي طلب الدعاء عند الكرب، والعبد إذا أخلص لله في تلك الحال واستغاث به أجابه الله عز وجل لحصول الإخلاص ولو كان مشركاً في غير هذا الوقت، ولكونه يعزم علي أن يدعو الله وحده بعد ذلك، لكن المشركين يخونون العهد وينقضون الميثاق فيعودون إلى الشرك بعد أن ينجيهم سبحانه وتعالي، وهذه الإغاثة تكون للمؤمن والكافر إذا لجأ واستغاث بالله عز وجل، فكيف بالمؤمن الموحد إذا استغاث ربه واشتد دعاؤه عند كربه؟!!

قال الله عز وجل ﴿ إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ﴾[الأنفال: ٩]

وهذا في دعاء النبي ﷺ ليلة بدر والكل نائم وهو قائم يصلي تحت شجرة يدعو الله سبحانه وتعالي ويتضرع إليه، وفي يوم بدر رفع النبي ﷺ يديه حتى رؤى بياض إبطيه يدعو الله عز وجل ويستغيث به ويقول:" اللهم إن شئت لم تعبد في الأرض بعد اليوم، اللهم إن تهلك هذه العصابة لم تعبد في الأرض بعد اليوم " حتى يشفق عليه أبو بكر من شدة المناشدة والاستغاثة فيقول يا رسول الله بعض مناشدتك ربك فإن ربك منجزٍ لك ما وعدك، ويضع رداؤه علي عاتقه وقد سقط منه ﷺ من شدة الاستغاثة ثم تأتيه البشرى بإجابة الله عز وجل لهذه الاستغاثة.

فالله عز وجل هو الذي يغيث من لجأ إليه ودعاه عند الضر، فالاستغاثة دعاء مخصوص.. دعاء عند الشدة وعند اللهفة، حيث يشعر الإنسان بالخطر العظيم فيستغيث ويسأل عز وجل النجاة والفرج من عنده عز وجل.

الحسيب – الوكيل

الحسيب" الذي ما التجأ إليه مخلص إلا كفاه، ولا اعتصم به مؤمن إلا حفظه ووقاه، ومن يتوكل علي الله فهو حسبه فنعم المولي ونعم النصير.

الحسيب: له معنيان اقتصر الشيخ حافظ هنا علي واحد منهما وهو معنى الكافي..

الذي يكفي من توكل عليه ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾[النساء: ٦] ﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾[آل عمران: ١٧٣].

لذا ذكره مقترناً باسم الوكيل وهو هكذا وفي رواية الترمذي المدرجة، والوكيل الذي نعم من يتوكل عليه وتفوض الأمور إليه فإنه إذا فوض العبد الأمر إليه محسناً به الظن فإن الله يقوم بشأنه ويكفيه أمره ويحفظه سبحانه وتعالي كما قال عز وجل﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [الطلاق: ٣] وقال عز وجل ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾[الطلاق: ٣] وقال عز وجل ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ

ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾[آل عمران: ١٧٣ – ١٧٥].

وقال عز وجل ﴿ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴾[الزمر: ٣٦].

فالعبد إذا استحضر أن الله مالك كل ذرة في هذا الوجود وأن الأوامر منه ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[يس: ٨٢]

وعلم رحمة ربه وفضله وكرمه وعطاؤه وأنه أمرنا أن نتوكل عليه واجب منا ذلك وأحسن الظن بربه وهو يعلم أن ملك الله عز وجل لا يخرج منه شيء فماذا يقلقه بعد ذلك؟!!

إن الإنسان لو وكل أمراً له دنيوياً إلى آخر يملكه وهو متصف بالكرم ولا يخلف الوعد ثم وعده بإنفاذ ذلك، هل ترى أيقلق بعد هذا كله؟!! فالله عز وجل أولي بكل جميل، فالكل في ملكه وملكه وهو ذو الجلال والإكرام وهو الكريم المنان والا يخلف الميعاد، فما قلق العبد علي أمر فوضه إلى الله إلا لنقص التفويض ولنقص توكله علي الله عز وجل، ولو أن الإنسان أحسن تفويض الأمور إلى الله لرضي بالله عز وجل في كل ما يقدر له، لرضي بالله ربه وكفى به سبحانه مدبراً معيناً لعبده المؤمن الذي توكل عليه، فهو الذي قال لك فوض الأمور إلى وتوكل علي وأنا أكفيك قال عز وجل ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾[آل عمران: ١٢٢].

وحذرهم من أن يتوكلوا علي غيره أو يستعينوا بغيره، فكيف بعد ذلك يسيء العبد الظن بالله ويعتقد أن ما قدره الله فيه السوء أو كان فيه نقص أو كان غيره خيراً منه

فيتمنى ذلك الغير يقول يا ليت كذا كان كذا أو لو أن كذا كان كذا متمنياً تغيير ما جرى.. ليس كذلك، ولا يحدث هذا إلا من جراء نقص الإيمان بأن الله هو الحسيب الكافي وأنه نعم الوكيل سبحانه وتعالي.. نعم من يتوكل عليه ومن تفوض الأمور إليه، قال مؤمن آل فرعون بعد أن جهر بدعوة الحق بعد أن كتم إيمانه سنين.. بعد أن أعلن لهم أنهم يدعون إلى الشرك وأن مآلهم إلى النار وأنه يدعوهم إلى الله العزيز الغفار، قال ﷺ ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا ۖ وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴾[غافر: ٤٣ – ٤٥].

سبحان الله كيف مكروا به بالفعل فأنجاه الله ووقاه سيئات ما مكروا؟!! لأنه أحسن تفويض الأ مر إلى الله سبحانه وتعالي، وهذا إبراهيم وهو أعلى قدراً من الذي سبقه حين فوض أمره إلى الله وهو في الطريق إلى النار.. حين أُلقي في النار فقال حسبنا الله ونعم الوكيل، ولم يتعلق قلبه بملك ولا بريح ولا بمطر ولا بشيء.. لم يتعلق قلبه إلا بالله عز وجل فكانت المكافأة أن لم تكن نجاته بسبب من الأسباب المخلوقة بل بكلام الله عز وجل ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [الأنبياء: ٦٨ – ٦٩].

فلم تكن النجاة بسبب بل أمر الله بكلامه النار مباشرةً أن تكون برداً وسلاماً علي إبراهيم.

وف الأثر أن جبريل جاء إلى إبراهيم عليه السلام وهو في الطريق إلى النار فقال: ألك حاجة؟! قال: أما إليك فلا وأما إلى الله فنعم، وهو بمعنى الحديث الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنه :" حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم حين أُلقي في النار وقالها النبي مُحَمَّد ﷺ حين ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾[آل عمران: ١٧٣].

وأعل من ذلك ما كان من النبي ﷺ وهو في الغار إذ قال له أبو بكر: " يا رسول الله لو نظر أحدهم إلى موضع قدمه لأبصرنا، فيقول: يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما، لا تحزن إن الله معنا ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٤٠].

هكذا التوكل علي الله عز وجل من أجل العبادات ومبني علي معرفة أن الله هو الحسيب الكافي وأنه نعم الوكيل، ففوض أمرك إلى الله وتوكل عليه فإن من أعظم أسباب الخير في الدنيا والآخرة وخصوصاً عندما تنعدم الأسباب الأخرى ولا يكون بالقلب تعلق بها، وعموماً كلما انعدم تعلق القلب بالأسباب قوى التوكل، ولا يؤثر فيه أخذ الجوارح بالأسباب إن وجدت، وهذا هو سنة أنبياء الله ورسله، ينعدم تعلق القلب بالأسباب ولكن يأخذ بما وجد منها من الحلال المشروع حين يوجد ويتيسر ذلك ولا يمتنع من الأخذ بالأسباب زعماً أن ذلك مقتضى التوكل فإن التوكل من أعمال القلب.

المعنى الثاني: بمعنى الحاسب.

كما ذكر عز وجل ﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَـٰسِبِينَ ﴾ [الأنعام: ٦٢].

وقال ﴿ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾[النساء: ٦].

وهذا مقام الحساب، نعني أن الله يحاسبكم علي ما فعلتم في أموال اليتامى فالله يحاسب عباده علي ما قدموا وما عملوا وكفي به حسيباً أي حاسباً لا يغيب عنه شيء ويحاسبهم سبحانه وتعالي علي أعمالهم الحسنة بعشر أمثالها ويضاعفها والسيئة بواحدة، وهو أسرع الحاسبين سبحانه وتعالي، وإذا مد في وقوف العباد للحساب فتعذيباً أو ابتلاء وليس لكونه يتأخر في الحساب ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

فهو عز وجل أسرع الحاسبين ,كفي به حاسبا وكفي به حسيبا وإنما يوقفهم المدة التي يشاء سبحانه وتعالي ليعلموا عظمة هذا اليوم وشدة الحساب، نسأل الله عز وجل أن يدخلنا الجنة بغير حساب ولا عذاب.

الجليل

" الذي جل عن كل نقص واتصف بكل كمال وجلال".

اسم الله الجليل من الأسماء الدالة علي الكمال المطلق وصفات الجلال هي صفات الكمال وهي العلم التام، والغنى التام، والقدرة التامة، والملك التام، والوحدانية، والعظمة، والكبرياء، والمجد، والحكمة، وسائر صفات الكمال.

وجل: أي تعالي عن كل نقص، نقول الله عز وجل.. سبحانه وتعالي مثل معنى علو الشأن الذي مر ذكره، فهو جليل عز وجل.. جل عن كل نقص وعيب.. جل في كمال وحدانيته عن الشريك والنظير.. جل سبحانه وتعالي في كمال قدرته عن الإعياء والتعب والعجز.. جل في كمال حياته عن السنة والنوم والموت.. جل في حكمته عن العبث واللهو.. جل سبحانه وتعالي في غناه عن خلقه أو عن أن يطعم أ و يطعم أو يسألهم رزقاً،

ما يزيد منهم من رزق وما يريد أن يُطعموه سبحانه وتعالي وهكذا جل في كل صفات الكمال عن كل نقص .ً

الجميل

الجميل الذي له مطلق الجمال في الذات والصفات والأسماء والأفعال، كما قال النبي ﷺ :" إن الله جميل يحب الجمال".

وجمال الرب سبحانه وتعالي كما يدل عليه هذا الحديث، كذلك يدل عليه وجود الجمال في هذا الوجود فإن الجمال الذي حلقه الله في هذا الوجود لهو أوضح دليل عقلي علي اتصاف الرب عز وجل بصفة الجمال فإنه سبحانه وتعالي ما خلق الجمال إلا وهو جميل، وما جعل هذا الجمال في الوجود إلا لاتصافه بكل معنى جميل، والنظر إلى جمال وجه الله تعالي عز وجل يوم القيامة أعظم نعيم أهل الجنة وما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى وجهه الكريم.

مطلق الجمال أي الجمال الطلق الذي لا نقص فيه ولا قيد، فقد يقيد جمال غيره من المخلوقات بمدة من الزمن أو بصفة دون غيرها فيقال مثلاً هذه امرأة جميلة المنظر لكنها سيئة الخلق أو هذا الرجل كان جميلاً عندما كان شاباً وصار قبيحاً لما صار شيخاً، فالله عز وجل له الجمال المطلق الكامل في الذات والصفات والأسماء والأفعال وهو يحب الجمال بمعنى أنه يحب أن يرى أثر نعمته علي عبده وإذا خلق عبداً دميماً لم يكن ذلك دليلاً علي كراهيته له ، فإن العبرة بالمال ولذا يخلقه في الجنة جميلاً وأهل الجنة وهم أجمل ما فيها أهلهم يقرون لهم بذلك وأنهم في الجنة لا يوجد من هو أجمل منهم ولذلك ينشئون نشأة أخرى يوم القيامة لذلك نقول لا عبرة بجمال يعقبه قبح أو لا عبرة بجمال في الظاهر معه قبح في الباطن ولا يكون ذلك دليلاً علي حب الله تعالي فكم من امرأة جميلة وهى فاجرة فاسدة الخلق وكافرة لا يحبها الله عز وجل ومعنى إن الله جميل يحب

الجمال كما بينه النبي ﷺ عندما سئل ﷺ :" إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً فقال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس ".

وأسماؤه عز وجل كلها جميلة تدل علي معاني الجمال والجلال لذل لا يجوز أن يوصف الرب بالأسماء التي لا تدل علي جمال وجلال وكمال.

ولا يغرن من يقرأ في بعض كتب شروح الحديث بقول المتكلمين من اسم الجميل لم يرد إلا في أخبار الآحاد، فإن هذه من البدع التي لا يعرج عليها نعني عدم استعمال الأحاديث الصحيحة الثابتة في العقائد، فهم يرون أن أمور العقائد ومنها إثبات أسماء الله الحسنى ودعاؤه بها لا تثبت بأخبار الآحاد وهذا ليس من طريقة أهل السنة الذي يصفون الرب بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ لأن الرسول ﷺ لا يسمي ربه من عند نفسه وإنما الله سمى نفسه بذلك وأوحاه لنبيه ﷺ، فالرسول ﷺ يصف الرب بم وصف به نفسه فإذا ثبت أنه قال:" إن الله جميل " فلا يقال هذا خبر آحاد.. هذا من كلام أهل البدع، فخبر الآحاد المتلقي بالقبول يفيد العلم النظري الذي يقتضي وجوب التصديق، وإن كان يفرق بين العلم النظري والعلم الضروري، لأن العلم الضروري منكره كافر، وأما العلم النظري أي الناشئ عن النظر في الحديث بعد معرفته يفيد وجوب العلم والعمل لكن لا يكفر المخالف.

الكريم

الذي لو أن أول الخلق وأخرهم وإنسهم وجنهم قاموا في صعيد واحد فسألوه فأعطي كل واحد منهم مسألته ما نقص ذلك مما عنده إلا كما ينقص المخيط إذا ادخل البحر كما روي عنه نبيه المصطفي المفضال ومن كرمه أن يقابل الإساءة بالإحسان والذنب بالغفران ويقبل التوبة ويعفو عن التقصير" الله عز وجل أكرم الأكرمين فهو سبحانه وتعالي الكريم المنان، كما ورد في كتابه الكريم، وما ذكر من حديث النبي ﷺ في عطاء الرب سبحانه وتعالي لخلقه أنه لو أعطى أول خلقه وآخرهم وإنسهم وجنهم كلما

سألوه ما نقص ذلك مما عنده وذلك لكمال غناه، وكما قال النبي ﷺ:" يمين الله ملأي سحاء الليل والنهار ألم تروا ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغض ما في يمينه".

والمؤمن إذا طمع في كرم الله سبحانه وتعالي وعطائه رجاه رغم تقصيره ورغم ذنوبه ويكون لسان حاله إذا سأل عز وجل أشد من قول أخوة يوسف عليه السلام له وهم يظنونه عزيز مصر، لكن لما رغبوا في كرمه ﴿قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ﴾[يوسف: ٨٨].

فلأجل وثوقهم بكرمه قالوا جئنا ببضاعة بائرة لا ينبغي أن تقبل ومع ذلك نريد كيلاً وافياً وزيادة. فأولى بالعبد المؤمن أن يؤمل في كرم الله أكثر مما أمل أخوة يوسف عليه السلام في عزيز مصر وهو يوسف نفسه، وكان بالفعل كريماً معهم والله سبحانه وتعالي أكرم سبحانه وتعالي، فيوسف عليه السلام كما وصفه النبي ﷺ الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم والله عز وجل أولى بكل جميل وبكل صفة حسنة وأولى بكل كرم، فإذا نظر العبد إلى ذنوبه ورأى أعماله أعمال مزجاة بائرة لا ينبغي أن تُقبل ولا تصلح أن يتقرب بها إلى الله، لكنه يرجو فضل الله عز وجل وعطاؤه وجوده وكرمه يعلم أن الله كريم، فيرجو قبول ذلك العمل علي ما فيه من نقص وعيب وهذا أمر تلحظه في كل العبادات تقريباً أنه ينبغي أن تختم بالاعتراف بالتقصير والاستغفار عقبها، كما كان النبي ﷺ إذا انصرف من صلاته قال:" استغفر الله استغفر الله استغفر الله" وكان يقول في خاتمتها بدعائه المأثور:" اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي من أمري وما أنت أعلم به مني الله اغفر لي هزلي وجدي وعمدي وخطأي وكل ذلك عند" كان يقول في آخرها:" اللهم اغفر لي ما قدمت

وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت".

وقال عز وجل ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[البقرة: ١٩٨ – ١٩٩].

فبعد أجل المواقف التي يقفها العباد علي عرفة والتي يباهي الله بها ملائكته يأمر عباده الحجاج بالاستغفار، وهكذا في كل العبادات، قال ﴿ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾ [آل عمران: ١٧] فهم باتوا تتجافي جنوبهم المضاجع وختموا ذلك بالاستغفار. فالعبد المؤمن يري دائماً عبادته ناقصة، لكمن طمعه في كرم الله وفي عطاؤه وجوده، وأنه لا يبني الأمر علي عمله ولا يعتمد علي عمله كما قال ﷺ:" واعلموا أنه لن يدخل أحدكم الجنة عمله قالوا: ولا أنت يا رسول الله ؟! قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته " فهذا من أعظم ما ينال به العبد المنازل العالية عند الله، وأرجى أن يغفر ذنبه ويقبل عمله، أما من رأى عمله كاملاً كبيراً غالياً فأرجي أن يرد ذلك العمل الذي يمن به صاحبه علي الله عز وجل لأن الله عز وجل غني كريم لا تغنيه طاعة الطائعين ولا تنفعه، ولا تضره معصية العاصين ولا تنقص من ملكه شيئاً، فإذا رأى العبد ذلك ونظر إلى عمله يعين التقصير ورجا كرم الرب سبحانه وتعالي فإن ذلك من أرجى أسباب الفرج إذا اشـ تد الأمر خصوصاً، ومن أرجى أسباب القبول.

ولذا قال المصنف: ومن كرمه أن يقابل الإساءة بالإحسان والذنب بالغفران ويقبل التوبة ويعفو عن التقصير".

الرقيب

" الرقيب علي عباده بأعمالهم والعليم بأقوالهم وأفعالهم والكفيل بأرزاقهم وآجالهم وإنشائهم ومآلهم".

الرقيب: من المراقبة فالله عز وجل يراقب العباد، قال عز وجل ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم بِعِلۡمٍۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴾[الأعراف: ٧] فهو سبحانه وتعالي يراقبهم ثم يحاسبهم ولا يغيب عنه عز وجل شيء من أعمالهم، فهو عز وجل شاهد عليهم، والعبد إذا استحضر أن الله رقيب عليه كان ذلك سبباً للوصول إلى درجة الإحسان قال النبي ﷺ:" الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، فأرشدنا إلى أن التعبد لله باسمه الرقيب الذي يرفع مقام العبد، ويوصله إلي درجة الإحسان، فيعبد الله كأنه يرى الله سبحانه وتعالي.

الكفيل

أما الكفيل فهو الذي تكفل بأرزاق العباد فهو سبحانه الذي ضمنها وجعلها عليه ﴿ * وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا ﴾[هود: ٦] فهو كفيل بها آي هو الذي ضمنها وهو الذي جعل علي نفسه رزق العباد فليسأل الرزق منه.

وكذلك، الآجال فهو قدرها وتكفل بحفظ العباد إليها فلا تتقدم نفس علي أجلها المقدر ولا تتأخر عنه ساعة ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴾[النحل: ٦١].

والعبد إذا أيقن بأن الله هو الكفيل بالرزق والأجل لم يخشى الناس ولم يرى أن طاعتهم في معصية الله تجلب لهم رزقاً ما كتبه الله له أو تمد أجلاً ما قدره الله له، فإيمانه بأن الله هو الكفيل بالأرزاق والآجال يجعله لا يعبأ بالناس ولا يخاف أن يمنعوه رزقاً ولا يرجو أن يعطونه رزقاً.. ولا أن يمدوا له في عمره ولا أن يصيبوه قبل أجله فيتوكل علي الله ويلجأ إليه ويرجو منه الفضل ولا يخشى إلا الله سبحانه وتعالي فلا يخاف سواه ولا يرجو سواه يهين عليه الناس فيعامل ربه دون معاملة الناس.

المجيب

قال عز وجل ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾[ا ل ن م ل : ٦٢] ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[البقرة: ١٨٦].

وقال عن صالح عليه السلام ﴿إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾[هود: ٦١].

وقال الرسول ﷺ:" ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة ".

وقال الله سبحانه وتعالي﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ ﴾[غافر: ٦٠] قد يظن بعض الناس أن الله لا يستجيـ ب له مع أنه دعا كثيراً وليس الأمر كذلك فإن الله عز وجل يجيب الدعوة وقد تتأخر إنفاذ هذا الأمر في نظر العباد.. نعم يتأخر إلى اللحظة التي قدر الله فيها أن تجاب قال عز وجل لموسى وهارون ﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[يونس: ٨٩].

فمتى وقع هلاك فرعون بعد مدة وقد أجيب الدعوة بالفعل، لذلك إذا دعوت الله عز وجل فأيقن بالإجابة والعبد يوقف يوم القيامة عند كل دعوة دعاها، يوقف ويقال

له ألم تدعو يوم كذا وكذا وكذا فوجدت له إجابة فيقول: بلي يا رب، ويقال: ألم تدعو يوم كذا وكذا فلم تر له إجابة؟ فيقول: بلي يا رب، فيقول: لك في الجنة كذا وكذا بدلاً منه حتى يقول العبد يا ليته لم يكن قد استجاب شيئاً في الدنيا، فكثرة الدعاء معها كثرة العطاء وكثرة الإجابة لأن المجيب من أسماءه عز وجل الذي وعد عباده بالإجابة فإذا كان قد أجاب إبليس فيما طلب وبئس ما طلب لنفسه ولكنه أجيب لما طلب أن يمده في عمره إلى يوم يبعثون فقال عز وجل ﴿ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴾[الأعراف: ١٥] فأولى بنا.. أولى ثم أولى أن نسأل الله عز وجل ونحن قد آمنا به ورجوناه وحده وأيقنا بأنه قريب مجيب سبحانه وتعالي. فعليك أن تكثر من الدعاء وما لم ترى له إجابة في الحال فقد يكون قد تأخر يسيراً فإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون أو أُدخر لك يوم القيا مة عند الله ما تتمنى مع أن تكون كل دعواتك قد أُجلت وقد يكون صرف عنك من السوء مثل ما دعوت، فإما أن تُجاب إلى طلبك وإما أن يصرف عنك من السوء مثلها وإما أن يدخر لك عند الله يوم القيامة وكل هذا إجابة والله عز وجل يجيب دعوة المظلوم ولو من كافر، قال النبي ﷺ :" واتقوا دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب".

الواسع

الذي يسع كل شيء علمه ووسع خلقه برزقه ونعمته وعفوه ورحمته كرماً وحلماً ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٠]﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[الأنعام: ١٠٣].

الله واسع بمعنى : الكبير العظيم الذي لا يدرك ولا يُحاط، والواسع الذي وسع كل شيء علماً فهو يعلم كل شيء ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٠] والواسع الذي

وسع كل شيء علما فكل شيء دونه سبحانه وتعالي تناله رحمته، ،رحمته أوسع من كل المخلوقات نالت جميع المخلوقات، لذا لما قال الأعرابي :" اللهم ارحمني وارحم مُحَّداً ولا ترحم معنا أحداً، قال النبي ﷺ :" ويحك لقد تحجرت واسعاً".

قال الله عز وجل ﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ [غافر: ٧].

فعلي العبد أن يوقن بأن الله سبحانه لا يحيط العباد به علما ولا تدركه عقولهم ولا تدرك كيفية صفاته وأفعاله وأوهامهم لأن الله ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

وهو الواسع العليم وهو العظيم الكبير وهو الواسع رحمة وعلماً فعليه أن يلجأ إلى الله ويطلب منه رحمته، ويوقن بأن الله علم تفاصيل ما العباد عاملون وغير ذلك ما يوجد ووجد وما لم يوجد علم الله سبحانه وتعالي كذلك فقد وسع كل شيء علما سبحانه وتعالي.

الحكيم

" الحكيم في خلقه وتدبيره إحكاماً وإتقاناً، والحكيم في شرعه وقدره عدلاً وإحساناً، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة، ومن أكبر من الله شهادة وأوضح دليلاً وأقوم برهاناً، فهو العدل وحكمه عدل وشرعه عدل وقضاؤه عدل، فله الملك وله الحمد وهو علي كل شيء قدير".

فالحكيم من أسماء الله عز وجل التي تكررت في كتابه كثيراً، وهو يدل علي معنى الإحكام والإتقان فالله عز وجل أحكم كل شيء وأتقن كل شيء خلقه ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ ﴾[السجدة: ٧].

ومن مظاهر الإحكام في خلقه سبحانه والإتقان وعدم الخلل والتفاوت ظاهرة لكل من يتأمل أي جوانب هذا الوجود، فلو تأمل الإنسان في نفسه كيف أحكم خلقه وأتقن غاية الإتقان، وهيئت مفاصله للعبادة كما قال السلف رضوان الله تعالي عنهم، وهيئ كل أجزاء جسمه لأداء وظائفها متكاملة متعاونة فيما بينها حتى تؤدي الغاية التي أُوجدت من أجلها، وكذلك الإتقان والتناسب في الأرض والسماوات في أصغر شيء وفي أكبر شيء في هذه الذرات الصغيرة وفي هذه الكواكب والنجوم الهائلة وهذه المجرات الواسعة، كل شيء أحكمه عز وجل وأتقنه ووضعه في موضعه .

وكذلك اسم الحكيم يدل علي إثبات الحكمة لله سبحانه وتعالي نفي الله سبحانه وتعالي عن نفسه العبث فقال عز وجل ﴿ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ﴾ [المؤمنون: ١١٥ – ١١٦].

ونزه نفسه عن السدي وأن يكون ترك خلقه سدى بلا فائدة ولا حكمة ولا غاية من وجودهم فقال عز وجل ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ﴾[القيامة: ٣٦].

ونزه سبحانه نفسه عن اللعب فقال ﴿ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقۡنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [الدخان: ٣٨ – ٣٩].

اله خلق السموات والأرض بالحق ليعبد سبحانه وتعالي.. الحق الذي خلق لله السموات والأرض من أجله.. أن يشهد الخلق ربوبيته وألوهيته ويتوجهوا له بأنواع العبادة والتحميد والثناء والاعتراف له بالملك سبحانه وتعالي.

ونزه نفسه عن الباطل فقال ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ﴾[ص: ٢٧].

والباطل ألا يكون هناك حكمة من وجودهم وهذا كله يرد علي نفاة الحكمة والعليل الذين يقولون أن الله لم يفعل شيئاً لشيء لأنهم يظنون بجهلهم أن ذلك مرتبط بالحاجة وليس كذلك، فليس جعل شيء لشيء يلتزم بالضرورة أن يكون ذلك لحاجة بل ذلك في حق الله لكمال الإتقان والإحكام ولكمال الحكمة وهي وضع الشيء في موضعه، لذا قرن الشيخ حافظ في شرحه بين الحكمة وبين العدل فقال هو العدل وحكمه عدل وشرعه عدل كما سبق الكلام علي عدله سبحانه وتعالي في شرعه وقدره وقد ذكر الله سبحانه وتعالي في كتابه الأدلة المتكاثرة أنه يخلق أشياء لأشياء، وبأشياء كما قال عز وجل ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[الذاريات: ٥٦].

وقال سبحانه وتعالي ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[آل عمران: ١٤٠ – ١٤١]، ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [المائدة: ٣٢]

﴿ لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَلَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّن فَضۡلِ ٱللَّهِ ﴾ [الحديد: ٢٩] ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ ﴾[ا لنساء: ١٦٥].

واستقصاه ذلك يكون بلام التعليل ولئلا وكي ولأجل وغيرها من الأدلة علي أن الله يفعل أشياء لأشياء كما أنه يشرع أشياء لأشياء كما حرم الخمر والميسر وقال ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩١].

وقال فيما شرع من جزاء القتل الصيد ﴿ لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦ ﴾ [المائدة: ٩٥].

وقال ﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٩].

وقال في شرع العبادات كلها ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[البقرة: ٢١].

وقال في الصيام كذلك ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[البقرة: ١٨٣].

وغير ذلك من الأدلة الدالة علي أ ن الله يشرع أشياء لحكم عظيمة فاسمه الحكيم دال علي ذلك، كما أنه يدل علي الإتقان والإحكام وأن الأشياء كلها في موضعها بغاية هذا الإتقان وكذا الشرع محكم غاية الإحكام ومتقن غاية الإحكام له وله الحمد فالحكمة

وضع الشيء في موضعه وما يناسبه شرعاً وقدراً فالله عز وجل في تدبيره لخلقه له الحكمة التامة ما خلق شيئاً إلا لحكمة وغاية محمودة فله الملك وله الحمد وما أكثر ما اقترنت هاتان الجملتان في الأذكار لانهما اقترنا في القرآن" له الملك وله الحمد وهو علي كل شيء قدير" وكثير ما كان يذكرها النبي ﷺ وكان يهلل بهن دبر كل صلاة:" لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو علي كل شيء قدير " ويأمر بهما بعد صلاة الفجر والمغرب وفي الحج في المناسك وفي مقامات متعددة في الثناء علي الله عز وجل .

وملكه عز وجل يدبر به أمره وحمده أنه يدبر هذا الملك بما يستحق عليه الحمد، ولإحكامه وإتقانه ولأنه وضع الأشياء في مواضعها، وقد يتوهم البعض أنه يكون له ملك وسلطان أو علي سبيل العارية ولكنه يتصرف في ملكه هذا بما لا ينساب ووضعوا الأشياء في غيره موضعها وكثير من الناس هكذا لذا استحقوا الذم علي ذلك، وهناك من يكون حكيماً لكنه لا يملك ولا سلطان له ولا يقدر علي إنفاذ ما يراه صوابا أو يعلم صحته ومصلحته وحكمته فلا يكون له ملك ومع ذلك يحمد علي ما يفكر فيه أو يظنه صواباً إن كان موافقاً للحق، فالله سبحانه وتعالي له الملك وله الحمد وعلي ذلك تدور أحكام الشريعة.

فالله سبحانه وتعالي يدبر ملكه كما يشاء ويفعل في هذا الملك بالحكمة فاستحق علي ذلك الحمد، حتى خلقه للمكروهات شرعاً وللكفر والفسوق والعصيان جعل من وراء ذلك حكمة يحمد عليها وهذه حكمة كونية قدرية.. كما جعل مثلاً لهزيمة على المسلمين في بعض المواقع وكذلك أذيتهم وانتهاك حرماتهم وسفك دمائهم مع أنه لا يحب ذلك شرعاً وما أذن فيه سبحانه وتعالي ولكنه قدر ذلك لحكم عظيمة يستحق الحمد عليه ولذل له الملك بأن قدر المقادير وله الحمد علي ما قدر ولا يُحمد علي مكروه سواه له الحمد علي كل حال لأنه وضع الأشياء في مواضعها وهو العليم الحكيم وهو العزيز الحكيم فالعزة ملكه والحكمة تقتضي حمده عز وجل وبعلمه وضع الأشياء في

مواضعها كما قال ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٠ – ١٤١].

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾[البقرة: ٢١٤].

فعندما تحدث هذه الأمور المكروهة يترتب عليها بعد ذلك من أنواع المصالح والحكم ما لا يحيط به العباد فعند ذلك يسلمون ويحمدون الله عز وجل الذي أيقنوا قبل علمهم بحكمته أنه لا يقدر شيئاً إلا بحكمه.

وأما التشريع فإن الله عز وجل حكيم فيما شرع للعباد وأظهر الله عز وجل كمال الحكمة في التشريع في هذه الأمة التي ما شرع لها أي تشريع إلا وفيه المصلحة لعموم العباد وخصوصهم فإن الأمم السابقة تُجعل لها تشريعات تناسبهم ومؤقتة لزمانهم وقد يكون في شيء مما أُبيح فيها خبيث وقد يكون في شيء مما محرم عليهم وهو طيب عقاباً لهم كما قال سبحانه وتعالي فيما ذكر عن بني إسرائيل ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٤٦] وقال ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ

طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ وَبِصَدِّهِمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرٗا ١٦٠ وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدۡ نُهُواْ عَنۡهُ وَأَكۡلِهِمۡ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ ﴾ [النساء: ١٦٠ – ١٦١].

وهذه أصرح الآيات في إثبات أن الله عز وجل بسبب ظلم الذين هادوا حرم عليهم الطيبات، ثم نسخ الله عز وجل ذلك بأكمل الشرائع بما شرعه علي لسان نبيه محمد ﷺ وكانت له الحكمة سبحانه فيما شرع لبني

إسرائيل فإن الظالم يناسبه من أنواع العقوبات ما يردعه عن ظلمه وأما في شريعة الإسلام فقد قال الله عز وجل عن النبي الأمي محمد ﷺ ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وذلك لأن شريعته هي الشريعة الباقية المحكمة التي لا تُنسخ ولا تّبدل إلى قيام الساعة لذلك قد جعل الله سبحانه فيها كل طيب حلالاً وكل خبيث محرماً لأن ذلك في مصلحة العباد وفي ما يناسب عباده.

وشرع الله عز وجل الشرائع للحكم والمصالح التي قد تظهر للعباد والتي قد لا تظهر لهم وما أظهر لهم يجب عليهم أن يعقلوه ويستدلوا به علي ما لم يظهر لهم فكل التشريعات التي أنزلها الله علي نبيه عليه الصلاة والسلام تدلك علي حفظ مصالحهم في دينهم وأبدانهم وحياتهم وأعراضهم وأبضاعهم وعقولهم وأموالهم فشرع الله عز وجل أكمل الشرائع التي تحفظ بها هذه الضرورات الخمس وتكمل كذلك بما تكتنفه من حاجات وتزين بما يضاف إلى ذلك من تحسينات، فإن مصالح العباد تدور حول هذه الضرورات وما يتبعها من حاجات وتحسينات والشرع أتي بكل ذلك بأحسن طريق حتى تكلم الكفار بل والفلاسفة فقالوا" أنه لم يطرق العالم شريعة أعظم من الذي أُنزل علي محمد ﷺ.

وهذا والله لاشك فيه فإنه أتي بأحسن العقائد وأحسن العبادات وأحسن الأخلاق وأحسن الأعمال وأحسن المعاملات فيما يختص الفرد ويختص الأمة ويختص المؤمنين والكفار، فالعدل الذي يحصل والمصالح التي تحصل من جراء تطبيق شرع الله سبحانه وتعالي يظهر لكل أحد، والظلم والفساد الذي يقع بعد تطبيق شرع الله تعالي ظاهر لك أحد ويظهر كذلك لك عاقل التناقض الذي يقع فيه من لا يطبق شرع، لذلك فإن الذين يطعنون في شرع الله وينسبون إليه عدم الحكمة فهم والعياذ بالله أضل الخلق وأجهلهم بالإضافة إلى تناقضهم وتناحرهم وتنازعهم واختلافهم.. ولذلك إذا نظر العبد إلى ما عقله كل العباد حتى الكفرة منهم من حكم الشرع حكم التشريع الإسلامي فعليه فيما جهل به ولم يعلمه وغاب عن عقله أن يسلم وأن يعلم أن ما شرعه فيه الحكمة التامة والذي يسميه العلماء بالأمور التعبدية أي غير معقولة ولا نعقل حكمتها وليس أنه ليس لها ولكن يعنون أن الحكمة فيها خفية عن إدراك العباد كعدد الركعات في الصلوات وتخصيص شهر معين بعبادة معينة ووقت بعبادة أخرى وهكذا ما لا تدرك حكمته وفي الحقيقة هناك أمور يجد العباد آثارها وإن لم يعلم سبب التشريع فيها شك أهل الإسلام مثلاً يجدون أعظم السكون والطمأنينة في شهر رمضان ويجزمون أن توقيت هذا الشهر له ما يناسبه فعلاً من الخصوصية مما لا يذوقه ولا يجده غيرهم وقد يظن البعض أنه لو شرع غير هذا الشهر لهذه العبادة مثلاً لوجدوا فيه ذلك، ونقول الله عز وجل قد خص هذا الشهر بالفعل حين خلق السموات والأرض بخصائص معينة هيأ هذا الشهر لها وأنزل فيه القرآن وغير ذلك مما يذوقه أهل الإسلام دون غيرهم بل ويجزمون به ويتواترون علي ما يجدون في قلوبهم من سكون وطمأنينة بأداء هذه العبادات في هذا الشهر خاصة ولو صاموا شهراً غيره لم يجدوا هذا الأثر، وكذا لو وقف إنسان في يوم عرفة فإنه يجد من الأثر في سكون نفسه وسرورها وفرحها ما لا يجدوه لو وقف في نفس المكان في غير هذا اليوم سبحان الله!! أمور عجيبة وإن كان الإنسان لا يدري لماذا شُرعت هكذا.. ولكن الله خص الأيام وخص الشهور وخص الأمكنة والأزمنة بما يجد

الإنسان آثاره إذا أمن وصد ق واتبع وإن لذلك أثراً عجيباً لا يجده إلا من أمن بذلك وعمل به. فمن ذهب مثلاً إلى البيت الحرام يجزم أن هذه بقعة لا تناظرها بقعة ويجد من آثار الجلال والعظمة والبهاء ما يجزم به ويقطع وإن كان لا يدري من أين يحدث ذلك، ويجزم بأن بيت الله الحرام له من الخصوصية ما لا يشبهه أي مكان فالله هو الذي خص هذه البقاع من أننا لا ندري لماذا خصت هذه البقاع لذلك لكن الله هو الذي خلقها كذلك وشرعها كذلك فنحن نسلم الأمر ونوقن أن كل شيء بحكمة سبحانه وتعالي له الحكمة التامة فيما شرع وفيما قدر.. الحكيم سبحانه وتعالي له الحمد وله الملك.. كما له الملك فيما أمر وقدر يُحمد علي ذلك سبحانه وتعالي.

قال " والحكم في شرعه وقدره عدلاً " فالأولى كانت حكمته في الإحكام والإتقان وهذه في شرعه وقدره– أي إثبات الحكمة الشرعية فيما شرع والحكمة القدرية فيما أوجد حتى المكروهات فله الحكمة في خلق إبليس وفرعون وتأمل ما ترتب علي ما صنعه فرعون من المصالح والحكم وما رفعت به منازل أقوام بصبرهم علي أذيته وما جعل الله في ذلك ما الآيات ما ننتفع به إلى وقتنا هذا وإلى قيام الساعة وجعل الله في ذلك من الآيات الباهرة والحكم البالغة فيما قدر من أشد الأمور كراهة له وهو تكبر هذا الرجل حتى أدعى الألوهية والربوبية فجعل في ذلك من الحكم ما يبهر العقول وجعل عز وجل عظة وذكرى لأولي الألباب وأهل الإيمان غير الأزمنة بل وللكفرة والله لو اتعظوا لآمنوا .

فهو في شرعه وقدره تدور الأمور بين العدل وبين الفضل فالعدل منه سبحانه في كل شيء والفضل لأهل الإيمان والإسلام وهو يفضل من يشاء بما يشاء ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [البقرة: ١٠٥].

ويضع الفضل في مواضعه لا يسال عما يفعل وهم يسألون لأنه يضع الأمور في مواضعها ولا يقال كان ينبغي أن يكون غير هذا فلا اقتراح لأهل الإيمان علي قدر الله

عز وجل ولا يقترحون غير ما كان ويعلمون أن العدل والفضل كلاهما في موضعه وأن الله أمر بالعدل والإحسان ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ﴾[النحل: ٩٠] وهو سبحانه فعل العدل والإحسان فحين وضع الشر في مواضعه لم يظلم أهله بل عدل معهم ووضعهم لما يناسبهم وحين تفضل علي أهل الإيمان وأعلاهم قدراً بين رسله وعلاهم قدراً مُحَمَّد ﷺ فو الله لقد وضع الأشياء في مواضعها وعندما يقترح الجهلة علي الله غير ما كان وغير ما قدر وغير ما شرع رد الله عليهم قال ﴿ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَ ﴾[الزخرف: ٣٢] عندما قالوا ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ٣١ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾[لزخرف: ٣١ – ٣٢] وقال تعالي ﴿ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ﴾ [أنعام: ١٢٤

﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾[لأنعام: ١٢٤] وقال ﴿ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[لأنعام: ٥٣].

له الحكمة وضع العدل في موضعه والإحسان في موضعه وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة.

وعندما وضع الظلم لدى الظالمين وجعلهم يفعلونه لم يظلمهم سبحانه وتعالي وعندما جعل الكافرين كافرين كان ذلك بعدله إذ أعطاهم العقول والقدرة والإرادة وبلغهم شرعه وآياته البينات فأقام عليهم الحجة برسله الذين أنزل عليهم كتبه ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [النساء: ١٦٥] فلزمتهم الحجة ولذا

دخل أهل النار النار وإن قلوبهم ما تجد غير حمد الله سبيلا فله الحمد فيما قضى وشرع وفيما حكم سبحانه وتعالي، ومن أكبر من الله شهادة وأوضح دليلاً وأقوم برهاناً فهو العدل وحكمه عدل وشرعه عدل وقضاؤه عدل فله الملك وله الحمد وهو علي كل شيء قدير.

الودود

" الذي يحب أولياءه ويحبونه كما أخبر عن نفسه في محكم، المجيب لدعوة الداعي إذا دعاه في أي مكان كان وفي أي وقت من الأوقات، فلا يشغله سمع عن سمع ولا تختلف عليه المطالب ولا تشتبه عليه الأصوات، فيكشف الغم ويذهب الغم ويفرج الكرب ويستر الغيب وهو الستير"

الودود من أسماء الله تعالي التي آثارها رسل الله الكرام وأهل الإيمان المحبين لله عز وجل وهو بمعنى..

الذي يحب عباده المؤمنين ويحب أولياؤه الصالحين ويجعل لهم الود في قلوب خلقه كما شاء ولا شك أن هذا١ إنما يترتب علي حبهم له سبحانه ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾[آل عمران: ٣١] فما وصلوا إلى محبته إلا بأن أحبوه عز وجل فالله يُحب ويحب وحبه عز وجل سبيل وطريق مع الاتباع إلى أن يكون الإنسان محبوباً عند الله وتأمل في قول شعيب عليه الصلاة والسلام عندما عارضه قومه ونازعوه في أدلة التوحيد التي جاء بها وأكثروا مجادلته ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ﴾[هود ٩٠]. فهو يقول لهم أنه قد وجد ربه دليلاً إضافياً علي استحقاقه عز وجل للإلهية وخص نفسه به في الإضافة وعم في طلب الاستغفار لذا قال ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ﴾ ولم يقل واستغفروا ربي ثم قال

﴿ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ ولم يقل إن ربكم لأنه إنما ذاق رحمته ووده الخاص، وقال ﴿ رَحِيمٌ ﴾الاسم الدال علي صفة الفعل الخاص بعباد الله المؤمنين أي الرحمة الخاصة ولم يقل الرحمن الدال علي الرحمة العامة .

الودود وهذا الذي وجد آثاره في قلبه وجد البر واللطف والرحمة الخاصة والود منه سبحانه وتعالي فهذا الذي لا يوصف ولا يعرف وإنما يجد الإنسان أثره و هم لا يجدون ذلك الآن وإنما اطلبوا ذلك لأنفسكم مثل ما وجدت أنا من آثار رحمته الخاصة ووده سبحانه وتعالي واطلبوا ذلك بالاستغفار والتوبة وهذا دليل إضافي فعندما يجد العبد طعم القرب من الله سبحانه وتعالي ويجد آثار وده سبحانه وتعالي يجزم بأن الطريق الذي سلكه هو الذي فطر الله العباد عليه وهذا كما ذكرنا دليل إضافي، كما أن توحيد الربوبية أوضح الأدلة علي توحيد الألوهية لعامة الناس وهو الذي يظهر لكل متأمل ومتدبر قبل أن يجد طعم الإيمان ويذوق حلاوته الذي يوجد في القلب فإنه لابد وأن يقر بصحة ذلك رغماً عنه شاء أم أبى فالحجة بتوحيد الربوبية علي توحيد الألوهية لأزمة للخلق جميعاً فإن من شهد الكون وفقره وعجزه واحتياجه إلى ربه سبحانه وتعالي فإنه لابد وأن يقر بأن المستحق أن يعبد هو الله وحده لا شريك له .

وأما الدليل الثاني: فهو الذي يجده أهل الإيمان ويذوقون حلاوته في قلوبهم لحب الله سبحانه وتعالي بل هذا الذي يسعى إليه المؤمنون أصلاً ولا يجدون لذة حقيقية بدونه وإنما كانت الجنة جنة دار سعادة وسرور وهناء لوجود القرب من الله عز وجل فيها ولوجود النظر إلى وجه الله تعالي فيها فإنما تحصل للعبد سعادته إذا اقترب قلبه من الله وامتلأ حباً لله عز وجل وشعر بحب الله له ولذلك قال الله عز وجل لموسى مرغباً له في اقتحام الأهوال والعقبات قال ﴿ وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ﴾[طه ٤١] وقال ﴿ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴾[طه٣٩].

فإن ذلك أثر من آثار محبة الله له فإن الله ألقى محبته في قلوب الخالق كما قال النبي ﷺ :" إن الله إذا أحب عبداً نادي جبريل إني أحب فلاناً فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادى جبريل في أهل السماء إن الله يحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض" فهذا آثر من آثار حب الله، محبة الخلق لعبد من العباد والتي لا يجدون مفراً منها إنما هي آثر من آثار حب الله فإذا ابتغوا بها وجه الله فهذا هو الحب في الله وهو من أعظم أسباب حب الله لهم كما قال النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه " حقت محبتي للمتحابين في" فمن أحبوا بعضهم في الله أحبهم الله سبحانه وتعالي ولذلك ورد الدعاء لمن أحب أخاه في الله بأن يحبه الله كما أمر بذلك الرسول ﷺ وصوب وقرر صحة من قال لأخيه:" أحبك الذي أحببتني فيه " ومن زار أخاً له في الله أرسل له علي مدرجته ملكاً رسولاً يخبره أن الله يحبه لحب أخيه وهكذا حب الله سبحانه وتعالي للعبد يقتضي أن يحبه عباد الله الذين حبهم وقلوبهم هي الميزان إذ أنهم شهداء الله في أرضه ويقذف الله عز وجل في قلوب من شاء من خلقه تعظيم هذا المحبوب له عز وجل وحبه واحترامه حتى يقضى ما شاء له من الحفظ والعناية والرعاية فألقى في قلب امرأة فرعون حب موسى عليه السلام من أول لحظة رأته وقالت ﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ ﴾[القصص: ٩] وهذا أثر من آثار حب الله لموسى ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾[طه ٣٩] قال ﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾ [طه: ٤١] جعل هذا الأمر موسى عليه السلام لا يبالي بأى عقبة من العقبات بل كان شوقه ورجاؤه وكل تفكيره في اللحظة التي يناجي فيها ربه ويرضيه، قال ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾ [طه: ٨٤].

وعندما يناجي ربه عز وجل لا تكون له رغبة أشد من أن ينظر إلى الله عز وجل ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف: ١٤٣] شوقاً إلى الله وحباً له وإنما ذلك كله من آثار الله سبحانه وتعالي.

فهو الودود عز وجل ومن وجد ذلك في نفسه كان أقوى دليل علي استحقاق الرب سبحانه وتعالي الإلهية وحده لا شريك له إذ لا يطمئن القلب ولا يسعد إلا إذا أحب الله وأحبه الله تعالي ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٍ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖ﴾ [المائدة: ٥٤].

وكما ذكرنا سبيل الوصول إلى حب الله لعبده أن يكوه العبد محباً لله متبعاً لرسول الله ﷺ قال الله عز وجل ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾[مريم: ٩٦] وذلك الود والحب في قلوب المؤمنين كما ذكرنا أثر من أثار **حب الله عز وجل لعبده.**

وإنما يصل إليه كذلك بتحصيل الإيمان والتقوى وبالمداومة علي النوافل بعد الفرائض كما قال النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل:" من عادي لي ولياً فقد آذنته بالحرب" فالولاية والقرب من الله تكون بالتقوى والإيمان ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢ – ٦٣].

قال عز وجل :" وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلي مما افترضه عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحبته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذ بي لأعيذنه " وإنما يكون هذا بان تكون بالله ولله، ولله مخلصاً وبالله مستعيناً فيقويه الله عز وجل علي أنواع من طاعته وعبادته ما لا يجده ولا يقدر عليه غيره من الخلق أثر من آثار

حب الله للعبد إذا صار محبوباً لذاته عند الله، وأما قبل ذلك فمحبوب صفاته وأفعاله فيمكن أن يجتمع فيه صفات محبوبة لله وأخرى مكروهة فإن عمل طاعة أحبه الله عليها وإن عم لمعصية أبغضه الله عليها وأما صار محبوباً كله لله فإنه لا يوجد فيه إلا الطاعة لله حيث يعصمه الله سبحانه وتعالي.

وينكر أهل الزندقة والنفاق أن الله يحب أولياؤه كالجهمية والمعتزلة وتبعهم في ذلك الأشاعرة الذين ينكرون حب الله لعباده فأنكروا الغاية التي يشمر إليها خاصة أولياء الله سبحانه وتعالي أنكروا أعظم نعيم يمكن أن يناله إنسان وأعظم ثواب يمكن أن يناله إنسان وهو حب الله عز وجل والقرب منه فزعموا أن الحب هو الإرادة دون زيادة علي ذلك لا يزيدون من حب الله إلا معنى إرادة الإكرام أو إرادة الثواب ولم يجعلوا النعيم إلا بالمخلوق ولم يجعلوا نعيماً لله سبحانه مع أنه أعلى أنواع النعيم.

المجيب

المجيب لدعوة الداعي إذا دعاه كما قال صالح عليه السلام ﴿ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ [هود: ٦١] وكما قال عز وجل ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾[البقرة: ١٨٦] وقال ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[غافر: ٦٠].

فهو يجب دعوة الداعي إذا دعاه في أي مكان كان وفي أي وقت من الأوقات حتى الكفرة إذا أخلصوا الدعاء لله أجاب الله دعوتهم، كما قال تعالي ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء: ٦٧].

وهو سبحانه يحب من يلح في دعاؤه ويظن أن الله مجيبه، قال النبي ﷺ :" ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة " وإذا وجد العبد دعوة بها لم يرى لها إجابة فليعلم أنها إما قد صرف عنه من السوء مثلها أو أُخرت إجابتها إلي حين بعد مدة فيكون خيراً له يوم القيامة.. أُدخرت له ثواب عند الله يتمنى معه أن لم يكن قد أجابه الله شيئاً من دعواته في الدنيا..

قال:" فلا يشغله سمع عن سمع ولا تختلف عليه المطالب" أي مطالب العباد فهذا له مطلب ديني وآخر له مطلب دنيوي وذاك له مطلب آخر ﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾[الرحمن: ٢٩] لا تشتبه عليه الأصوات فيكشف الغم ويذهب الهم ويفرج الكرب ويستر العيب.

الستير

وهذا الاسم الستير ورد في السنة، قال ﷺ:" إن الله حيي ستير يحب الستر" لذلك يستر علي عباده ويحب من يستر عليهم ستراً حسياً ومعنوياً كما قال ﷺ :" ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة" وذلك بستر العورات الظاهرة لأن الله ستير يحب الستر فلا يحب كشف العورات وإنما يحب كشف العورات إبليس والأبالسة الذين علي طريقته، قال عز وجل ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[الأعراف: ٢٦ – ٢٧].

إذا أردت تعرف سبيل الإنسان أهو من أولياء الرحمن أم من ابتاع الشيطان فانظر إلى قضية الستر عنده فإن ذلك من أعظم الأدلة، فإذا كان يحب العري وكشف العورات وفضح ما فطر الله علي حب ستره فإن ذلك والعياذ بالله إبليس المنهج والطريق، لذلك تجد أعداء الإسلام خاصة اليهود لا يصلون إلى أمة من الأمم بأسرع من كشف العورات ولذلك هم يحركون شعوب الأرض إلا أهل الإسلام من خلال العورات المكشوفة ويسطلون علي مجتمعات المسلمين ما يسبب انهيارها إن أطاعوهم بكشف العورات وترك الستر الذي أحبه وأمر به، وهل يسمع أحد يحب الله أن الله حيي ستير يحب الستر ثم يرضى بكشف عورته إلا عمن أذن الله في ذلك كما قال النبي ﷺ:" احفظ عورتك إلا عن زوجك أو ما ملكت يمنك".

والله عز وجل يحب الستر كذلك في الأمور المعنوية بمعنى أن الفضائح والمنكرات والذنوب لا يحب الله عز وجل المجاهرة بها كما قال النبي ﷺ:" كل أمتي معافى إلا المجاهرون" وقال للذي أتي بماعز حين زنى وأمره بأن يخبر النبي ﷺ بزنا": لو سترته بثوبك لكان خيراً لك" ويقول سبحانه لعبده المؤمن إذا قرره بذنوبه يوم القيامة بعد أن يعرف كل ذنوبه أو صغارها :" أنا سترتها عليك في الدنيا وأغفرها لك اليوم " فيسترها الله عز وجل علي عباده الذين أراد بهم الخير فمن جهر بالمعاصي فليعلم أن الله لا يريد به الخير ومن كان مستتراً نادماً علي تقصيره وذنبه ليس فرح بأن الناس لم يروه وإنما يرى نفسه مصراً مذنباً يحلم الله عنه ليفتح له الباب فليعلم أنه أريد به الخير فليطرق ذلك الباب باب التوبة والرجوع والندم فإنه طالما بقى في حيز الستر والكتمان فهذا من علامات إرادة الخير فإنه معافي إن شاء الله إذا ظل مستوراً بستر الله له، لكن لا ينخدع ولا يتغير ولا يظن أن هذا الستر لابد وأن يدوم يمكن أن ينفضح.. نسأل الله أن يسترنا في الدنيا والآخرة.

ولذلك كان السلف لا يذكرون ذنوبهم وإنما يذكرون ستر الله عليهم ويقولون:" لو أن للذنوب رائحة لما جالسنا أحد " فهم يفرحون بستر الله تعالي مع حزنهم علي أنفسهم فيرضون عن الله فعله ويحمدونه عليه ويلومون أنفسهم ويعرفون تقصيرهم ويسعون في إزالة هذا التقصير والله المستعان.

المجيد

" المجيد الذي هو أهل الثناء كما مجد نفسه وهو المجد علي اختلاف الألسن وتباين اللغات بأنواع التمجيد".

الذي له المجد والعظمة والكبرياء وهو من الأسماء الدالة علي عدة من معاني الكمال التي تدل علي جملة من صفات الكمال مثل اسم الجليل والعظيم والقدوس والسلام والصمد..

الذي له المجد.. الذي له التعظيم والحمد.. المجد الذي يمجده الخلق جميعاً شاءوا أم أبوا، حتى من لا يمجده بلسانه يمجده بحاله فإنه رغماً عنه يدل علي عظمة الله ويدل علي قدرته في ولادته.. في استمرار حياته في نهايته كذلك وموته، فكل كافر يدل حاله علي عظمة الله ومجده وأن له المجد سبحانه وتعالي في كل حال، كما قال النبي ﷺ :" اللهم لك الحمد ملئ السموات والأرض وما بينهما وملئ ما شئت من شيء بعد أهل الثناء والمجد" يعنى يا أهل الثناء والمجد " أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد " فإن يحمد العبد ربه ويمجده هو حق ما قاله إنسان، ولذا قال النبي ﷺ:" أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله".

الباعث

قال" الباعث الذي بدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه إنه هو الفعال لما يريد""

الباعث الذي يبعث الخلق يوم القيامة ويقيمهم من قبورهم للحساب والثواب والعقاب بعد موتهم كما أخبر الله عز وجل في كتابه ورسوله ﷺ ، والبعث بعد الموت ركن من أركن الإيمان لا يصح إيمان عبد إلا به وذكر الله عز وجل دليلين علي أنه الباعث وأكثر من ذكرهما في القرآن.

الأول: إحياء الأرض بعد موتها بالنبات وإنزال المطر عليها.

الثاني: الخلق الأول وهذان الدليلان من أوضح الأدلة العقلية علي إثبات العبث وأن الله هو الباعث قال سبحانه وتعالي ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ﴾ [فصلت: ٣٩] وقال سبحانه وتعالي ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٨ – ٧٩].

وهذان دليلان عقليان شرعيان يقر بهما كل عاقل علي قدرة ا لله عز وجل علي البعث والنشور فإن الخلق الأول انفرد الله عز وجل بإيجاده من العدم فإعادته علي المثال الأول فإنه إذا ابتدعه الله علي غير مثال سابق فإنه سبحانه وتعالي أقدر علي أن يعيده علي ذلك المثال.

الشهيد

" الشهيد الـ ذي هو أكبر من كل شيء شهادة وكفي بالله شهيداً".

﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٩].

شهد بوحدانيته عز وجل وشهد بصدق أنبياؤه ورسله وشهد بالحق سبحانه فيما شرع.

قال ﴿ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾[فصلت: ٥٣].

إذا شهد العبد أن الله عز وجل علي كل شيء شهيد رضي بأن يشهد الله عمله ولم يطلب مشاهدة الناس، وإذا استحضر العبد أن الله علي كل شيء شهيد لم يظن أبداً بالله أن يترك الظالمين يفيتون بظلمهم كما قال سبحانه وتعالي ﴿ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ٥ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ٦ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ٧ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ٨ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٩ ﴾[البروج: ٤ – ٩]

فلم يغب عن الله تعالي ما فعلوه بالمؤمنين كما أنه حين فعلوا مافعلوا بالمؤمنين كان الملك له عز وجل كما كان له قبل ذلك وبعده وملكه في الأرض كما أن ملكه في السموات ومع ذلك جعلهم يفعلون ذلك بعباده المؤمنين لهوانهم – أي الظالمين – علي الله فإن الله كان في قدرته وسلطانه أن يدمر هؤلاء ولكن لهوان الدنيا وهؤلاء الكفرة علي الله جعلهم يفعلون ما يفعلون وأعد لهم من العذاب الأليم ما ينتقم به لعباده المؤمنين .

فإذا استحضر العبد أن الله علي كل شيء شهيد وأنه لم يغب سبحانه ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم بِعِلۡمٖۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ٧ ﴾[الأعراف: ٧].

فإنه يفوض أمره إلى الله في أن يثأر له وينتقم ممن ظلمه.. يأخذ حق المؤمنين من المجرمين المعتدين الباغين الظالمين فتكفي بربنا علي بربنا علي عملنا ولا نقول للناس.

﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[فصلت: ٥٣] بلى كفى به شهيداً ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[آل عمران: ١٨].

فشهادته عز وجل بوحدانيته وأنه قائماً بالقسط تكفي وشهد بها الملائكة والمؤمنون أهل العلم من أهل الأرض.

الحق

" هو الحق وقوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير"

هو الحق.. المتحقق وجوده عز وجل الذي لا شك في وحدانيته عز وجل والحق من أسمائه عز وجل ويعني المتحقق ربوبيته والمتحقق ألوهيته والمتحقق أسماؤه وصفاته والمتحقق اتصافه بكل صفات الكمال.

قوله الحق.. فإذا قال أمراً كونياً لشيء من الأشياء أن يكون كان وتحقق وجود هذا الشيء، وقوله الحق شرعاً فما قاله الله عز وجل هو الحق والصدق ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾[الأنعام: ١١٥]. فالصدق في الأخبار المنافي للكذب والعدل في الأوامر والنواهي المنافي للظلم، هو الحق الذي وصف الله به قوله فقوله الشرعي والكوني كلاهما حق.

وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير.

القوي المتين

" الذي لم يقم لقوته شيء وهو شديد المحال القوي المطلق".

الذي لم يقم لقوته شيء الله عز وجل هو القوي فلا قوة إلا به وقوته عز وجل لا ضعف فيها و لا يعتريها نقص من أي جهة من الجهات، قال لأبي موسى الأشعري لأبي موسى الأشعري ﷺ :" لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة ".

وذلك أن الله عز وجل هو المتفرد بالقوة وما جعل لعباده من قوة فمنه سبحانه وتعالي وبه عز وجل ولا ينبغي لعبد أن يشهد أن قوته أو سلطانه أو ماله ملك له، بل إذا رأي شيئاً مما أعطاه الله عز وجل فلابد أن يستحضر عند ذلك أنها وجدت بقوة الله ومشيئته وكما قال الله حا كياً عن العبد المؤمن في مناظرته لصاحبه الكافر ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾[الكهف: ٣٩] فعلي العبد أن يؤمن بأن ما بالعباد من نعمة ومن قوة فمن الله ربه سبحانه لأنه هو القوي في الحقيقة.

أما اسم المتين فهو كما ذكر الله نفسه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾[الذاريات: ٥٨]، والمتين أيضاً بمعنى شديد الأخذ بالعقوبة، والمتانة رسم لكمال القوة وعدم نقصها بوجه من الوجوه فالله له صفات الكمال ومنزه عن صفات النقص كلها.

الولي

اسم الولي من أسمائه عز وجل له معنى عام ومعنى خاص فالمعنى العام لجميع فهو الذي يتولى أمرهم ويدبر أمر خلقه جميعاً قال ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾[الأنعام: ٥١].

فالله سبحانه وتعالي لا ولي للعباد من دونه ولا يتولى أمرهم سواه كما قال ﴿ هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾[يونس: ٣٠] وقال ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ﴾[الأعراف: ٣] أي لا تعبدون من دون الله تعالي من تظنون فيه أنه يتولى أمركم بالإصلاح أو قضاء الحاجات أو تفريج الكربات أو غير ذلك ممن تريدون أن يتولى أمركم فالله سبحانه هو المولي الحق والولي الحق سبحانه و تعالي .

وأما المعنى الثاني: وهو المعنى الخاص:

الولي للمؤمنين أي الناصر لهم فهو يتولى أمرهم بنصرهم وتأييدهم فهذه ولاية خاصة ويقربهم إليه عز وجل فإن معنى الولاية تتضمن معنى الحب والنصرة والتقريب فالله عز وجل ولي المؤمنين ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾[محمد: ١١] أي لا ناصر لهم، ليس معنى ذلك أنه لا يتولى أمرهم بالإحياء والإماتة والضر والنفع الله يتولى أمرهم بذلك.

وكما قال سبحانه وتعالي محذراً من ابتاع أهواء الكفرة من أهل الكتاب قال ذلك لنبيه ﷺ والمقصود غيره ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة: ١٢٠] وقال مرشداً عباده المؤمنين إلى التوكل عليه وطلب النصرة منه وحده ﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴾[النساء: ٤٥] فالله هو الذي يتولى أمر عباده المؤمنين بحفظهم وتأييدهم ونصرتهم وهو سبحانه وتعالي يحبهم.. وهو سبحانه وتعالي يستجيب دعائهم.. وهو سبحانه وتعالي ينصرهم علي من خالفهم وعاداهم وهو نعم المولي ونعم النصير..

فلا غالب لمن تولاه وإذا أراد بقوم سوء فلا مرد له وما لهم من دونه من وال ينصرهم ويتولى أمرهم بالإصلاح لشأنهم وقدر أراد الله عز وجل السوء بهم جزاء بأعمالهم ولسوء معتقدهم.

فالله عز وجل يتولى أمر المؤمنين بما لا يعلمون وبما لا يتصوره الكفار ولا غيرهم وكم نصرهم سبحانه في مواطن كثيرة وكم نصرهم وهم قلة أذلة كما قال ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[آل عمران: ١٢٣]، وقال ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤٩] ، فالله عز وجل يتولى نصر المؤمنين ولذا لا يعرج كثيراً علي أسباب الدنيا بل لا يعرجون عليها بقلوبهم مطلقاً إنما يأخذون بما قدروا عليه منها معتمدين علي ولاية الله الذي ينصرهم علي من خالفهم حين ييأس الناس من ذلك ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾[يوسف: ١١٠] كما قال سبحانه وتعالي ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾[البقرة: ٢١٤].

وولايته سبحانه للمؤمنين بقدر إيمانهم وقربهم منه وبقدر ذلك يقربهم ويقترب منهم ويحبهم ويتولاهم، فإن من تولى الله تولاه الله سبحانه وتعالي، ومن عدله سبحانه أن يولي كل أمة ما كانت تبعد يوم القيامة فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان

يعبد القمر القمر ويتبع ما كان يعبد الطواغيت الطواغيت ومن تولي الله عز وجل وعبده وفوض إليه أمره وتوكل عليه وحده جعله الله عز وجل آمناً من أن يتبع هؤلاء الذين يعبدون من دون الله فيتساقطون في جهنم وإنما ينتظرون الله ربهم حتى يأتيهم فيسجدون له ويتبعونه فينجيهم سبحانه كما نجاهم وكما نصرهم في الدنيا ينصرهم يوم القيامة ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ﴾[غافر: ٥١].

الحميد

" الذي ثبت له جميع أنواع المحامد، وهل يثبت الحمد إلا لذي له عزة وسلطان، فله الحمد يقول وخيراً مما نقول لا نحصي ثناء عليه هو كما أثني علي نفسه وكيف يحصي العبد الضعيف ثناء علي العلي الكبير".

الحميد الذي تثبت له جميع أنواع المحامد أي له الحمد المستحق للحمد وهو المحمود فهو حمد نفسه عز وجل وأمر عباده أن يحمدوه له الحمد علي كمال أسماءه وصفاته وكماله في ذاته وله الحمد علي نعمه وأفضاله علي عباده وله الحمد من كل وجه له الحمد في الأولى والآخرة له الحمد علي كل حال علي المحبوب للعباد والمكروه لا يحمد علي مكروه سواه وذلك لما في تقدير ذلك من الحكمة، قال النبي ﷺ :" أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله". وهذا يدلك علي أن الثناء علي الله دعاء له فهو دعاء عبادة وثناء يحبه الله تعالي بل ويفضله علي دعاء المسألة، وابتدأ الله كتابه بالحمد وختم الأمر بالحمد ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[الزمر: ٧٥].

وجعل آخر كلام أهل الجنة في كل مرة ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[يونس: ١٠].

قال الحسن: إن أهل دخلوا النار وإن حمد الله لفي قلوبهم لا يجدون إلا غير ذلك سبيلا أي لا يستطيعون إلا أن يقروا بأن الله عز وجل محمود علي ما فعل حتى من إدخاله النار وإن كانوا يعذبون ويتألمون ولكنهم يرون عدله وحكمته ويرون أنه وضع الأشياء في موضعها ولا يملكون غير ذلك..

وهل يثبت الحمد إلا لذي العزة والجلال فله الحمد كما يقول وخيراً مماً نقول لا نحصي ثناء عليه هو كما

أثنى علي نفسه وكيف يحصي العبد الضعيف ثناء علي العلي الكبير كان النبي ﷺ يقول :" الهلم لك الحمد كما تقول وخيراً مما نقول " فإن العبد لا يحصي الثناء علي الله لأنه يعلم كيف هو إلا هو عز وجل فكيف يحصي العبد ثناء علي الله سبحانه وتعالي فهما أثني العبد علي ربه لم يحصي الثناء بل هو يستحق أكثر من ذلك عز وجل لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت علي نفسك سبحان الله وبحمده.

جعل الحمد أثقل ما في ميزان العبد يوم القيامة علي لسان نبينه ﷺ :" الطهور شطر الإيمان والحمد الله تملأ الميزان "، " سبحان الله والحمد الله تملآن ما بين السماء والأرض" وقال" كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان علي اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحانه الله العظيم"، وذلك لأن العبد إذا سبح الله فبحمده سبحه.. سبحه متلبساً بحمده كما روى في الأثر أن داود عليه السلام قال:" يا رب كيف أشكرك وشكرك نعمة تحتاج إلى شكر، فقال يا دواد الآن شكرتني، وهذا حسن المعنى فالعبد يسبح الله ويحمد متلبساً بحمده لذا ورد تكرار " سبحان الله وبحمد " في الأذكار المتعددة في الركوع والسجود وأذكار الصباح والمساء وفي غير موضع كما كان النبي ﷺ يكثر أن

يقول في ركوعه:" سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي"، بعد- أن أنزل عليه ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾[النصر: ٣].

والملائكة يسبحون بحمد ربهم، والنبي ﷺ يظهر فضله في المقام المحمود من محامد يثني بها علي الله حيث ورد في الحديث :" فأخر لله ساجداً فيفتح على من محامده وحسن الثناء عليه ما لم يفتحه علي أحد قبلي " فكلما حمد العبد ربه عز وجل كلما علا قدره وكلما أثني علي الله قربه الله ورفع منزلته وقال النبي ﷺ :"

إن الله ليرضى من العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمد عليها" وشعور العبد بأن هذه النعمة من الله عظيمة وأن الله سبحانه هو المتفضل بها من غير مقابلة من العبد الذي لا يستطيع شكرها ولا الثناء علي الله عز وجل بها مما يجعل حمده وشكره لله عز وجل مقبولاً.

المحصي

المحصي الذي أحصي كل شيء عددا وهو القائل ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾[يس: ١٢].

قال عز وجل ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾[مريم: ٩٣ - ٩٥].

" اللهم إنا نسألك من فضلك العظيم أن تهدينا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، آمين، يا حي يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام، يا بديع السموات والأرض، برحتك نستغيث، اللهم رحمتك نرجو فلا تكلنا

إلا أنفسنا ولا إلى أحد من خلقك طرفة عين، وأصلح لنا شأنا كله لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين".

فله الحمد علي مقتضى حكمته في جميع خلقه وأمره فجميع ما يفعله ويأمر به هو موجب ربوبيته ومقتضى أسمائه وصفاته وله الحمد علي جميع أفعاله وله الحمد علي خلقه الأبرار والفجار وعلي خلقه الملائكة والشياطين وعلي خلقه الرسل وأعدائهم وهو المحمود علي عدله وحكمته في أعدائه كما هو المحمود علي فضله ورحمته علي أولياؤه وكل ذرة من ذرات الكون شاهدة بحكمته وحمده كما قال تعالي ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ﴾[الإسراء: ٤٤] وقال تعالي ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾[التغابن: ١] وقال تعالي ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾[القصص: ٦٨] ﴿وَرَبُّكَ يَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ وَمَا يُعۡلِنُونَ ۝٦٩ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾[القصص: ٦٩ – ٧٠].

وعلمنا النبي ﷺ في ذكر الاعتدال من الركوع:" ربنا لك الحمد ملء السموات والأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد " وفي الذكر عقب الصلوات " لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو علي كل شيء قدير".

وفي دعاء الافتتاح من صلاة الليل:" اللهم لك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ولك الحمد أنت نور

السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق وثناؤك حق والساعة حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق و محمد ﷺ حق " والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة والمقصود أن الرب عز وجل لا يكون إلا محموداً كما لا يكون إلا رباً إلهاً فله الحمد كله لا شريك له في حمده كم لا شريك له في ملكه وإن بعض خلقه محموداً كالرسل والعلماء فمرجع ذلك الحمد إليه، كما أن مصدره وموجبه منه تعالي وهو الذي جعلهم كذلك، هذا أنه الملك لا شريك له فيه ملكه ويرزق ببعض عباده إذا شاء ملكاً وهو مالكه وكما أنه العليم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء فيعلم بعض عباده من علمه ما شاء، وقال في ذكر عبده يعقوب عليه السلام ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ﴾[يوسف: ٦٨] ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾[الطلاق: ١٢].﴿وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا﴾[الجن: ٢٨].

فلا شيء يفوته والله سبحانه وتعالي يحصي علي العباد أنفاسهم وحركاته وسكناتهم ثم يحاسبهم عليها عز وجل، فأنفس العباد يسألون عنها يوم القيامة، ولحظات حياتهم لا ينسأها الله كما قال ﴿أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾[المجادلة: ٦]، فلا يجوز للعبد أن ينسى ذنوبه والله عز وجل يحصيها عليه يعدها، والله سبحانه لا يغيب عنه شيء لذلك فالعبد المؤمن يراقب ربه عز وجل يكثر من الاستغفار من ذنوبه لأنه يعلم أن الله قد أحصى كل شيء وأحاط بكل شيء، وهو القائل ﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾[يس: ١٢].

المبدئ – المعيد

" الذي قال وهو أصدق القائلين ﴿ يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾[الأنبياء: ١٠٤] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾[الروم: ٢٧] أني يعجزه إعادته وقد خلقه من لم يك شيئاً كل يعلم ذلك ويقربه بلا نكير " فبداية الأمور كلها من الله سبحانه وتعالي، فهو ابتدأ خلق الخلق بتقدير أمورهم، وكل الأمور أولها منه عز وجل لأنه الأول المبدي الذي يبدي ويعيد ولذا ليس لأحد غيره ابتداء ولا إعادة في الخلق والأمر، فالأمر كله ابتداؤه منه عز وجل فهو يبدي الأمور كلها، وهو يبدي الخلق أي ابتدأ خلقهم وأنشاؤهم وهو يأمر فيهم بما شاء، ويعيد ما شاء كيف شاء في الوقت الذي يشاء، وإعادة الخلق كان أهون عليه من ابتدائها لأن ابتدائها كان علي غير مثال السابق أيسر في بداهة العقول وفي الفطر التي ركزها في النفوس وقد ذكر عز وجل في الإبداء والإعادة قوله ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴾[البروج: ١٢ – ١٣] وذلك للدلالة علي كمال قدرته وأن الخلق لا يملكون ابتداء ولا إعادة ولذا لا يملكون من السلطان شيئاً ولا يقدرون علي شيء إلا أن يقدرهم الله سبحانه وتعالي، فمن استحضر ذلك خاف بطش الرب عز وجل وخاف عذابه وحسابه يوم القيامة ولم يظن أن البشر يملكون له ابتداء أو إعادة في شيء من أمره كله فالأمر كله له وحده لا شريك له.

فالأمر كله بيد الله عز وجل حتى أهل الباطل لا يمكنهم البداءة بباطلهم ولا إعادته إلا بإذن الله كما قال ﴿ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾[سبأ: ٤٩] ونعبد الله علي هذا المعنى في حكاية عن الصراع بين الحق والباطل فقال

﴿ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴾[البروج: ١٣].

المحي المميت

فلو اجتمع الخلق علي إماته نفس هو محييها أو أحياء نفس هو مميتها لم يكن ممكنا وهل يقدر المخلوق الضعيف علي دفع إرادة الخالق العلام".

المحي المميت الذي انفرد بالإحياء والإماتة فهو الذي أحيا خلقه من العدم ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[البقرة: ٢٨].

وكما ذكر سبحانه وتعالي أنه يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ، ذلك أنه يحي من العدم ويميت من شاء من الأحياء وهو امتفرد بالحياة الدائمة الباقية وحده لا شريك وحياة وهبها الله لهم كما شاء وكما أراد وبيده وحده أن ينزعها منهم، ولذا فالعبد المؤمن كما أيقن أن الموت والحياة بيد الله عز وجل وأن الله هو المحي المميت وهو الذي كتب الآجال وكتب الأرزاق فإنه لا يُخاف من الناس أن يميتوه قبل أجله الذي قدره له.

ولذا فهو لا يحرص علي حياة مهينة ذليلة في معصية الله أو مخالفة أمره كما يحرص الكفرة الذين هم أحرص الناس علي حياة من اليهود والمشركين الذي يود لو يعمر أحدهم ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر فيشترون الحياة الرخيصة لعدم يقنهم أن الله هو المحي المميت وأما أهل الإيمان لما أيقنوا أن الله هو المحي المميت بذلوا في سبيل الله وتعرضوا لما يخاف كل الناس أن يتعرضوا له من المخاطر متوكلين علي الله فكتب الله لهم الحياة في الدنيا بالعزة والكرامة ولمن مات منهم في البرزخ والآخرة بالنعيم المقيم وجعل من بذل حياته واستشهد في سبيل الله جعل حياته في البرزخ حياة كاملة، فجعل أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت، فالله وحده هو المحي المميت فإذا قضى الله علي أحد بالموت فلا يجوز أحد أن يعترض علي ذلك بل عليهم أن يقابلوا ذلك بالتسليم والرضا والصبر علي القضاء الذي قضاء الله سبحانه

وتعالي وهكذا فهمت أم سليم عندما قبض ابنها فقالت لزوجها أبي طلحة:" أرأيت لو أن قوماً أعاروا عاريتهم أهل بيت فأرادوا أخذ عاريتهم أفلهم أن يمنعوهم؟! قال: لا . قالت فاحتسب ابنك" فهي ترضيه وتصبره علي فراق ابنه .

وفي تعزية النبي ﷺ لابنته في وفاة ابنها، قال: " إن لله ما أخذ ولله ما أعطى وكل شيء عنده بأجلٍ مسمى فلتصبر ولتحتسب" والأمر له عز وجل فإذا من علي عبد بنعمة الحياة فليعلم أن ذلك ابتلاء من الله عز وجل لكي يعمل بطاعة الله فلا يظن أن الحياة التي وهبت له ملك له فيظن أن له التصرف فيها كيف شاء قال:﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾[الملك: ١ – ٢]

فالله عز وجل ابتلانا بالموت والحياة ليلونا أي ليختبرنا، أينا أحسن عملاً والأحسن وهو الخالص الصواب الموافق لشرعه عز وجل، فمن ظن أن حياته ملك له يتصرف فيها كيف يشاء ويفعل فيها ما يريد فهو جاهل ظالم معتد وذلك أنها بالقطع وهبت له ولا يستطيع الجزم بغير ذلك فهو أوجد في الحياة لم يوجد نفسه ولم يخبر متى يحي ومتى يموت فأني له أن يدعي الحرية والملك وأنه يفعل ما يريد، وكما أن الحياة هبة من الله فكذلك ينزع الله عز وجل من العبد حياته في الوقت الذي يريده هو عز وجل دون إرادة من العبد ولا يستطيع العباد أن يردوا الموت من أحد أراد الله موته كما قال ﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ۝٨٣ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴾ [الواقعة: ٨٣ – ٨٤] أي: إذا بلغت الروح حلق الميت وهم حوله ينظرون ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ۝٨٥ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴾[الواقعة: ٨٥ - ٨٦] أي محاسبين﴿ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[الواقعة: ٨٧] " أي الروح " وهم لا

يستطيعون، وذلك علامة علي أن العباد لا يملكون شيئاً من الموت أو الحياة فكيف لا يحاسبون والروح نزعت منهم قهراً كما أنها أُدخلت في أجسادهم قهراً؟!! فهو المتفرد بالإحياء والإماتة، وهو أحيا الخلق أولاً ويحييهم يوم القيامة ثانياً ذلك وهو عز وجل جعل الموت سابقاً علي الحياة وذلك لأن العدم ميت ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[البقرة: ٢٨] فهو يميت العباد مرتين ثم يحييهم مرتين ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴾[غافر: ١١].

ثم نهاية الأمر أن يذبح الموت بين الجنة والنار ثم يقال لأهل الجنة يا أهل الجنة خلود لا موت، ويا أهل النار خلود لا موت ويزداد أهل الجنة نعمياً إلى نعيمهم ويزداد أهل النار عذاباً إلى عذابهم.

وكما انفرد سبحانه بإحياء الأبدان وإماتتها فكذلك تفرد بإحياء القلوب وإماتتها يحي القلوب بمعرفته والإيمان به وحبه ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[الأنعام: ١٢٢].

بل جعل الله عز وجل وحيه إلى رسوله روحاً يحي القلوب بها ونور تستنير به القلوب وتدفع بها ظلمتها، وتحيا القلوب حياة مطمئنة بذكر الله ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾[الرعد: ٢٨] ويحيا حياة الهداية بالإيمان ﴿ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾[التغابن: ١١] وإذا علم العبد ذلك فعليه أن يسأل الله أن يحي قلبه كما

كان النبي ﷺ يدعو :" يا مقلب القلوب ثبت قلبي علي دينك " يتوجه العبد إلى الله لأنه وحده الذي يحي ويميت وهو وحده يملك القلوب " القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء" وعليه أيضاً أن يأخذ بأسباب حياة القلوب من الطاعات الواجبة والازدياد من النوافل وأن يسعي في تزكية نفسه وقلبه بتحقيق عبادات القلب من المحبة والخوف والرجاء والتوكل والصبر.. إلخ كما أن القلوب يحيها الله بالطاعات فكذلك يمتها بالمعاصي أو يمرضها بتلك المعاصي كما قال النبي ﷺ :" تعرض الفتن علي القلوب كعرض الحصير عوداً عوداً فأيما قلب أنكرها نكتت فيه نكتة سوداء حتى تعود القلوب علي قلبين قلب أبيض كالصفا لا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض وقلب أسو د مرباداً كالكوز مجخيا لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً".

قال عز وجل ﴿ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ﴾[الرعد: ١٦] وبالقطع لا يستوي هذا ولا تستوي هذه.

سرت مغرباً وسارت مشرقا فشتان بين مشرق ومغرب

كذلك مرض القلوب هو نوع من الفساد يحصل له يفسد به تصوره وإرادته فتصوره بالشبهات التي تعرض حتى لا يري الحق أو يراه علي خلاف ما هو عليه وإرادته بحيث يبغض الحق النافع ويحب الباطل الضار فلهذا يفسر المرض تارة بالشك والريب كما فسر مجاهد وقتادة ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾[البقرة: ١٠] أي شك، وتارة يفسر بشهوة الزنا كما فسر به قوله ﴿ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٌ ﴾[الأحزاب: ٣٢] ومرض القلب ألم يحصل في القلب كالغيظ من عدو استولى عليك وذلك يؤلم القلب قال تعالي ﴿ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٍ مُّؤۡمِنِينَ ﴾[التوبة: ١٤] فشفاؤهم بزوال ما حصل في قلوبهم من الألم.. والمرض دون الموت فالقلب يموت بالجهل المطلق ويمرض بنوع من

الجهل وموت ومرض وحياة وشفاء لما في الصدور ومن في قلبه أمراض الشبهات والشهوات ففيه من البينات ما يزيل الحق من الباطل فيزيل أمراض الشبهة المفسدة للعلم والتصور والإدراك بحيث يرى الأشياء علي ما هي عليه، وفيه من الحكمة والموعظة الحسنة بالترغيب والترهيب والقصص التي فيها عبرة ما يوجب صلاح القلب فيرغب القلب فيما ينفعه ويرغب عما يضره فيبقى القلب محباً للرشاد مبغضاً للغي بدل أن كان مريداً للغي مبغضاً للرشاد، فالقرآن مزيل للأمراض الموجبة للإرادات الفاسدة حتى يصلح القلب من الإيمان والقرآن فتصلح إرادته ويعود إلى فطرته التي فطر عليها كما يعود البدن إلى الحال الطبيعي ويغتذي القلب من الإيمان والقرآن بما يزكيه ويؤيده كما يغتذي البدن بما ينميه ويقومه فإن زكاة القلب مثل نماء البدن فالقلب يحتاج أن يتربي فينمو ويزيد حتى يكمل ويصلح كما يحتاج البدن أن يتربى بالأغذية المصلحة له ولابد مع ذلك من منع ما يضره فلا ينمو البدن إلا بإعطاء ما ينفعه ومنع ما يضره، كذلك القلب لا يزكو فينمو ويتم إصلاحه إلا بحصول ما ينفعه وما يضره فالصدقة يزكو بها القلب ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [التوبة: ١٠٣] ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [فصلت: ٦ – ٧] ﴿ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾و كذلك فإنما تحصل بإزالة اشر فلهذا صار التزكي يجمع هذا وهذا قال عز وجل ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [فصلت: ٦ – ٧] وهي التوحيد والإيمان الذي به يزكو القلب فإنه يتضمن نفي إلهية ما سوى الحق من القلوب وإثبات إلهية الحق في القلب وهو حقيقة لا إله إلا الله وهذا أصل ما يزكو به القلوب.. والاعتدال هو صلاح القلب كما أن الظلم فساده ولهذا جميع الذنوب يكون الرجل فيها ظالماً لنفسه فصلاح القلب في العدل وفساده في الظلم والعمل له أثره في

القلب من نفع وضر وصلاح قبل ره في الخارج فصلاحها عدل لها وفسادها ظلم لها قال تعالي ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ﴾[فصلت: ٤٦].

قال بعض السلف: إن للحسنة لنوراً في القلب وقوة في البدن وضياء في الوجه وسعة في الرزق ومحبة في قلوب الخلق وإن السيئة لظلمة في القلب وسواداً في الوجه ووهناً في البدن ونقصاً في الرزق وبغضاً في قلوب الخلق.. وأصلح صلاح القلب هو حياته واستنارته قال تعالي ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ ﴾[الأنعام: ١٢٢] لذلك ذكر حياة القلوب ونورها وموتها وظلمتها في غير موضع كقوله ﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[يس: ٧٠] وقوله تعالي ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾[الأنفال: ٢٤] قال ﴿ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[الأنفال: ٢٤] وقال تعالي ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾[يونس: ٣١] ومن أنواعه أنه يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن وفي الحديث الصحيح :" مثل البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه مثل الحي والميت ".

وفي الصحيح أيضاً:" اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبوراً" وإنما المقصود هنا ذكر حياة القلوب وإنارتها وفي الدعاء المأثور :" اجعل القرآن ربيع قلوبنا ونور صدورنا " والربيع هو المطر الذي ينزل من السماء فينبت به النبات والقلب الحي المنور فإنه لما فيه من النور يسمع ويبصر ويعقل، كذلك القلب الميت فإنه لا يسمع ولا

يبصر قال تعالي﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[البقرة: ١٧١].

واعلم أن حياة القلب ليست مجرد الحس والحركة الإرادية أو مجرد العلم والقدرة ، بل الحياة صفة قائمة بالموصوف وهي شرط في العلم والإرادة والقدرة علي الحياة الاختيارية وهي أيضاً مستلزمه لذلك فكل حي له شعور وإرادة وعمل اختياري بقدرة وكل ماله علم وعمل اختياري فهو حي والحياء مشتق من الحياة فإن القلب الحي يكون صاحبه فيه حياء يمنعه من القبائح فإن حياة القلب هي المانعة من القبائح التي تُفسد القلب ولهذا قال النبي ﷺ:" الحياء من الإيمان " والوقاحة الصلابة، ولهذا كان الحي يظهر عليه التأثر بالقبح وله إرادة تمنعه من فعل القبح بخلاف الوقح الذي ليس بحي فلا حياة معه ولا إيمان يزجره عن ذلك، فالقلب إذا كان حياً فمات كان ذلك هو الموت الحقيقي وأما فراق النفس البدن فليست هي في ذاتها ميتة بمعنى زوال حياتها عنها ولهذا قال تعالي ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴾[البقرة: ١٥٤].

وقال ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾[آل عمران: ١٨٥] فالموت المثبت غير الموت المنفي: المثبت هو فراق الروح البدن والمنفي زوال الحياة بالجملة عن الروح والبدن.. والقلب إنما خُلق لأجل حب الله تعالي فالله سبحانه فطر عباده علي محبته وعبادته وحده فإذ ا تركت الفطرة بلا فساد كان القلب عارفاً بالله محباً به عابداً له وحده لكن تفسد فطرته من مرضه كأبويه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه وهذه كلها تغير الفطرة ثم يعود الفطرة إذ يسر الله لها يبتلي بحب غيره أصلاً فضلاً أن يبتلي بالعشق وحيث ابتلى بالعشق نقص محبته لله وحده ولهذا لم يبتل يوسف بذلك بل قال تعالي ﴿

﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾[يوسف: ٢٤].

وأما امرأة العزيز فكانت مشركة فلهذا ابتليت بالعشق فإذا كان الله أحب إلى العبد من كل شيء وأخوف عنده من كل شيء لم يحصل معه عشق ولا مزاحمة إلا عند غفلة أو عند ضعف هذا الحب والخوف يترك بعض والواجبات وفعل بعض المحرمات.. أهـ بتصريف

والأحياء والإماتة لا تقتصر علي الأبدان والقلوب بل تتعداها إلى الأرض والنبات والأمم .

الحي الدائم الباقي

" الحي الدائم الباقي الذي لا يموت وكل ما سواه زائل ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ٢٦ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾[الرحمن: ٢٦ – ٢٧].

حياة الله عز وجل حياة دائمة لا يعتريها نقص ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾[البقرة: ٢٥٥].

وهذا نقص حياة العباد فالعباد حياتهم لا تتم إلا بالنوم بل لا تحصل لهم حياة إلا إذا كانوا أولاً أمواتاً ثم وهبت لهم الحياة ولا تستمر ولكن لابد أن **تنتهي بالموت، كل من سواه عز وجل ز ائل بمعنى يموت، ذلك أن الله خلق الخلق أولاً من العدم كان ولم يكن غيره ثم إنه خلق الخلق سبحانه وأوجده أما في النهاية فالله عز وجل متفرد بالحياة يميت من سواه من الأحياء ويتفرد هو بالحياة ليظهر بذلك قدرتهم عليهم ثم يحييهم بمشيئته عز وجل ويبقى من شاء حياً منهم بإذنه كما ذكرنا أن الله عز وجل يأمر**

بذبح الموت وكما قال سبحانه وتعالي عن أهل الجنة ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡۖ ﴾ [إبراهيم: ٢٣] فمن يبقيهم الله من الأحياء بعد موتهم جميعاً فإنما يبقيهم بإبقاءه لهم عز وجل وهو حده المتفرد بالحياة التي لا موت معها ولا موت قبلها ولا بعدها، وموت الخلائق كلها بمن فيهم أهل السماء هو الذي تدل عليه الأدلة العامة مثل ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِ ﴾[آل عمران: ١٨٥] وقوله سبحانه ﴿ كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ﴾ [الرحمن: ٢٦] ولكن هذه في أهل الأرض وقال الضحاك في قوله: ﴿ نَحۡنُ قَدَّرۡنَا بَيۡنَكُمُ ٱلۡمَوۡتَ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴾[الواقعة: ٦٠].

قال:" كتبه علي أهل الأرض والسماء " أو كما قال رحمه الله، والآيات صريحة في موت كل الخلائق بعمومها وذكر النبي ﷺ موت الملائكة في أحاديث لكن سندها فيه مقال، حسن ابن القيم حديثاً منها وذكر أن العلماء تلقوه بالقبول وهو حديث لقيط بن عامر ذكر فيه موت الملائكة الذين عند ربك وذُكر في حديث الصور الطويل وهو حديث ضعيف لكن الذي فيه من موت الملائكة واحداً بعد واحد إلى أن يموت ملك الموت نفسه فهذا شاهده ما ذكرنا من الآيات العامة.

قال المصنف " كل شيء هالك إلا وجهه " وليس معنى ذلك الانعدام فإن الموت هو مفارقة الأرواح للأبدان وليس أنه انعدام الأبدان أو انعدام الأرواح بل البدن يتحول إلى شيء آخر ويبقى شيء لا يبلي وهو عجب الذنب كما قال النبي ﷺ :" كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب منه خلق ومنه يركب الخلق يوم القيامة " جزء منه صغير وليس كل عظم عجب الذنب الذي و مؤخر فقار الظهر ولكن يبقى منه مثل الذرة أو نحو ذلك علي هيئ تها كعظم لا تبلي ولا تتحول إلى تراب تماماً وأما الأرواح فإنها لا تفني ولا تنعدم ولكنها تفارق الأبدان وهذا هو الموت الذي خلقه الله علي الخلائق فحياته

سبحانه حياة دائمة باقية لا تشبه حياة المخلوقين بل تليق بجلاله وعظمته فنحن لا ندري كيف حياتنا نحن ولا ندري م عناها في سر من أسرار الله لا نحيط به علماً وإنما نرى مظاهره ودلائله ونعرف الفرق بين الحي والميت فكيف إذا لم نعلم كيفية حياتنا لنا أن يخطر ببالنا التفكير في كيفية حياة الرب سبحانه وتعالي.

القيوم

الذي قام بنفسه ولا قوام لخلقه إلا به، فهم محتاجون إليه في كل شيء ومن آياته أن تقوم السموات والأرض بأمره فلا يحتاج إلي شيء وكل شيء إليه فقير.

" قوله القيوم " سبحانه وتعالي القيوم والقيام والقيم والقائم كل ذلك ورد في الكتاب والسنة قال النبي ﷺ " اللهم لك الحمد لك الحمد أنت رب السموات والأرض ولك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن " وفي بعض الروايات " أنت قيوم السموات والأرض ".

القيم أي القائم بأمر السموات والأرض فالله عز وجل قائم عليهم بأمره وقائم عليهم بما كسبوا ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآيِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾[الرعد: ٣٣] فهو متطلع عليهم ويحاسبهم سبحانه علي ما صدر منهم.

واسم القيوم هو الاسم الجامع لصفات الأفعال فهو قائم بأمر السموات والأرض يدبرها وأفعاله كلها منها العطاء والمنع والخفض والرفع والإعزاز والإذلال والإماتة والإحياء كل ذلك من القيام بأمر السموات والأرض، ولذلك مشهد القيومية هو المشهد الدال علي توحيد الربوبية وشهود قيومية الرب عز وجل أي أنه الذي يدبر أمر خلقه والذي يملك أمر خلقه والذي يملك أمر خلقه والذي يحي ويميت.. يخلق ويعدم سبحانه وتعالي.. يسعد ويشقي.. يعطي ويمنع يخفض ويرفع.. يفعل ما يشاء.

فاسم القيوم الاسم الدال علي صفات الأفعال كلها، واسم الحي القيوم ورد ما يدل علي أنه من ضمن اسم الله الأعظم كما قال النبي ﷺ :" اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب في ثلاث سور من القرآن البقرة وآل عمران وطه " (عن أبي أمامة مرفوعاً) وبالتأمل نجد أن هذه السور قد تضمنت اسم الحي القيوم، قال عز وجل في سورة البقرة آية الكرسي أعظم سورة آية في كتاب الله ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾[البقرة: ٢٥٥] وفي آل عمران ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾[آل عمران: ٢ – ٣] ط ه ﴿ * وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمًا ﴾[طه: ١١١].

فاسم الحي الاسم الجامع لصفات كما الذات وذلك أن من لوازم الحياة سائر صفات الكمال ولا يمكن أن يتصف بصفات الكمال من السمع والبصر والعلم والقدرة والعلم إلا من هو حي، واسم القيوم الاسم الجامع لصفات الأفعال فالتوحيد العلمي الخبري مجموع في الإيمان باسم الحي القيوم وسمع النبي ﷺ رجلاً يقول :" اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم " فقال: قد سأل باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب ".

وهذا مما ينبغي أن يكثر العبد الدعاء به، ويكفي أنه في آية الكرسي أعظم آية ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾[البقرة: ٢٥٥] وتضمنت توحيد الربوبية والأسماء والصفات والألوهية دلت عليه هذه الجملة الله لا إله إلا هو الحي القيوم، وتضمنت توحيد الربوبية والأسماء والصفات والألوهية دلت عليه هذه الجملة الله لا إله إلا هو الحي القيوم، اسم الحي الدال علي كمال الذات والصفات الذاتية، واسم القيوم الدال

علي الصفات الفعلية ومعها توحيد الربوبية، ولا إله إلا هو الدال علي توحيد الألوهية.. فانتظم التوحيد كله في هذه الآية العظيمة وفي الأسماء الحسنى.

من قال :" أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ثلاث مرات غفرت ذنوبه وإن كان فر من الزحف".

وقال النبي ﷺ لفاطمة ابنته:" ما يمنعك أن تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث فأصلح لي شأني كله ولا تكلني إلي نفسى طرفة عين ". الذي قام بنفسه فلا يحتاج لأحد إذ هو الأول سبحانه.

الواحد الأحد

" الذي لا شريك له من ألوهيته وربوبيته وأسماءه وصفاته وملكوته وجبروته وعظمته وكبريائه وجلاله، لا ضد له ولاند ولا شبيه ولا كفؤ ولا عديل ".

أي الواحد في ذاته فلا يتجزأ أولا ينقسم سبحانه وتعالي فليس شيء من صفاته يعد أجزاء له ولذلك أهل العلم لا يقولون عن صفات الوجه واليدين ونحو ذلك أبعاض وأجزاء لله ولكن يقولون باتفاقهم أنها صفات لله عز وجل ولا يجوزونه أن يقال أجزاء لله، تعالي الله عن ذلك، لأنه الواحد سبحانه وتعالي.

والواحد في ذاته ينافي ما اعتقده النصارى من التثليث الذي يقولون به وهو أن الواحد ثلاثة في نفس لا وقت وهذا من تناقضهم وباطلهم الذي كفرهم الله به بقوله ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ﴾[المائدة: ٧٣].

سواء قالوا هو الأب والابن والروح القدس أو يقولون الأب والابن كما كانت طائفة منهم تعتقد في مريم وقد انقرضت وكل ذلك من الكفر المنافي للوحدانية التي بعث بها صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

أما الأحد: فهو في الألوهية والربوبية أقرب وأبلغ وذلك في نفي الشريك والكفؤ والند والند هو النظير المناوئ، كما قال عز وجل ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[الإخلاص: ٣ – ٤] .

لا عديل أي ليس هناك ما يعادله ولا يكافئه ولا يماثله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[الشورى: ١١] سبحانه وتعالي لا سمي له ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾[مريم: ٦٥].

فلا يوجد من يتسمى باسمه وله من معاني اسمائه ما له عز وجل وإن سمى الله بعض خلقه ببعض أسمائه فإن لهم معنى يليق بهم، والله عز وجل له حقيقة المعني الكامل بلا نقص ولا يشبه ما به من صفات الله عز وجل المؤمنين.

الصمد

" الصمد " من الأسماء الدالة علي الكمال المطلق ويجمع عدة من المعاني وفسرها السلف بعدة تفسيرات كلها حق ولا ينافي بين بعضها البعض، المعني الأول.

قال" الذي يصمد إليه جميع الخلائق في حوائجهم ومسائلهم فهو المقصود إليه في الرغائب المستغاث به عند المصائب فإليه منتهى الطلبات ومنه يسأله قضاء الحاجات وهو الذي لا تعتريه الآفات وهو حسبنا ونعم الوكيل، فهو السيد الذي قد كمل في سؤدده، العظيم الذي قد كمل في صفات الكمال ولا تنبغي هذه الصفات لغير الملك الجليل ".

اسم الصمد من الأسماء الدالة علي الكمال المطلق التي تجمع عدة من المعاني يفسرها السلف بعدة تفسيرات لا تنافي بين بعضها البعض..

وأما المعني الأولي: هو بمعني الذي يصمد إليه.. تقصده جميع الخلائق في حوائجهم ومسائلهم فهو المقصود إليه المطلوب منه سبحانه، المستغاث به المسئول الذي يسأله العباد، فهو الصمد التي تصمد إليه الخلائق .. تلجأ إليه وتطلب منه وتقصده سبحانه وتعالي.

أما المعنى الثاني:

وهو كما ذكره ابن عباس رضي الله عنه أيضاً:" فهو السيد الذي قد كمل في سؤدته.. العليم الذي قد كمل في علمه.. العظيم الذي قد كمل في عظمته.. الذي قد كمل في صفات الكمال " وهذا أشمل التفسيرات ويشمل غيره.

المعنى الثالث:

عن ابن مسعود وابن عباس قالا:" الذي لا جوف له "، وقال الشعبي:" هو الذي لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب"

قال عز وجل ﴿ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾[الأنعام: ١٤] و قال ﴿ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴾[الذاريات: ٥٧].

حيث أن الخلق الأجوف خلق ضعيف لا يتمالك كما في الحديث :"" أن إبليس جعل يطيف بآدم قبل أن تنفخ فيه الروح فجعل يدخل في فمه ويخرج من دبره فلما رأى أنه خَلق خلقاً أجوفاً علم أنه لا يتمالك " أو كما قال ﷺ فهو لا يملك نفسه وله رغبات وحاجات وشهوات هذه منبعها من كونه أجوف له جوف.. الله عز وجل صمد لا يأكل ولا يشرب لا جوف له غني عمن سواه سبحانه وتعالي.

المعني الرابع:

فسر اسم الصمد بما بعده من قوله تعالي ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾[الإخلاص: ٣] .

فالله عز وجل لا والد له ولا ولد وهو يتضمن اسم الأول والآخر فلا ولد له لأنه لا يموت وهو الآخر، ولم يولد لأنه الأول الذي ليس قبله شيء، وإنما يلد ويولد من يموت وحفظ جنسه بالولادة .

المعنى الخامس :

عن الحسن وقتادة:" الباقي بعد خلقه ".

المعني السادس:

عن عبد الله بن بريدة " الصمد نور يتلألأ فالله عز وجل نور السموات والأرض أي منورهما هو عز وجل حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه أي أنوار وجهه ما انتهي إليه بصره من خلقه".

وهذه التفسيرات كلها داخله في التفسير الثاني الذي ذكرناه من قبل.

القادر المقتدر

" الذي إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه علي كل شيء قدير "

قوله المقادر المقتدر والقدير كلها أسماء تدل علي كمال قدرة الله عز وجل وأكثرها تكراراً في القرآن القدير قال عز وجل ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧيَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾[القيامة: ٤٠].

سبحانك اللهم وبحمدك بلي، والقدير صيغة مبالغة دالة علي كمال القدرة فلا يعتري قدرته عز وجل نقص فلينظر العبد إلي آثار قدرة الله في هذا الوجود ليعلم أن قدرة الله تعالي أتم القدرة ولا نقص فيها، لا يعييه شيء ولا يتعب من شيء ولا يصيبه

لغوب، ولا يعجزه شيء ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾[ق: ٣٨].

فقدرته سبحانه شاملة لكل شيء.. قدرة علي ذوات العباد وقدرة علي أفعالهم شاملة لأفعالهم الاختيارية وأفعالهم الاضطرارية والله علي كل شيء قدير، والقدر قدرة الله سبحانه و تعالي أي منبع الإيمان بالقدر.. الإيمان باسمه القدير والكل تحت قدرته وهو سبحانه لعظيم قدرته جعل العباد يفعلون ما يريد بمشيئتهم التي خلقها لهم وبقدرتهم التي جعلها فيهم وجعلهم يفعلون ما يريد لكمال قدرته لا يكرهون لأن الإجبار بمعنى الإكراه منبعه من نقص القدرة والذي لا يقدر أن يفعل غيره ما يريد يكرهه علي ذلك ويجعله يفعله ذلك رغماً عنه ونفسه تأباه فيظل في نفسه لا يفعل وإنما يفعله مطلقاً الإيمان،.

الله أقدر من ذلك إذا أراد أن يفعل العباد شيئاً جعلهم يفعلون بمشيئتهم لأنهم لا يشاءون إلا كما يشاء الله سبحانه وتعالي، فالإيمان بقدرة الله الشاملة لأفعال العباد الاختيارية والاضطرارية واجب في الإيمان بأسماءه وصفاته وواجب في الإيمان بقضاؤه وقدره، وكلمة الإمام أحمد" القدر قدرة الله " مما استحسنه أهل العلم وذكروا أن ذلك حقيقة الإيمان بقدر الله سبحانه وتعالي .

والتأمل في الحياة والموت ببعث هذه المعاني أي معاني قدرة الله عز وجل قال تعالي ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ ﴾

[البقرة: ٢٥٩] وهذه القصة تبدو غريبة علي الناس مع أنها تحدث أمامهم متمثلة في الكتكوت وخروجه من البيضة ووجود الجنين في بطن أمه..

المقدم المؤخر

المقدم المؤخر بقدرته الشاملة ومشيئته النافذة علي وفق ما قدره الله وسبق به علمه وتمت به كلمته بلا تبديل ولا تغيير فهو سبحانه وتعالي يقدم من شاء ويؤخر من شاء في الوجود والأزمنة المختلفة وفي المراتب والمنازل كذلك، والله سبحانه وتعالي هو الذي علم المتقدمين منا والمتأخرين هو الذي قدمهم في الوجود كما ذكرنا نحن لم نوجد باختيار منا ولا إرادة نحن لم نختر الزمن الذي ولدنا فيه ولو أراد الله سبحانه أن يجعل وجودنا متقدماً عما نحن فيه أو متأخراً لفعل ما أخترنا اليوم الذي وجدنا وولدنا فيه الله الذي قدر ذلك سبحانه فقدر من شاء في الوجود وأخر من شاء في الوجود وكذلك الله عز وجل يقدم ويؤخر من شاء في المراتب والمنازل كما حذر النبي ﷺ عن التأخر في الصلوات وقال:" ولا يزال الرجل يتأخر عن الصلاة حتى يؤخره الله" فهو سبحانه يوفق من شاء لما شاء بحكمته وعلمه بما يناسب كل عند من العباد، وكذلك سبحانه ويقدم ويؤخر من شاء في الآجال والأعمار وكذلك في الأعمال.

الأول والآخر والظاهر والباطن

" الأول فليس قبله شيء والآخر فليس بعده شيء والظاهر فليس فوقه شيء والباطن فليس دونه شيء هكذا فسره البشير النذير".

هذه الأسماء الأربعة من الأسماء الحسنى ذكرها الله عز وجل مجتمعة بعطوف بينهما بالواو وعلي خلاف طريقة ذكر الحسنى متتابعة مثل ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا

﴿هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[الحشر: ٢٣].

فقال ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

وذلك لإثبات الجمع بينهما والله أعلم فإن المخلوقات الأول لا يكون أخراً والآخر منها لا يكون أولاً لأن مبدأ المخلوقات العدم ونهايتها الفناء كما قال عز وجل ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[القصص: ٨٨].

وقال النبي ﷺ :" كان الله ولم يكن شيء غيره ". من حديث عمران بن حصين في الصحيحين بهذا اللفظ وهو نص قاطع في أن الخلق كلهم كانوا عدماً ولم يكن شيء موجود ثم أوجد الله سبحانه وتعالي الخلق كما قال النبي ﷺ :" إن أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب. قال: ما أكتب قال: أكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة " ومع صحة الحديث بهذا اللفظ فهو نص قاطع في أن أول المخلوقات القلم فالبدء [إن] يبعد من احتمال أن تكون " أول " ظرف زمان أي تكون بمعنى عند أول خلقه قال له ذلك، وهذه الأدلة تثبت أن المخلوقات لها أول وبداية ولم تكن شيء قبلها.. كل المخلوقات كانت عدماً محضاً ثم أوجدها الله سبحانه وتعالي.

فالله الأول الذي ليس قبله شيء وهذا إثبات صفة الأولية والتي يطلق عليها المتكلمون صفة القدم وقد ورود ما يدل علي صحة استخدام هذا المعنى في قول النبي ﷺ عند دخول المسجد:" أعوذ بالله بالعظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم " والقديم هنا بمعنى الأول إذ أن سلطان الله أزلى ولكن أكثر استعمال القديم في اللغة ليس كذلك بل فيما يقدم غيره كما قال عز وجل ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ

﴿ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴾ [يس: ٣٩] وقال عن إبراهيم ﴿ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[الشعراء: ٧٥ – ٧٧].

فالقديم هو ما تقدم وسبق غيره ولا يلزم من ذلك معنى الأزلية عند العرب ولكنها قد تستمل في هذا المعني ولذا لم يرد في أسماء الله الحسنى اسم القديم فمن أطلقه أراد اسم الأول وهو الذي ينبغي أن يقال في الأسماء الحسنى وهذا الاسم والأدلة السابقة ثبت أن المخلوقات لها أول وأهل السنة مجمعون علي ذلك وإن اختلفوا في أول مخلوق فقال بعضهم القلم وهو الصحيح الذي دل عليه الحديث السابق، ومنهم من قال العرش وهو ترجيح ابن القيم، ومنهم من قال الماء وغير ذلك بلا دليل ظاهر عليها، والصحيح أن أول المخلوقات هو القلم ولم يخلق قبل ذلك شيئاً وكان هو سبحانه متفرداً بالبقاء والوجود وهو سبحانه متفرد بالبقاء كذلك كما قال ﴿ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ ﴾[القصص: ٨٨].

ولا يلزم من ذلك فناء المخلوقات بل تموت وتتحول كما يشاء الله عز وجل وقال ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِ ﴾[آل عمران: ١٨٥] **ثم بعد ذلك يبقى سبحانه وتعالي من شاء وكيف شاء ويخلدهم بقدرته فهو وحده الآخر الباقي بذاته والخلوقات لا يبقون بذواتهم بل يبقون بإبقاء الله لهم كما قال سبحانه وتعالي عن المؤمنين** ﴿ وَأُدۡخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡۖ تَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴾[إبراهيم: ٢٣].

فالخلود بإذنه عز وجل، وثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ أخبر بذبح الموت بين الجنة والنار ويقال" يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود لا موت" فتبين بذلك أن هناك مخلوقات لا أخر لها أي تبقي علي الدوام في النهاية وليس ذلك في البداية فليس هناك مخلوقات لا أول لها أول، بل لها أول بإجماع المسلمين وما قد يفهم من كلام بعض أهل العلم ككلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله من أن الأول الذي ليس قبله شيء وتضعيفه للأحاديث الثابتة في الصحيح التي لم يطعن عليها وتوهيم الرواة بلا دليل مثل طعنة في رواية :" كان الله ولم يكن شيء غيره" والصحيح أنها ثابتة ومفسرة لرواية " ولم يكن شيء قبله " بل هي أصرح منها في الدلالة وكذلك حمل حديث " أول ما خلق الله القلم " علي فتح " أول " فتكون جملة فعلية ويكون المعني" عند أول خلق الله القلم قال له اكتب" وهذا كلام ضعيف لصحة الرواية بزيادة "إن " وهذا نص في أن الجملة اسمية وأن " أول " مبتدأ، ثم أصبح اسم إن بعد ذلك والقلم خبر إن وقبل دخولها فهو خبر المبتدأ فيكون " أول " مرفوعة ، ولكن كلام ابن رحمه الله محمول علي أن الله لم يزل فعالاً لما يريد وأن أعمال الرب عز وجل لا أول لها وليس أن مخلوقات الرب لا أول لها بل أفعال الرب لا أول لها وتسمى حوادث وهذا هو الصحيح من أقوال أهل العلم وحادثة ليست بمعنى مخلوقة عند أهل السنة الذين اثبتوا أن أفعال الرب تسمى حادثة، ولكن بمعنى أنها تقع حسبما يشاء وتكون في وقت دون وقت كما قال النبي ﷺ حاكياً عن الأنبياء عليهم السلام يوم القيامة قولهم " إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولم يغضب بعده مثله" وفي الحديث :" ينزل ربنا إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر" وقال تعالي ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴾[طه: ١١] وقال عز وجل عن يوم القيامة ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴾[الفجر: ٢٢].

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[الأعراف: ٥٤].

فنسبه أفعال الرب إلى الأزمنة لا نزاع فيها بين أهل السنة وإنما ينازع فيها المتكلمون حين نقول حوادث لا أول لها، نقصد بذلك أفعال الله عز وجل، أما أن يقال مخلوقات الرب لا أول لها فهذا كلام باطل قطعاً ومجزوم به في فطر العباد جميعاً أن الخلق كانوا عدماً محضاً ثم أوجدهم الأول سبحانه وتعالي.

أما في النهاية فلا يلزم ذلك بل الله عز وجل يبقى ويخلد ما يشاء تبقي وتخلد أعيان وذوات أهل الجنة وأهل ويبقي العرض ومن شاء الله من الملائكة ولا تمني الحور العين وكذا كل ما في الجنة لا يبلى وكلما بلي منه شيء تجدد مكانه غيره وهناك مخلوقات لا آخر لها وأما مخلوقات لا أول لها فلا بإجماع المسلمين .

وأما أفعال الرب لا أول لها أي لم يزل الرب يفعل أشياء لا نعلمها قبل خلقه للخلق لم يزل فعالاً لما يريد سبحانه وتعالي .

والظاهر

معناه أنه فوق الخلق جميعاً وجعل العرش سقفاً لجميع المخلوقات واستوى عليه وظهوره وعلوه سبحانه صفة لازمة من صفاته عز وجل صفة الاستواء صفة فعلية أما صفة العلو ف صفة ذاتية لله عز وجل.

فالظاهر كما فسر النبي ﷺ بقوله:" أنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء ".

فهو ﷺ لم يقل أنت داخل كل شيء تعالي الله عن ذلك علواً كبيراً وإنما قال :" ليس دونك شيء ".. الجنة والنار مخلوقات لا أول لها أهل الجنة وأهل النار.. العرش

هذه مخلوقات بلا نهاية، لا نهاية لأهل الجنة ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ ﴾[النساء: ٥٧] فكل المخلوقات لها أول بل جنس المخلوقات لها أول وقد يفهم البعض من كلام ابن تيمة أن جنس المخلوقات بلا بداية وأما أعيانها فلها أول فما من مخلوق إلا وقد له مخلوق، كما أنه ما من مخلوق إلا وبعده مخلوق من أهل الجنة وأهل النار في الآخر .. يعني ما من عذاب لأهل النار وينتهي إلا وبعده عذاب وما يحترق جلده إلا وبعده جلد وهكذا بلا نهاية، وأهل الجنة ما إن ينتهي نعيمهم إلا وتجدد لهم نعيم آخر وهكذا بلا نهاية، ولكن البعض يظن أنه ما من مخلوق إلا وله مخلوق وبالقطع لا، واختلاف العلماء في هل القلم أول مخلوق أم العرش، دليل علي إثبات أنه هناك أول، وأما الآخر فهناك مخلوقات ليس لها آخر.

التعبد باسمه الظاهر

فإن العبد إذا تحقق علوه المطلق سبحانه علي كل شيء بذاته وأنه ليس فوقه شيء ألبتة وأنه قاهر فوق عباده يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه قال تعالي: ﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ ﴾[فاطر: ١٠]. صار لقلبه أمماً يقصده و رباً يعبده وإلهاً يتوجه إليه بخلاف من لا يدري أين ربه فإنه ضائع مشتت القلب ليس لقلبه قبله يتجه نحوها، ولا معبود يتوجه إليه قصده.

وكذلك إذا استحضر العبد بأن الله الظاهر اليس فوقه شيء تصعد إليه أعمال العباد وتعرض عليه وهذا يدفعه إلى المراقبة لله عز وجل وأن يعبد الله كأنه يراه فالإحسان ثمرة من ثمرات الإيمان بأن الله هو الظاهر وليس فوقه شيء وأنه هو الباطن الذي ليس دونه شيء.

الباطن

الذي ليس دونه شيء فلا يظن ظان أن الله داخل الأشياء فالرسول ﷺ فسرها أحسن تفسير وأبين تفسير وذلك أن الله هو الظاهر فليس فوقه شيء فيستحيل أن يكون حال في المخلوقات، كالبعض الذي يفهم هذا بدون تفسير رسول الله ﷺ قد يضل ضلالاً عظيماً أن يعتقد أن الله باطن الأشياء أي داخلها فالرسول ﷺ قال :" الباطن الذي ليس دونه شيء " دونه أي: لا يحَجبه شيء عن شيء ولا يواري شيء عنه شيئاً فلا تواري منه سماء سماء ولا أرض أرضا لأن الله أقرب شيء إلى الخلق، فكل شيء له قرب وبعد يليق به وبحسبه ولا يوجد إلا والله عز وجل أقرب إليه من نفسه، فالله أقرب إلى كل شيء من نفسه وهذا يدل علي عدم الحلول فلا يقال أن الملح قريب من الماء بل الملح داخل الماء ولا نقل قريب منها فكلمة قريب تدل علي انفصال الذات لذا أهل السنة مجمعون علي أننا نقول أن الله فوق عرشه بائن من خلقه" أي منفصل عن الخلق ولا يحل فيهم وبعض من توهم أن القرب يدل علي الحلول فقالوا قرب العلم ليردوا هذا المعنى الباطل وليس تأويلاً في الحقيقة وإن كان معنى القرب أعم من معني العلم فالعلم من لوازم القرب فالصحيح أن نقول قرب عليم وليس القرب هو العلم لأن القرب يكون بالسمع و العلم والقدرة .. إلخ، وقرب كل شيء يليق به، وكما أن الأشياء المخلوقة إذا أطلق القرب والبعد بالنسبة إليها اختلف المعنى فإذا قلنا هذا الجسم قريب من هذا الجسم فهم المعنى، أما قولك فلان قريب من الناس فلا نعني بذلك قرب البدن، كما قال النبي ﷺ عن المؤمن "كل قريب هين ليس سهل " قريب: أي الناس تشعر بقربه منهم، كذلك تقارب الأرواح مع تباعد الأبدان وهذا مفهوم في اللغة ولا يحتاج إلى تأويل فلا يقال أن القرب هو من صفات الأجسام فمن الذي ذلك؟! العرب وكل أهل اللغات يستعلمون القرب للأشياء الحسية والأشياء المعنوية ومنه قولهم هذا المعنى قريب من هذا المعنى، ومعنى القرب نفسه ينافي معني الحلول، فكذلك القرب في حق الله لا يعني الحلول فهو قرب علم وإحاطة أي من لوازمه العلم والإحاطة والسمع والبصر والكلام، ولا خلاف بين أهل السنة أن من اعتقد حلول الرب في المخلوقات أنه

كافر خارج من الملة، وقد كفر النصارى لاعتقادهم حلول الرب في المسيح فكيف بمن يعتقد حلول الرب في المخلوقات كلها تعالي الله عن ذلك علواً كبيراً.

فالرسول ﷺ قال" أنت الباطن فليس دونك شيء " فلا يواري منه ظاهراً باطنا ولا يكون السر عنده بعيداً عن العلانية بل عنده شهادة والسر عنده علانية والظاهر له باطن والبعيد منه قريب.

فهو عز وجل قريب من كل مخلوق إليه من نفسه قرب العلم والإحاطة والقدرة لا يقدر علي شيء إلا والله عليه أقدر والله هو الذي يقدره علي ذلك وهكذا.

وهذه الأسماء الحسنى مدارها علي الإحاطة الزمنية والمكانية بمعنى أن الله عز وجل كان قبل كل شيء وباق بعد كل شيء فأحاطت أوليته وآخريته بالقبل والبعد وأحاط ظهروه بكل شيء فهو كل شيء وأحاطت باطنيته وعلمه وإحاطته وقدرته بكل شيء فهو أقرب إلى كل شيء من نفسه ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾[ق: ١٦]. والآية ظاهر جداً في أن المتكلم هو الله عز وجل.

فلا نحتاج إلى تأويل الآية بأن الله قريب بملائكته يقوله بعض أهل العلم، بل الله هو أقرب إلى كل إنسان من نفسه قرب يليق به عز وجل كما قاله ابن جرير في التفسير.. قرب لا ينافي في علوه وفوقيته لأن كل شيء بحسنه فنحن نعلم قرب الأرواح من بعضها ولا ندري كيف ذلك وإنما قد ندرى قرب الأجسام بعضها من بعض لأنها محسوسة لنا ولكن غير ذلك يطلق عليه أيضاً القرب، فإذا قلنا الله يقرب من خلقه سبحانه كيف شاء وهذه من صفته عز وجل فهذا يليق بجلاله وعظمته سبحانه وتعالي .

التعبد باسم الباطن

فإذا شهدت إحاطته بالعوالم وقرب البعيد منه وظهور البواطن له وبدو السرائر وأنه لا شيء بينه وبينها فعامله بمقتضى هذا الشهود وطهر له سريرتك فإنها عند علانية وأصلح له غيبتك فإنه شهادة وزك له باطنك فإنه عنده ظاهر .اهـ بتصرف يسير من طريق الهجرتين.

وكذلك أيضاً التعبد باسمه الباطن يقتضي أن يصلح الإنسان له سره وعلانية وغيبه وشهادته ويزكي له باطنه لأنه يعلم أنه عند ظاهر وأنه سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار الكل عنده سواء سبحانه وتعالي.

والتعبد لله عز وجل باسمه الأول

علي رتبتان:-

الرتبة الأولي:- أن تشهد الأولية منه تعالي في كل شيء والآرية بعد كل شيء والعلو والفوقية فوق كل شيء والقرب دون كل شيء، فالمخلوق يحجبه مثله عما هو دونه فيصير الحاجب بينه وبين المحجوب، والرب ﷻ ليس دونه شيء أقرب إلى الخلق منه.

والمرتبة الثانية:- أن يعمل كل اسم بمقتضاه، فيعامل سبقه تعالي بأوليته لكل شيء، وسبقه بفضله وإحسانه الأسباب كلها بما يقتضيه ذلك من إفراده وعدم الالتفات إلى غيره والوثوق بسواه والتوكل علي غيره، فمن ذا الذي شفع لك في الأزل حيث لم تكن شيئاً مذكوراً حتى سماك باسم الإسلام ووسمك بعلامة الإيمان وجعلك من أهل قبضة اليمين وأقطعك في ذلك الغيب عمالات المؤمنين فاضرع إلى الذي عصمك في السجود للظلم وقضى لك بعدم الصدق في القدم أن يتم نعمة هو ابتدأها عليك وكانت أوليتها منه بلا سبب منك بل هو الذي جاد عليك بالأسباب ولا تقتع بالخسيس الدون وعليك بالمطالب العالية والمراتب السامية التي لا تنال إلا بطاعة الله، فإن الله سبحانه وقضي أن

لا ينال ما عنده إلا بطاعته، ومن كان لله كما يريد كان الله له فوق ما يريد فمن أقبل إليه تلقاه من بعيد ومن تصرف بحوله وقوته ألان له الحديد ومن ترك لأجله أعطاه فوق المزيد، ثم اسم يسرك إلى المطلب الأعلى واقصر حبك وتقربك علي من سبق فضله وإحسانه إليك كل سبب منك، بل هو الذي جاد عليك بالأسباب وهيأها لك وصرف عنك موانعها، وأوصلك بها إلى غايتك المحمودة، فتوكل عليه وحده وعامله وحده وآثر رضاه وحده واجعل حبه ومرضاته هو كعبة قلبك التي لا يزال طائفاً بها، مستسلماً لأركانها واقفاً بملتزمها، فيا فوزك ويا سعادتك بما يفضيه عليك من ملابس نعمه وخلع أفضاله، " اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد، سبحانك وبحمدك".

وكذلك يتعبد لله بشهود الفضل منه فلا يظن بنفسه أنها مصدر الخير وأن الكمال الذي بها منها بل يعتقد اعتقاد جازماً أن ليس منها إلا الظلم والجهل وإن ما بها من خير فمن الله سبحانه وتعالي فهو الذي من بهذا الخير وهو الذي تفضل به فهذا يقطع العجب من القلب ويقطع التفات العبد إلى أحد من الخلق من نفسه ومن غيره لا يلتفت إلا إلى فضل الله.

التعبد باسم الآخر

ثم تعبد له باسمه الآخر بأن تجعله وحده غايتك التي لا غاية لك سواه ولا مطلوب لك وراءه فكما انتهت إليه الأواخر وكان هو سبحانه بعد كل آخر فكذلك فاجعل نهايتك إليه، فإن إلى ربك المنتهي إليه انتهت الأسباب والغايات فليس وراءه مرمي ينتهي إليه، ومن التعبد باسمه الآخر كذلك عدم الركون والوثوق بالأسباب فإنها تنعدم لا محالة وتنقضي بالآخريه ويبقى الدائم بعدها بالتعلق بها تعلق به تعلق بالحي الذي لا يموت.

فتعبد إليه بكمال التوكل عليه واللجوء إليه لكي يتم عليك النعمة التي هو ابتدأها سبحانه وتعالي فلا تثق بغيره وكذلك بان تجعل نهايتك إلى الله.. نهاية قصدك ونيتك وحبك تجعله نهايته إلى الله عز وجل بالإخلاص له عز وجل، فالتواضع لله وعدم الإعجاب بالنفس من ثمرات التعبد باسم الأول، والإخلاص لله عز وجل بأن تجعل غاية عملك بل إذا كان لك حاجات دنيوية جعلت من ورائها نية صالحة تنتهي إلى الله فتثاب علي ذلك، فالإخلاص والتوكل من ثمرات التعبد باسم الآخر، وأيضاً من أعظم ثمرات الإيمان باسم الظاهر الإخلاص لله عز وجل واستحضاره ملكه سبحانه وتعالي وتدبيره الكون كله فهو سبحانه وتعالي الذي يدبر الأمر من السماء إلى الأرض أوامره نازلة إلى أقطار العالم كله لينفذ أمره كما كان فشهود ذلك أن يكون للعبد رباً يقصده وأمماً يعبده وصمداً يصمد إليه، يعلم أن الأمور من عنده لا من ها هنا من الأمر لا تقدر هاهنا الأمور من عنده عز وجل وهذا يجعله لا يخاف ولا يرجو سوي الله سبحانه وتعالي، وكذلك إذا استحض العبد.

فانظر إلى شرف العلم بأسماء الرب تبارك وتعالي وصفاته واشكر نعمه سبحانه عليك، وطهر قلبك من أرجاس الجحود والانكار والتعطيل فالحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه.

وخلاصة ذلك أن اسم الله الأول يدفع إلى التواضع لله وعد العجب بالنفس واسم الله الآخر يدفع إلى الإخلاص لله واسمه الظاهر يدفع إلى الإخلاص والمراقبة واسمه الباطن يدفع إلى إصلاح السر والعلانية والغيب والشهادة وأن يزكي الإنسان باطنه.

الوالي

" الوالي فلا منازع له ولا مضاد المتعالي عن الشركاء والوزراء والنظراء والأنداد"

اسم الوالي والولي متقاربان والوالي هنا بمعنى الحاكم علي العباد ما يشاء فلا منازع له ولا مضاد كوناً ولا شرعاً، لا يجوز أن ينازع أحدُ الله في حكم حكم به شرعا ولا يقع ذلك كونا، نعني مضاد لأمر الله الكوني في الكون ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[يس: ٨٢].

أما الأوامر الشرعية فهناك من يخالفها، وكما ذكرنا المعني أنه لا يجوز لمؤمن أن يعتقد أن أحد له حق التعديل أو الاعتراض أو المضادة لشرع الله، بل من رأي أن له أن ينازع أو لغيره أن ينازع في أمر الله به فهو لم يؤمن بالله سبحانه وتعالي، فالله هو الوالي الحاكم الآمر الناهي المدبر.

المتعال

" المتوالي عن الشركاء والوزراء والنظراء والأنداد "

مثل اسم العلي ولكن هنا هذا الاسم أخص بعلو الشأن وإن كان يدل علي معاني العلو الثلاثة إلا أنه أكثر استعمالاً في معنى علو الشأن، والشريك الذي يملك مع الله علي سبيل الشرك، الوزير: هو المعاون، والنظير: المماثل والند: هو المناوي، تعالي الله عن ذلك.

البر

البر وصفاً وفعلاً ومن بره المن علي أولياءه بإنجائهم من عذابه كما وعدهم علي ألسنة رسله إنه لا يخلف الميعاد، فالله عز وجل بر كريم رحيم رفيق يحب الرفق في الأمر كله وذلك وصفه في ذاته عز وجل وفعله في خلقه وعباده المؤمنين فهو يبرهم أي يرحمهم ويرفق بهم رفقاً خاصاً، قال ﷺ:" إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله" وكما قال تعالي

عن عباده المؤمنين ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ۝٢٧ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴾[الطور: ٢٧ – ٢٨]

التواب

" الذي يرزق التوبة من يشاء التوبة فيتوب عليه وينجيه من عذاب السعير " التوبة وهي الرجوع.. تاب أي رجع، فالله سبحانه وتعالي تواب كثير التوبة علي عباده إذا رجعوا واعترفوا بذنوبهم ندماً وعزماً ألا يعودوا ومفارقة للفعل عاد إليهم برحمته سبحانه وتعالي وعطاؤه وقبول توبتهم، يرزق من يشاء التوبة فيتوب عليه فالله عز وجل يتوب علي العبد أولاً بأن يأخذ بقلبه إليه ويلهمه أن يرجع إلى الله ويقذف في قلبه حب طاعته سبحانه والرغبة في أن يلتزم بشرع الله فهذه توبة أولى فإذا فعل الله ذلك بعبده تاب العبد ورجع إلى الله وأقلع عن ذنبه واستغفر ربه وتاب إليه وندم وأقعل عن الذنب وعزم ألا يعود فعند ذلك يتوب الله عليه توبة ثانية كما قال ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١١٧ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [التوبة: ١١٧ – ١١٨].

فالتوبة الأولي قبول التوبة، تاب عليهم ليتوبوا توبة قبل توبتهم أي وفقهم للتوبة، لذا قال أهل العلم توبة العبد بين توبتين من ربه فالتوبة الأولى لكي يوفق ويرجع إلى الله

فإذا فعل ذلك تاب الله عليه توبة ثانية قال ﷺ :" من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه.

المنتقم

" الذي لم يقم لغضبه شيء وهو شديد العقاب والبطش والانتقام " ورد في الكتاب مقيداً، قال تعالي ﴿ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾[السجدة: ٢٢] وقال ﴿ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾[آل عمران: ٤].

وأورده الشيخ مطلقاً معرفاً بالألف واللام ولم يذكر فيه انتقامه من الكفار إلا أنه مفهوم حيث أن الانتقام من صفات الأفعال فالله عز وجل ينتقم ممن شاء فنزل به غضبه وعقابه بعدله وحكمته .

فالله لم يقم لغضبه شيء وهو الشديد العقاب والبطش والانتقام يكره الله عز وجل من الكافرين كفرهم ومعاصيهم وينزل بهم عقوبته علي قدر ذنوبهم، إنما هو ينتقم من المجرمين كما قال تعالي﴿ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾[السجدة: ٢٢].

والتعبد بهذا الاسم

هو أن يخاف العبد انتقام الله وغضبه وعذابه ويتضرع إلى الله أن يغفر له ولإخوانه المؤمنين ويري آيات الله في الانتقام من أعدائه.. ويري أنه يمهلهم ولا يهملهم ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر سبحانه وتعالي.

العفو

بمنه وكرمه عن الذنوب والآثام والعفو من التجاوز والمسامحة فالله عز وجل أولى بالجواز، هو سبحانه وتعالي يعفو عن خلقه كما قال ﷺ لعائشة لما سألته إن وافقت ليلة

القدر ماذا أقول :" اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني" فليس للعبد أمل ولا رجاء إلا في عفو الله عز وجل وتجاوزه عما سلف من ذنوبهم.

الرؤف

الرؤوف بالمؤمنين ومن رأفته بهم أن نَزل علي عبده آيات مبينات ليخرجهم من ظلمات الكفر إلى الإسلام.. ومن رأقته بهم أن اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة مع كون أنهم ملكه ولم ينزع عنهم التوبة قبل الحمام – قبل الموت .

وهذا اسم خاص بالمؤمنين مثل معني الرحمة والرفق وهناك معني عام للكفار.. للخلق جميعاً بمعني الرحمة العامة التي ذكرنا في اسم الرحمن، ولكن المعني الأكثر استعمالاً أنه رؤوف بالمؤمنين، وذلك لما فعل بهم من أنواع الخير والفضل سبحانه وتعالي.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾[التحريم: ٨].

وهذا من رأفته ورحمته أنه لم ينزع عنهم التوبة قبل الموت بل لا يزال باب التوبة مفتوحاً حتى يغرغر العبد، كما قال ﷺ :" تقبل توبة العبد ما لم يغرغر " وهذا دليل علي رأفته ورحمته ورفقه عز وجل بهم.

مالك الملك

يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء سبحانه وتعالي".

فالله الملك وهو مالك الملك، يهب الملك لمن يشاء من مؤمن وكافر وبر وفاجر فوهب ملكاً لفرعون وعذبه، ووهب ملكاً لذي القرنين وأكرمه فهو سبحانه وتعالي الدنيا لمن أحب ومن لم يحب ولكنه لا يعطي الدين إلا لمن أحب ومن أعطاه الله الدين فقد أحبه، وهو سبحانه أحب من عباده أن يكونا عبيداً وهذا أحب إليه من أن يكونوا ولذلك اختار لنبيه ﷺ أن يكون عبيداً رسولا من أن يكون ملكاً نبيا وعاش ﷺ عيشه العبد ولم يعش عيشه الملك، بل كان خلفائه الراشدون رضوان الله تعالي عنهم كذلك عاشوا عيشة العبيد اتباعاً وخلافة لنبيهمﷺ، ولم يعيشوا عيشة الملوك فيما يعطون ويتركون وفيما يظهرون من أنواع الظهور لم يعشوا كذلك، كانوا بلا بوابين ولا حراس وكانوا يرقعون الثياب كما قالت عائشة رضي الله عنها عن حال النبي ﷺ يخسف نعله ويرقع ثوبه ويعتقل الشاة وهكذا كان الصحابة رضي الله عنهم خلفاؤه الراشدون.

واسم مالك، الملك، يتوسل به المؤمنون إلى الله عز وجل لإذهاب ملك الكافرين وإذلالهم وخزيهم في الدنيا والآخرين وعزة المسلمين ونصرهم علي عدوهم كما وعدهم سبحانه وتعالي .

ذي الجلال والإكرام

والعزة والبقاء، والملكوت والجبروت والعظمة والكبرياء.

ذي الجلال هو اسم ذو عدة معاني كلها معاني الكمال، فمعاني الجلال معاني العلم التام والقدرة والسمع التام وسائر معاني الكمال والغني التام والقدرة التامة ونحو ذلك، فالله عز وجل ذو الجلال الإكرام

وهناك معني آخر للإكرام أن الله ذي الإكرام بمعنى أنه يكرم عباده المؤمنين والمعني الأول هو الأشهر عند السلف..

" إكرام " المعني الأول: أي أن الله يعظمه عباده، وهو ذو الإكرام المستحق للتعظيم .

المعني الثاني :- هو عز وجل الذي يكرم من شاء من عباده والأول كما ذكرنا قول الأكثر. أي: التعظيم.

المقسط

الذي أرسل رسله بالبينات وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وما للظالمين من أنصار .

فالمقسط الحكم العدل كما ذكرنا في اسمه العدل سبحانه وتعالي، القسط العدل من معناً واحد فهو عز وجل حكم عدل مقسط وأمر بالقسط وهو عز وجل يحب المقسطين وجعل المقسطين علي منابر من نور علي يمين الرحمن وكلتا يديه يمين سبحانه وتعالي، وكما ذكرنا من قبل في اسمه العدل أنه عز وجل عدل في أحكامه القدرية وعدل في أحكامه الجزائية.

الجامع

لشتات الأمور وهو ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴾[آل عمران: ٩].

الله يجمع كل ما تشتت إذا شاء سبحانه كما قال ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ جَمۡعِهِمۡ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٞ ﴾[الشورى: ٢٩]، ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ ﴾[آل عمران: ٩].

فمهما تباعدت الأزمنة والأمكنة فالله يجمع الناس ليوم القيامة لا ريب فيه سبحانه إنه لا يخلف الميعاد.

الغني – المغني

فلا يحتاج إلى شيء، ولا تزيد في ملكه طاعة الطائعين ولا تنقصه معصية العاصين من عباده وكل خلقه مفتقرين إليه لا غني بهم عن بابه طرفه عين فهو سبحانه غني بذاته عن كل ما سواه، أغني عباده المؤمنين بذكره والقرب منه وعبادته عز وجل ومن لم يحصل علي ذلك فهو الفقير في الحقيقة، فالله عز وجل جعل غني عباده المؤمنين بما أعطاهم من الإيمان به وقال ﷺ :" ليس الغني عن كثرة العرض ولكن الغني غني النفس".

فالله عز وجل هو الغني بذاته ويغني من يشاء من عباده وليس الغني عن كثرة المال وكثرة أعراض الدنيا، ولكن غني النفس بما أعطاه الله من عبوديته سبحانه والقرب منه فعند ذلك لا تلتفت إلى غيره.

وهو كما قال عز وجل :" يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني..

يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا علي أتقي قلب رجل واحد منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئاً.. يا عبادي لو أن أولكم وأخركم وإنسكم وجنكم كانوا علي أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً.. يا عبادي لو أن أولكم وأخركم وإنسكم وجنك قاموا في صعيد فسألوني فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط البحر إذا أدخل فيه ".

الكفيل

" بهم رعاية وكفاية وهو الكريم الجواد وبجوده عم جميع الأنام من طائع وعاصي وقوي وضعيف وشكور وكفور ومأمور وأمير".

وهو الكفيل المتكفل بأرزاق العباد.. متكفل بآجالهم هو سبحانه جعل ذلك له ، هو الذي يأمر به بكن فيكون، وهو سبحانه وتعالي يكف يهم عز وجل ما أهمهم إذا توكلوا عليه ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ﴾[الطلاق: ٢ – ٣].

نور السموات والأرض

نور السموات والأرض ومن فيهن كما وصف نفسه بذلك في كتابه ووصف به مُحَمَّد عبده ورسوله وحبيبه ومصطفاه، وقال ﷺ مستعيناً به :" أعوذ بنور وجهك الكريم الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخر أن يحل بي غضبك أو ينزل بي سخطك ولك العتبي حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك ".

ورغم ضعف إسناد هذا الدعاء وقصته إلا أنه كما قالوا شهرتها تغني عن إسنادها وهذا دعاء عظيم القدر فيه التوسل بالله عز وجل والاستعاذة بنوره سبحانه وتعالي.

هو الله نور السموات والأرض أي منورهما وهادي من فيهما فتور السموات والأرض من نور وجهه كما قال ابن مسعود رضي الله عنه :" إن الله ليس عنده ليل ولا نهار نور السموات والأرض من نوره وجهه" بمعنى أن وجود النور دال علي أن صفة الله عز وجل فإن فاقد الشيء لا يعطيه فلكمال الله وأنه النور خلق النور وجعله في السموات والأرض فالله نور السموات والأرض، أي هادي أهل السموات ومنور السموات والأرض وليس هذا تأويلاً بل تبيين للمعنى وهكذا فسره السلف وهذا لا يمنع أن الله عز وجل له نور وهذا النور صفته كما قال ﷺ:"حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهي إليه بصره من خلقه "سبحات وجهه: أي أنوار وجهه.

فالله سبحانه وتعالي موصوف بأنه النور الهادي وكذلك موصوف بأن وجهه له نور .. فهو سبحانه وتعالي نور السموات والأرض، هادي أهل السموات، منور السموات والأرض ومن فيهن سبحانه وتعالي.

فبصفات ربنا تعالي نؤمن ولكتابه وسنة رسوله نحكم وبحكمها نرضى ونسلم وإن أبي الملحد إلا جحود ذلك وتأويله علي ما يوافق هواه.

الهادي

قال" الهادي الذي بيده الهداية والإضلال فلا هادي لمن أضل ولا مضل لمن هدي ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾[الكهف: ١٧] وقال عز وجل ﴿ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[الأنعام: ٣٩] وقال ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ﴾[البقرة: ١٢٠].﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾[الحج: ٨].

الهادي من أسماء الله تعالي وقد اقترن باسم النور في هذا الموضع فهو سبحانه نور السموات والأرض وهو هادي أهل السموات والأرض وهو سبحانه متفرد بكل أنواع الهداية لخلقه علي الوجه اللائق به عز وجل فالدرجة الأولي من درجات الهداية..

وهي الهداية العامة

لسائر المخلوقات لما يصلحهم، وقال موسى لفرعون عندما سأله عن ربه ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾[طه: ٥٠]، ومن هذه الهداية العامة أنه هدي الذكر كيف يأتي الأنثي وهدي كل شيء إلي معاشه وطرق رزقه وجعل في

الكائنات ما تهتدي به وما تعرف به مصالحها وكثير منها يعرف ذلك من غير تعليم من أبواه بل يقذف الله عز وجل ذلك في قلوبها وعقولها من غير سبق تعليم لها فكائنات عديدة تنشأ بعيداً عن أبوبها ويبحث في طلب رزقها بل وتهاجر طويلة ولا يعرف كيف اهتدت إلى ذلك بالأسباب الظاهرة ولكن يقر أهل الإيمان ويصدقون بأن الله هو الذي هداها.

في بعض الأبحاث العلمية وجد صنف من الطيور يهاجر من جنوب أوروبا إلى شمال البحر المتوسط في فترة الشتاء بحثاً عن الدفء، والعجب أن الطيور تخرج من البيض وتهاجر مسافات طويلة مما جذب انتباه أحد الباحثين لمعرفة السبب المحرك لهذه الطيور وكيف تعرف الطريق وتهتدي لذلك مع طول المسافة وأنه لم يسبق لها الهجرة في الجنوب أدفء من الشمال مع أنها تمر علي مناطق أشد برودة من مواطنها الأصلية؟!! فلا تصلح إذن درجة الحرارة أن تكون هي الباعث لهذه الطيور.. ومع استمرار البحث ظنوا أنه بسبب الجاذبية التي يمكن عن طريقها معرفة الشمال والجنوب فتم وضع أقطاب مغناطيسية في عكس الاتجاه ومع ذلك لم تؤثر تلك الأقطاب المغناطيسية.. وهدي الله أحدهم فوضع أفراخ الطيور الصغيرة فيما يعرف بالقبة السماوية، وهي قبة فيها خريطة للبحر الأبيض المتوسط مع وضعها في عكس الاتجاه الحقيقي فاتجهت الأفراخ علي حسب الخريطة الموجودة مما يدل أن لها خريطة في ذهنها تهتدي بها فسبحان الذي خلق فسوى وقدر فهدي!!

وانظر إلى النحل والنمل ودقة النظام الذي تتبعه تلك الحشرات في مملكتها وكيف تتقن أنواعاً من الأعمال وتعد أنواعاً مختلفة من الطعام فالملكة غذاء وللذكور غذاء خاص وللشغالات غذاء وخاص وكأنها تعلم أن غذاء الملكة غذاء يعمل علي نمو الأعضاء التناسلية في الملكات وضمورها في الشغالات ولكل من الذكور الشغالات

والملكات بيت معين وغذاء معين مع أن هذه الحشرات لا تكاد تبلغ نصف عقله الإصبع ولها في مخها وعضلاتها وتفكيرها هداية عظيمة.

وذكر ابن القيم رحمه الله في أنواع الهداية للحيوانات، أن رجلاً وجد النمل يأتي إلى السكر أو الشاء الذي يعد إذا النمل في أفواج متتابعة فوضع قطعة سكر للنملة في الطريق فظلت تحوم حولها وحاولت أن تحملها فعجزت عن ذلك، فذهبت والتقطت مع مجموعة من النمل ودار بينهم الحوار الله أعلم به، فأتت بالمجموعة وهم في الطريق نزع الرجل قطعة السكر، فجاءت النملة وأخذت تحوم حول المكان الذين كان فيه قطعة السكر وتلف حول هذا المكان فلم تجد شيئاً فرجع النمل معها مرة ثانية ووضع قطعة السكر بعد انصرف النمل وهي كأنها كانت متأكدة من وجود قطعة السكر فوجدت القطعة مرة ثانية فرجعت وأتت بالنمل، فنزع هو قطعة السكر وفعل ذلك ثلاث مرات، في المرة الثالثة اجتمعت النملات حول هذه النملة فشطرتها نصفين، لأنها ظنت أنها نملة كاذبة .. فسبحان الله هذه الحشرات في هداية حتى في أخلاقها ومعاملتها.

ذكر الإمام البخاري رحمه الله عن عمرو بن ميمون" وهو من ثقات التابعين ومن المخضرمين " كان في زمن الرسول ﷺ ولكنه لم ير النبي ﷺ وأدرك عمر بن الخطاب قال:" رأيت في الجاهلية قردة اجتمع عليها قردة قد زنت فرجموها فرجمتها معهم: وساق الإسماعيلي هذه وجه آخر مطلولة " كنت في اليمن في غنم لأهلي وأنا علي شرف فجاء قرد عجوز مع قردة متوسد يدها وكان يريد أن ينام فجاء قرد شاب منه فغمزها فسلت يدها من تحت رأس القرد الأول سلا رفيقاً وتبعته فوقع عليها وأنا أنظر ثم رجعت فجعل تتدخل يدها تحت خد الأول برفق فاستيقظ فزعاً فشمها فصاح فاجتمعت القرود من كل مكان فجعل يصيح ويومئ إليها بيده فذهب القرود يمنه ويسرة فجاء بذلك القرد أعرفه فحفروا لهما حفرة فرجموهما فلقد رأيت الرجم في غير بني آدم ".

والإنسان في داخله أنواع من الهدايات لا يعرف لها حصراً شيء عجيب!! فانظر حتى إلى هداية الخلية وكيفية انتظام حركات جزيئات الغذاء وجزيئات الالكترونات حتى تظل الخلية علي كهربية معينة وكيمياء معينة حتى تظل الظروف الحيوية والحامضية والقلوية داخل الخلية وخارجها منتظمة وتسمح بانتظام الحياة .

وانظر إلى هذه الهداية عندما يحدث هجوم الميكروبات علي جسم الإنسان فتأتي خلايا معينة من كل مكان لها أسماء مختلفة تنضم تحت اسم كرات الدم البيضاء كل منها لها وظيفة معينة وتبدأ في مهاجمة الميكروبات فيقتل عدد كبير منها ويبقي الباقي منها يحاول التهام هذه الميكروبات فمن الذي استدعي هذه الخلايا إلى هذا المكان ؟!! والإنسان في غفلة تامة عن هذه الأمر وربما شعر بالألم في موضع الالتهاب من اللهب وكأنه حريق ويتم استدعاء النجدة ويجد صديد عبارة عن الخلايا الميتة بسبب المعركة التي حدثت فهل لهذه الخلايا عقل حتى تفعل ذلك مع أن حجمها صغيراً جداً؟!! وكذلك المخ لا يحركها بل هي تكونت والإنسان جنين بهذه الطريقة لتؤدي هذه الوظيفة، وهذه خلايا الدم الحمراء التي تنق الأكسجين من الرئة إلى أجزاء الجسم، يوجد منها من ٤:٦ مليون خلية في المليمتر المكعب الواحد وكلها بشكل معين وتسير في اتجاه معين وتعيش في مدة معينة وكذلك تموت وهي تؤدي وظيفة وتقترب من مواضع قبول الأكسجين وتقوم بتوصيله بنسب محددة أدم ما يكون، فسبحان الله الهادي سبحانه وتعالي ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾[طه: ٥٠] فكل هذه المخلوقات دليل علي وجود الخالق والهداية وكذلك وأعظم وأوضح فإن استمرار هذا الخلق علي

هذا النظام من أعظم الأدلة علي ذلك فلو وجد الناس تمثالاً منحوتاً من الصخر في صحراء لا مخلوق فيها لجزموا أن الذي صنع هذا التمثال رجل، عاقل فشأن حياة هذا

الكائن أعظم بكثير جداً من مجرد تكوين شكله فوجود إنسان بأجزائه المختلفة عجيب وأعجب منه استمرار هذا الإنسان في الحياة، فالإنسان يستطيع محاكاة هذا الشكل

بقدر ما ولكن كيف يهبه الحياة فضلاً عن أن يستمر في الحياة.. انظر فهذا " مايكل أنجلوا مثال من مثالي عهد النهضة الأوربية صنع تمثالاً ومن شدة إعجابه به جعل يدق عليه ويقوله انطق.. حتى كسر رجله مع وجود فوارق عظيمة واضحة للعيان بين الجسم المنحوت وجسم الإنسان الحقيقي وما فيه من ملايين الملايين من الهدايات الكثيرة التي لا يعلمها إلا الله وتستمر حياة هذا الإنسان فضلاً عن سائر الكائنات الأخرى التي لا تعي شيئاً.

وانظر إلى هداية الجنين في بطن أمه فإنه إن لم يتعلم المص في بطن أمه فإنه لا يستطيع أن يرضع من ثدي أمه فمن علمه المص وهدي عضلات الفم لذلك، ومن هداه لكي يصرخ بمجرد نزوله من بطن أمه ومن هداه لكي يبلع الطعام؟!! ففي الأطفال ناقصي التكوين لا يستطيع البلع لأنه لا يستطيع تحريك العضلات الخاصة بالبلع وبالتالي ينزل اللبن علي الرئة ويسدها ومهما أعطوا له في فمه فهو لا يستطيع تحريك فمه لأنه لابد يتعلمها وهو داخل بطن أمه ولا يستطيع العالم كله أن يعلمها له وتكون نسبة حياته ضئيلة، ولكل جهاز في جسم الإنسان له نظام خاص في العمل فتخيل لو تغير نظام انقباض المعدة للعكس التي تدفع الطعام لأسفل فشل نظام الغذاء في الإنسان ويهلك هذا الإنسان.

حتى الآن لا يعرف الأطباء كيفية نزول الجنين من بطن أمه فرأسه توجد في وضع معين وعند ولادته تدور بزاوية ١٣٥درجة حسب المرحلة حتى تصبح مهيأة للنزول وهناك خمس نظريات لتفسير لماذا تدور الرأس ولماذا تدور في أحد المراحل بدرجة ٤٥ وفي مراحل أخرى بدرجة ١٣٥؟!!

وقد فسر بعض السلف قوله ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴾[عبس: ٢٠].

أي خروجه من بطن أمه سبحان الله فعلاً سبيل ميسر بدقة وإتقان وإحكام ومن غير ذلك تكون الولادة متعسرة، فنعرف قيمة لماذا ملايين البشر يولدوا بهذه الطريقة المتقنة السهلة و التي يكون غيرها صعب جداً ويسبب حرجاً شديداً وتدخلات عديدة ومعاونة في لف الجنين والجنين نفسه لا يدري عن ذلك شيئاً والأم كل مرادها التخلص من الألم ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ﴾[الأحقاف: ١٥].

فضلاً عن الأب الذي ينتظر أيكون الجنين ذكراً أم أنثي ؟!! فمن الذي هدى هذه الهداية العجيبة ؟!! الله سبحانه وتعالي.. ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾[طه: ٥٠].

فهذا كله يدل علي اتصاف الرب بالحكمة التامة والعلم التام والهداية التامة فهو سبحانه أعطى كل شيء خلقه ثم هدي وفسره كثير من السلف بهداية الذكر للأنثى وهذا تفسير بالمثال، قال عز وجل ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴾ [الأعلى: ١ – ٢]، فالخلق آية عظيمة والتسوية آية أعظم، والخلق والتقدير آية عظيمة ومجدد له سلفاً.. مجد له قبل وجوده ما يسير عليه.

فالجنين في مراحلة الأولي عبارة عن طبقات من الخلايا الطبقة الخارجية يتكون منه المخ والجلد فتهاجر بعض الخلايا وعندما تهاجر تأتيها تغذية دموية وعصبية من المكان التي كانت توجد فيه قبل ذلك فمن ألهمها ذلك ؟!! لأنها تعرف أنها سوف تؤدي الوظيفة بعد ذلك.

ومثال علي ذلك الخصية.. الخصية تنشأ أصلاً في ظهر الإنسان بجوار الشريان الأورطي ولو ظلت في هذا المكان تضمر فلابد وأن تكون في درجة حرارة أقل من درجة حرارة الجسم فتحتاج أن تكو خارج تجويف البطن فتهاجر خلايا الخصية إلى الموضع

الذي سوف ينشأ فيه كيس الصفن، لذلك يقول الأطباء أن التغذية الدموية والعصبية، و كل تغذية الخصية تخرج من الأورطة الظهري ولو بقيت الخصية داخل البطن لسبب من أسباب لضمرت وفسدت وربما تتحول إلى خلايا سرطانية فأنظر إليها وقد هاجرت إلى المكان المعد سلفاً لذا حتى تؤدي وظيفتها بعد اثني عشر عاماً علي الأقل حيث يظل نموها كامن وضعيف وبعد عشرة أعوام تنمو نمواً مختلفاً فكل هذا بتقدير سابق فأعضاء تنمو وأخرى تضمر كل ذلك تقدير الله، فـ الأجهزة الليمفاوية يكون نموها كبيراً في الجنين حيث المناعة أقل فتؤدى وظيفة المناعة ومع مرور الوقت تضمر ويصغر حجمها وهناك خلايا أخرى تنمو نمو معتاد وأخرى يحدث بها طفرة في النمو في السنتين الأولين من العمر ثم نمو قليل نـ سبياً ثم تحدث طفرة بنسبة كبيرة عند البلوغ كل ذلك دليل علي التقدير السابق فهذا التقدير أعظم والهداية أعظم.. الله عز وجل خلق فسوى وقدر فهدى سبحانه وتعالي.

الدرجة الثانية :

هداية البيان والإرشاد للمكلفين من الأنس والجن عندما قال عز وجل ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾[البلد: ١٠].

فالله عز وجل بين للمكلفين من الأنس والجن طريق وطريق الشر ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾[الإنسان: ٣].

علي وجهين في التفسير:

الأول:- " للتخير " خَير الإنسان أي جعل له الاختيار بإرادة الله سبحانه وتعالي وقدرته فإما أن يشكر وأما أن يكفر.

الثاني:- " للتقسيم " بعضهم جعله الله تعالي شكوراً وبعضهم جعله الله كفوراً وكلا التفسير متلازمان فكل مهما خاص بنوع من أنواع الهداية وقال سبحانه ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾[فصلت: ١٧].

فلو كانت هذه الهداية هداية توفيق لما استحبوا العمى علي الهدي ولكن الهداية هنا هداية بيان، هديناهم أي بينا لهم طريق الهدى.

وهذه الهداية تكون عن طريق الرسـ ـل وإن كان الله متفرداً بالهداية إلا أن فعل الله غير فعل الرسل فالرسل تبين والله هو الذي أرسل الرسل وأنزل الكتب والله عز وجل متفرد بذلك والرسل لا تستطيع أن تأتي بالهداية من قبل نفسها وإنما تبلغ عن الله ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [النساء: ١٦٥].

والله هو الذي شرع الشرائع المحكمة غاية الإحكام وبينها للناس غاية البيان وأنزل الكتب التي بها يظل هذا النور لمن يريد أن يستضيء به عبر الزمان في كل مكان وجعل الله عز وجل دعاه إلى الخير قال تعالي ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ [الرعد: ٧].

أي مبلغ لهم، وأن الهادي هو الله، والتفسير الأول أصح وهو بمعنى مبين كما قال تعالي ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[النحل: ٣٦].

وهذا هو شرط التكليف وهو عام في الأمم وإن خَص منه آحاد من الأفراد فهذا لا يقدح في صحة العموم فإن بلوغ الرسالات إلى الأمم ظاهر جداً وحاجة الإنسان إلى الدين حاجة فطرية قديمة قدم وجود الإنسان ولا يستغني أبداً عنه ولذا كذب من زعم

أن الدين تطور في أعراف الناس حتى وصل إلى التوحيد بل الدين بدأ بالتوحيد لأن الله الهادي هدي آدم عليه السلام ﴿ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ﴾[طه: ١٢٢]، وبين له وأنزل عليه أوامره وجعلها شريعة لبنيه وبناته ثم ظلت ذريته قروناً علي التوحيد إلى أن حدث الشرك في قوم نوح فأرسل الله نوحاً وهكذا ظلت الرسل مبشرين ومنذرين في كل زمان واستثناء عموم بلوغ الرسالة في آحاد من الأمم كما قال ﷺ :" أربعة يحتجون يوم القيامة رجل أصم ورجل أحمق ورجل هرم ورجل مات في الفترة فأما الأصم فيقول رب لقد جاءني الإسلام وما أسمع شيئا، وأما الأحمق فيقول رب لقد جاءني الإسلام ولم أعقل شيئاً، والصبيان يقذفوني ببقايا الحيوانات، وأما الهرم فيقول رب لقد جاءني الإسلام وما أعقل شيئا، وأما الذي مات في الفترة فيقول رب ما أتاني لك رسول " وهذا واضح جداً أن هؤلاء الذي لم تبلغهم دعوة الرسل هم آحاد من الأمم و ليسوا أمماً بأسرها ولذلك العموم ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[النحل: ٣٦].

أما جماعات الناس فقد بلغتهم دعوة الرسل لأن الله عز وجل الهادي بين لهم بعدله وحكمته.

الدرجة الثالثة:- هداية التوفيق والإسعاد وهي خاصة بالمؤمنين من المكلفين بأن خلق الهدي في قلوبهم وحبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان.. وأخذ بنواصيهم إليه ووجه وجهة قلوبهم إلي محبته وعبادته وسبحانه وتعالي.. وذلك فضله يؤتيه من يشاء.

والهداية الأولى: عدله أقام بها حجته علي خلقه جميعاً ﴿ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[النساء: ١٦٥].

وأما هداية التوفيق والإسعاد وخلق الهدي فوضعها سبحانه فيمن تناسبه في الأرض لطيبة التي تنبت البذرة شجراً مباركاً يؤتي ثمرة في كل حين وهو أعلم حيث يجعل رسالته وأعلم سبحانه وتعالي بالشاكرين وأعلم بالظالمين ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾[الأنفال: ٢٣].

علمهم الله سبحانه صماً بكماً.. صماً عن الحق لا يسمعونه.. بكماً عنه لا ينطق به .. عميا عن آيات الله لا يرونا، فهو بعلمه وحكمته عز وجل وضع البذر لطيب في الأرض الطيبة وكونه خص قوماً بهداية التوفيق لا يكون ظلماً منه أن حرم منها غيرهم ممن لا يهيأ لها ولا تناسبه وذلك أنه أعلم بعباده عز وجل وقد أقام عدله بهداية البيان ولا يعذب أحداً دون هداية بيان ودون جود عقل وإدراك وسمع حسي فمن كان بلا عقل أي أحمق لم تقم عليه حجة وكذلك من كان أصم لا يسمع بأذنه ويمتحن في القيامة، أما من كان يسمع بحاسة أذنه ولكنه أصم عن الحق لا يسمع آيات الله ويعرض عنها.. يسمعها ولا يريد فهمها فهذا عدل من الله عز وجل أن وضع فيه ذلك وخلق الضلال في قلبه فهذا لا يناسب أرض قلبه إلا البذر الخبيث.

وضع الله البذر الطيب في الأرض الطيبة.. وضع الله الإيمان في قلوب المؤمنين ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾ [النور: ٢٦] ووضع الخبيث مع خبيث ثم يركمه جميعاً ثم يجعله في جهنم سبحانه وتعالي فهذا فضله يؤتيه من يشاء .

ولايته العامة عدله سبحانه وتعالي أقام به حجته علي ما شاء، وهداية المؤمنين شملت كل أنواع الهداية ولذلك إذا سأل المؤمنون ربهم ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾[الفاتحة: ٦]، فإنهم يسألونه الهداية إلى دينه الحق صراط المؤمنين الصادقين من النبين والصدقين والشهداء والصالحين، فهم يسألونه أن يبين لهم ما اختلف الناس

فيه ليعلموا شرعه فإنهم إذا هدوا إلي الإسلام إجمالاً بفضله ووقفوا يصلون وعرفوا فضله سبحانه وتعالي عليهم بهذا الدين إلا أنهم يحتاجون للتفصيل فإن تفاصيل هذا الدين اختلف الناس فيها ولا يزالون يختلفون وكم من أناس ضلوا طريق الحق ببدعهم وإعراضهم عن الكتاب والسنة وكم من أناس اجتهدوا فخطئوا وأنت حتى تسعد في هذه

الحياة تحتاج إلى البيان وإلى أن تُهدي لما اختلف الناس فيه من الحق بإذن الله سبحانه وتعالي، وذلك لأن الإنسان لو أخطأ الطريق حتى ولو بغير قصد أو عن نسيان أو أخطأ نتيجة اجتهاد فإنه ينقص من راحته وسعادته بمقدر ما ابتعد عن الصراط المستقيم حتى وإن كان مأجور علي بذله الجهد فموس رحل إلى بلاد بعيدة وقطع مسافات كبيرة إلى الخضر لكي يتعلم منه قال سبحانه وتعالي ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ۝٦٠ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ۝٦١ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾[الكهف: ٦٠ – ٦٢].

قال ﷺ :" ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أُمر به "ومع أنه اجتهد وبذل كل ما في وسعه حتى أنه لم يكلف فتاة أكثر من النظر إلى الحوت ليرى متي تعود إليه الحيا ة وينزل إلى البحر، فقال له" ما كلفت عسيراً " ومع ذلك الشيطان للإنسان بالمرصاد وإن عجز عن أن يجعله يقصد المنكر والمعصية فإنه ربما يكتفي منه بالنسيان، أليس يأتي للإنسان في صلاته فيقول له: اذكر كذا.. اذكر كذا لينسيه ذكر الله في الصلاة فأنسي الفتي ذكر ذلك الحو ت وكان الفتي مجتهداً أيضاً فكان مشفقاً علي موسى ﷺ عندما وجده نائماً ووجد الحوت دبت فيه الحياة وقفر إلى البحر فقال إذا استيقظ

أخبرته وهذا ما ظفر به الشيطان، وقد يكتفي أيضاً بالنوم كما ظل يهدهد بلالاً حتى نام عن صلاة الفجر.

والمقصود أن الإنسان حتى مع عدم تعمد المعصية وإن وقعت منه بنوع نسيان أو الخطأ غير المقصود فسوف يتعب لابتعاده عن الشرع أو عدم توفيق لعباده حقه لذلك لو أدى الإنسان العبادة كما ينبغي لن يتعب أبداً لذلك إن أهل الجنة يلهمون التسبيح كما نلهم نحن النفس أي أنهم وصلوا إلى القرب إلى الله علي درجات متفاوتة فلا يتعبوا في العبادة ولكن الإنسان يتعب لأنه مرتبط بالأرض وما فيها من رغبات وشهوات، فسؤال الإنسان الهداية من الله إلى الصراط المستقيم فهو يسأل الله أن يبين له ما اختلف الناس فيه حتى في الأمور التي بين مجتهد مصيب له أجران وبين مجتهد مخطئ له أجر فأنت محـ تاج أن تكون مصيب في ما اختلف الناس فيه وتوفق وتُهدي لتسعد في هذه الحياة فضلاً علي أن يكون لك أجران في الآخرة وهذا أفضل من الأجر الواحد.

ثم بعد أن يعلم الحق يحتاج إلى أن يعمل به وأن يحبه ويختاره وهذه هداية التوفيق التي يحتاجها المؤمن تفصيلاً وليس فقط إجمالاً، وبعد أن يعمل به يحتاج أن يبت عليه حتى لا ينحرف بعد أن عمل بهذا الخير وإلا فكم من إنسان يلتزم ثم يترك الالتزام وكم من إنسان يطيع ثم يترك الطاعة بعد أن ذاق حلاوة الطاعة، فأنت تحتاج إلى التثبيت على الهدى حتى الممات .

ومن هذه الهداية أيضاً دعوة الناس إلى الله عز وجل لأن ذلك من العمل الصالح فحين تقول ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾[الفاتحة: ٦]، حقاً من أعظم الضرورات أن تعلم وتوفق للعمل ثم تثبت علي هذا العمل حتى الممات ثم أنت في حاجة أمس وأشد وأن تُهدى في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة إلى طريق الجنة فإن الطريق إلى الجنة يمر على الصراط المضروب علي ظهر جهنم وهو أدق من الشعر وأحد من السيف كما كان الصراط المستقيم في الدنيا كان علي جنياته مهالك ومخاوف والسائر فيه كأنه يسير في طريق مليء بالشوك ويوشك أن تزل قدمه فيدركها ويحاول أن يثبت علي ذلك الصراط، فكذلك بل أشد أمر الصراط في الآخرة وهذه الهداية في الآخرة تابعة للهداية

في الدنيا فأنت في حاجة أن تُهدي إلى طريق الجنة وأن يثبت الله قدميك علي الصراط المستقيم وأن توفق للمرور عليه فإنه كما قال ﷺ " دحض مزلة – أي تزل فيه الأقدام – عليه خطاطيف تخطف الناس بأعمالهم كشوك السعدان لا يعلم عظم قدرها إلا الله " فما أحوج الناس إلى الهداية في هذا المواضع وأن يرشدوا وأن يُجعل الله لهم نور كما جعل في قلوب عباده المؤمنين نوراً في الدنيا متفاوتاً كذلك يجعل لهم نوراً يوم القيامة علي قدر أعمالهم وإيمانهم.. يجعل الله سبحانه وتعالي نور المؤمنين ﴿ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم ﴾[التحريم: ٨].

وأما نور المنافقون فيخدعهم الله عز وجل بأن يعطيهم نور وهم في الظلمة فإذا جاءوا عند الجسر طفئ نوروهم عند الصراط وهذا أشد لحظات الكرب عليهم والعياذ بالله، فكيف يهتدون إلى ما وهو أدق من الشعرة وأحد من السيف في ظلمة بلا نور؟!! فإذا كان المؤمن الذي معه نور علي قدر إبهامه يضيء مرة ويخبو مرة علي خطر عظيم وتعلق رجل وتسقط رجل وتعلق يد وتسقط يد وتلسعه النار مرة فهذا في خطر عظيم والله أعلم كم حجم جهنم الهائل " يؤتي يوم القيامة بجهنم لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها" هكذا أخبر النبي ﷺ ومع ذلك تمر أنت على أدق من الشعر وأحد من السيف ودحض مزلة فلو كان صلباً ثابتاً لكان علي خطر عظيم فكيف وهو دحض مزلة وعليه خطاطيف والسقوط في جهنم سقوط هاوية رهيبة نسأل الله العافية، فإن الحجر ليلقي من شفير جهنم يهوي فيها سبعين خريفاً لا يدرك قعرها. سبحان الله !! فحاجة الإنسان شديدة إلى الهدية بجميع أنواعها.

الدرجة الرابعة:– الهداية إلى طريق الجنة إلى الصراط المستقيم في الآخرة وعلي قدر استقامتك علي صراط الله في الدنيا تكون استقامتك علي صراط الله المستقيم في القيامة ثم إذا نجوت من هذا احتجت إلى أن تستفتح بأب الجنة فيذهب الناس إلى آدم

ثم نوح ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى وكلهم يتراجع ثم يذهبون إلى مُحَمَّد ﷺ فيستفتح لهم باب الجنة، فإذا دخلوا الجنة بشفاعة النبي ﷺ فأين منازل كل منهم؟!! الله عز وجل يهديهم إليها فهم بمنازلهم في الجنة أهدي إليها من منازلكم في الدنيا بعد انصرافكم من الجمعة، وكما ﴿ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٤ سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ ٥ وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ ﴾[محمد: ٤ – ٦]، وهذه هداية في الآخرة نهايتها دخول الجنة والهداية إلى المنازل فيها.

وأما الكفار فيهدون إلى صراط الجحيم ﴿ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ [الصافات: ٢٣]، أي يدفعون إلى صراط الجحيم وأين هي لا ندري أين أماكن النار والجنة، نعم الجنة في السماء ولكن أين هي؟! إنما يهدي المؤمنون إليها كما ذكرنا ويهدون إلى مساكنهم بداخلها والكفار يدفعون دفعا ويحشرون حشراً إلى جهنم وبئس المصير نعوذ بالله من ذلك.

فهذه مراتب الهداية التي يدل عليها اسم الهادى سبحانه وتعالي نسأله عز وجل الهدي والتقي والعفاف والغني وأن يجعلنا من المهتدين تفرد سبحانه وتعالي بالهداية ﴿ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾[الأنعام: ٣٩].

البديع الذي أبدع السموات والأرض وما بينهما بلطيف صنعه وبديع حكمته بلا معين ولا مثال، فالبديع أي خلق السموات والأرض علي غير مثال سابق ولا معين لأنه سبحانه وتعالي لا يحتاج إلى معين .

ومن هذا اللفظ لفظ البدعة، أي شيء محدث علي غير مثال سابق في الدين ما قال النبي ﷺ :" كل محدثة بدعة كل بدعة ضلالة " أي كل محدثة في الدين ولذلك تعريق

البدعة " هي طريقة مخترعة في الدين تشبه الطريقة الشرعية ويقصد بها المنزلة والتقرب إلى الله عز وجل لأنها علي غير مثال سابق في الدين".

ومثل البديع المبدع أي خلقها علي غير مثال سابق، والإنسان عندما يحسن التقليد لما خلقه الله يقال عليه أنه فنان وهذه بعض القدرات التي أعطاها الله لبعض عباده مع أن بعضهم يستخدم تلك الموهبة في الخير الشر مثل صناعة التماثيل فغاية ما عن الإنسان إنما هو تقليد لخلق الله فمكبر الصوت تقليد لطبلة الأذن، والطائرة تقليد للطائر والسفينة أشبه بالكائنات التي تسبح علي وجه الماء مثل البط، فكما حاكي الإنسان شيئاً من خلق الله كان ذلك أدعى أن يشكر الله الذي علمه ووفقه وجعل فيه القدرة والعلم والفهم حتى يصنع هذه الأشياء وأدعى أن يعلم قدرة الله وعظمته أنه خلق هذه الكائنات وصنعها علي غير مثال سابق فله الحمد عز وجل البديع.

الباقي

قوله الباقي الذي كل شيء هالك إلا وجهه فلا ابتداء لأوليته ولا لآخريته زوال، والباقي معناه قريب من اسم الآخر قال عز وجل ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾[الرحمن: ٢٦ – ٢٧].

وهو باق بذاته عز وجل فبقاؤه من صفات ذاته ويبقى من شاء من خلقه بقدرته ومشيئته فأهل الجنة ﴿خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴾[إبراهيم: ٢٣]، والكفار كذلك بقاؤهم بإذن ربهم قد أبقي الله من خلقه ما شاء فيها بقدرته وعزته وعلمه وحكمته سبحانه وتعالي .

الوارث

الذي يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين وإليه المرجع والمآل فبإيجاده كل موجود وإليه كل الأمور تصير، والوارث من ينتقل إليه الملك وهي كانت ملكاً له عز وجل ولم تزل ملكاً له، فالملك يومئذ لله وكان قبل ذلك له عز وجل وهو مالك يوم الدين وسائر الأيام قبله هو كذلك مالكها ومالكها فمعنى الوارث ومعنى ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾[الفاتحة: ٤] ومعنى ﴿ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ﴾[الانفطار: ١٩] ﴿ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴾[غافر: ١٦].

هو من نفس الباب أن ذلك في الدنيا كان هناك من ينازعه فيه وكان هناك من يظن أن له ملكا وأنه ورث ممن قبله ملكاً حقيقياً وأن له أمراً في هذا الكون فإذا ظهرت حقيقة الأمر وبان لكل الخلق يوم القيامة أن الملك الحق لله عز وجل وأن كل الأمر منتقلة إلى الله عز وجل ممن تسمى بملكها مجازاً بغير حقيقة انتقل ذلك عنه وآل الأمر إلى ما بدأ منه الأمر.. آل الأمر إلى أن الملك لله بلا منازع لا في الظاهر ولا في الباطن لا في الاسم ولا في الحقيقة ولا مجازاً.. لا مُلك لأحد ولا ملك لأحد إلا لله عز وجل، فهو الوارث الذي يرث الأرض ومن عليها سبحانه وتعالي.

الرشيد

الرشيد في كل أقواله وأفعاله وبالرشاد يأمر عباده وإليهم يهديهم وهو معنى قول هود عليه السلام ﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾[هود: ٥٦]، وهو أحسن تفسير لاسم الرشيد سبحانه وتعالي .

قال عز وجل ﴿وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ﴾[الكهف: ١٧]، فالله عز وجل في أفعاله علي صراط مستقيم.. رشيد عز وجل، وأفعاله كلها حكمة وعدل وكلها علي سنة ماضية لا تجد لها تحويلا وبحكمة بالغة وإن لم تغن النذر عن

الكافرين شيئاً، ولكن العبد المؤمن يوقن أن ربه على صراط مستقيم وأن له سنة ماضية في خلقه يفعل سبحانه أفعالاً يعلم منه أعلم الخلق به ما لا يعلم الناس وكما قال يعقوب ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[يوسف: ٩٦]، يعلم أن الله له سنة ماضية في تفريج الكربات وإجابة الدعوات وإكرام من أطاعه وتفضيله وإهانة من عصاه وخفضه، سبحانه وتعالي سنته ماضية في نصرة المؤمنين ومجازاة الطائعين وخذلان الظالمين والكافرين والمنافقين، فهو علي صراط مستقيم وهو رشيد عز وجل.

والرشد ضد السفه فالله تعالي لا يفعل شيئاً بغير حكمة ولا يقدر ولا يشرع شيئاً سدى ولا لعباً ولا باطلاً هو منزه عن ذلك سبحانه وتعالي.

ومن لوازم ذلك المعنى أنه عز وجل علي صراط مستقيم وهو الرشيد في أقواله وأفعاله، فهو سبحانه يأمر عباده بالرشاد لأنه يحبه ولا يحب الفساد وذم من ليس برشيد كما قال عن فرعون ﴿ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴾[هود: ٩٧ – ٩٨].

ففرعون ليس برشيد لأنه خالف شرع الله عز وجل فالله لا يحب الفساد الغرض المقصود أن الله يأمر عباده بالرشاد لأنه سبحانه وتعالي الرشيد، كما أنه سبحانه وتعالي الرحمن..أمر عباده بالرحمة ويحب الرحمة، قال ﷺ:" الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء" فالله يحب منك أن تكون علي الصراط المستقيم وهذا معنى المرشد ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾[الكهف: ١٧].

وليس الولي المرشد أنه شخص مرشد كما يزعم الصوفية، أنه لابد للمرء من ولي مرشد من الناس فالولي المرشد هو الله عز وجل فالله هو الولي الذي يتولي أمر العبد وليس من يزعمون أنه وليهم الذي سيبني علي قبره المقام والمرشد هو من يرشد، بل إنما الإرشاد من الله سبحانه وتعالي ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾[الكهف: ١٧]، والمهدي هو من كان الله وليه الذي يرشده سبحانه وتعالي .

الصبور

الصبور الذي لا أحد أصبر منه علي آذى سمعه، ينسبون له الولد ويجحدون أن يعيدهم ويحييهم، وكل ذلك بسمعه وبصره وعلمه لا يخفي عليه منهم شيء ثم هو يرزقهم ويعافيهم، وذلك بأنهم لم يبلغوا نفعه فينفعوه ولا ضره فيضروه، وإنما يعود نفع طاعتهم إليهم، ووبال عصيانهم عليهم ﴿ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ۝٦ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾[التغابن: ٦ – ٧].

ثبت في الحديث :" لا أحد أصبر علي آذى من الله يدعون له الصاحبة والولد ثم يرزقهم ويعافيهم " سبحانه وتعالي، والصبر من الحبس والمعنى هنا أن الله عز وجل يمتنع من عقابهم كما قال ﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴾[الإسراء: ٥٩].

من الذي يمنعهم عز وجل ؟!هو سبحانه يمنع نفسه وهذا مثل معنى التردد كما في الحديث :" وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض عبدي المؤمن" ذلك أن الله

عز وجل يحب ويكره ويريد أشياء يكون له فيها الحكمة البالغة وفي ضمنها يكون له أمره مكروه له عز وجل، فالإرادتان المحبة والكره قد تجتمعان في أرم واحد وهو سبحانه يمنع نفسه من أمور يحبها لما في حصولها من فوات ما هو أحب إليه عز وجل فهو سبحانه لم يهلك أولئك الذين يدعون له الصاحبة والولد.. لم يهلك أولئك الذين يظلمون ويقتلون أولياؤه ويحاربون دينه لأنه سبحانه صبور ويحب أن يُحمد ويشكر ويريد أن يقيم الحجة علي عبادة رغم ما في تركهم وامتناعه عز وجل من تعذيبهم من الأمور التي يكرهها من وقوع الشرك والفساد وادعاء الصاحبة والولد لله، لكنه عز وجل يمنع من عذابهم ويصبر عليهم لما في صبرهم عليهم من الحكم البالغة والمصالح العديدة التي تتضمن ما يحبه الله أكثر مما يحبه لو لم يقدر ذلك، فهو سبحانه كان قادراً علي أن يجعل الخلق كلهم عبيد طائعين له كالملائكة ولكنه قدر وجود نوع من الخلق يوجد في إرادة هذا النوع الخير والشر وله من الشهوات والرغبات ما ينازعه إلى عدم امتثال أمر الله وهذا في الإنس والجن وبخاصة الإنس وقدر عز وجل أن يكون فيهم من يكون أفضل من ملائكته الذين لا يجدون رغبة ولا إرادة إلا فيما يرضى الله سبحانه وتعالي فكان خلقه لهذا النوع الإنساني مع ما فيه من الشر الكثير بالنسبة إلى عدده " تسعمائة وتسعة وتسعون في النار وواحد في الجنة " لكن في هذا الواحد من الخير الذي يحبه الله أكثر مما أحب من ملائكته عز وجل ولذا فضل هذا النوع في الآخرة علي كثير من ملائكته.. فضل الأنبياء والمؤمنين والذين يدخلون الجنة وجعل الملائكة تسلم عليهم في الجنة وأسجدهم لأبيهم آدم عليه السلام تكريماً للجنس الإنساني لأنه عز وجل يحب من بعضهم أعمال الخير التي تنازعه نفسه إلى ضدها والتي يجد عقبات في سبيل عملها والتي من أجلها قدر الله كل هذا الضلال والكفر والشرك من أجل أن تخرج العبادات الشاقة علي النفوس سهلة سلبية بحب عظيم وإخلاص تام عز وجل رغم العقوبات والصعبات ورغم المنازعات والصراعات.

يحب عز وجل أن تبذل النفوس في سبيله وأن يضحي أهل الإيمان بأنفسهم وأموالهم وأرواحهم له عز وجل، ويعجلون إليه ليرضوه سبحانه وتعالي ويتحملون أنواع الأذى وأنواع الفتن في سبيله ويحاربون من أجله سبحانه في الداخل.. داخل نفوسهم.. يحاربون الشياطين والنفس الأمارة بالسوء والرغبات المنحرفة من خلال جهاد طويل، وكذلك في الخارج يحاربون أعداء الله من الكفار والمنافقين الذين أعطاهم الله أنواعاً من الأموال والأولاد والسلطان والزينة لينظر كيف يفعل المؤمنين في ذلك ولكي يضل الكفار عن سبيله ويتميز أهل الإيمان بالثبات في وجه هذا الخضم الهائل فسبحانه قدر وجود المكروهات له وامتنع من إعدامها لأنه صبور ولما في ذلك من الحكمة البالغة ولما يترتب علي ذلك مما يحبه أضعاف ما يكرهه.

فانظر إلى قدر المؤمنين واحد من كل ألف من البشر ومن أجل هذا الواحد أوجد الله عز وجل هذا الصراع العجيب بين الخير والشر وكما قال ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾[الأنعام: ١٢٣].

حتى تصبر أنت ولينظر ماذا تعمل وأنت ترى فيما يبدوا للناس ملك الظالمين والكافرين والمنافقين وسلطانهم وتخويفهم للخلق وإتعابهم لهم، ويستخرج منك أنواعاً من عبوديته الصبر واللجوء إليه والتضرع والافتقار إليه مما لا يوجد بغير ذلك وهو سبحانه قادر أن يذهب بهم ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾[القمر: ٥٠].

ولكنه تركهم يتسلطون حتى ظن الظانون أنهم سيطروا علي العالم كله وأن البر والبحر بأيديهم بل والسماء أ يضاً وأن الأقمار تحيط من كل جانب وهي ملك للكفار فهو سبحانه يصبر لما في ذلك من الحكم وما يحبه من عباده المؤمنين الذين يتعبدون له في السراء والضراء والمنشط والمكره والعسر واليسر وفي الظلام وفي النور وفي الإشراق

والإحراق عندما تسطع نور الإسلام وعندما تظلم ظلمات الكفر ويحب أن يرى خلقه آياته في خلو الليل والنهار والذكر والأنثى والسعي والشتي ولذا يصبر علي آذى من يؤذيه وما يضرونه شيئاً ولا يضرون دينه سبحانه وتعالي .

خاتمة

نسأل الله عز وجل أن يجعلنا من عباده المخلصين وأن يرزقنا دعاؤه بأسماؤه الحسنى وصفاته العلي اللهم إنا عبيدك بنو عبيدك بنو إماءك نواصينا بيدك ماضي فينا حكمك عدل فينا قضاؤك نسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا ونور صدورنا وجلاء أحزاننا وذهاب غمومنا وهمومنا ..آمين

الفهرس